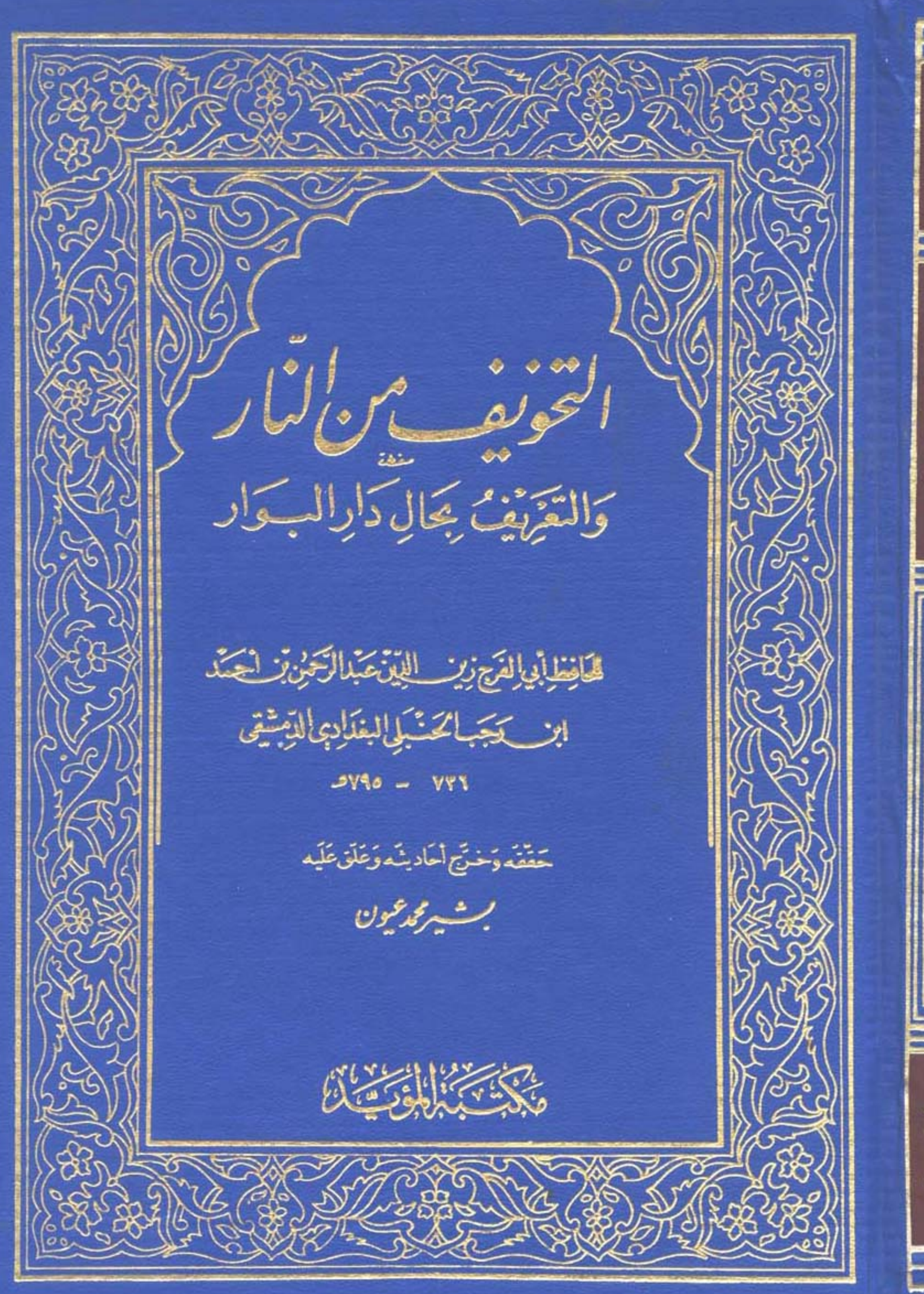

التخويف من النار
والتعريف بحال دار البوار
للحافظ أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد
ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي
٧٣٦ - ٧٩٥هـ
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
بشير محمد عيون
مكتبة المؤيد
ابن رجب الحنبلي
التخويف من النار
مكتبة المؤيد

التخويف من النار

والتعريف بحال دار البوار

للحافظ أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد

ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي

٧٣٦ - ٧٩٥هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

بشير محمد عيون





الطبعة الثانية

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

دمشق بيروت

ترجمة المؤلف

هو الحافظ زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ثم الدمشقي الثقة الحجة، ولد في بغداد في ربيع الأول سنة ٧٣٦ هـ. قدم من بغداد مع والده الى دمشق وهو صغير سنة (٧٤٤) هـ وسمع من محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن الخباز ، وابراهيم بن داود العطار وغيرهما . وسمع بمصر من صدر الدين أبي الفتح الميدومي وأبي الحرم القلانسي وغيرهما ، وأكثر المسموع والاشتغال بالعلم حتى أتقن فنون الحديث أسماءً ورجالاً وعللاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه حتى صار واحداً من العلماء الزهاد والأئمة العباد، وبه تخرج غالب الحنابلة بدمشق . وصنف في مختلف العلوم ، فشرح الترمذي ، وقطعة من البخاري ، وسماه « فتح الباري بشرح البخاري » ووصل فيه الى كتاب الجنائز ولم يتمه . وذيل الطبقات للحنابلة ، وله كتب كثيرة ، منها « لطائف المعارف فيما لمواسم السنة من الوظائف » و « القواعد الفقهية » و « جامع العلوم والحكم » و « الاستخراج لأحكام الخراج » وكثير من الرسائل[1] .

وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة ، وللناس عامة مباركة نافعة ، اجتمعت الفرق عليه ،ومالت القلوب بالمحبة إليه .

وكان لا يعرف شيئاً من أمور الناس ، ولا يتردد الى أحد من ذوي الولايات ، وكان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين .

ويقال : إنه جاء إلى شخص حفار فقال له : احفر لي هنا لحداً وأشار الى بقعة ، قال الحفار : فحفرت له ، فنزل فيه فأعجبه ، واضطجع وقال : هذا جيد ، فمات بعد أيام فدفن فيه رحمه الله . وكانت وفاته بدمشق في شهر رجب سنة ٧٩٥ هـ .

---

(١) وهي تحت الطبع باسم : « مجموعة رسائل ابن رجب الحنبلي » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

وبعد : فإن المؤمن الحق من يجمع في قلبه الخوف من عذاب الله إن هو عصاه وخالف أمره والرجاء لفضله ورحمته إن هو أطاعه واتبع سبيله ، والخوف والرجاء هما المحركان الدافعان للإنسان إلى رضوان الله جلّ وعلا والحصنان الحاميان من الإنحراف إلى الأماني الكاذبة الذي تجرأ على المعاصي وتهوّن من شأن عذاب الله تعالى أو الانحراف إلى اليأس من رحمة الله بحيث يغرق في المعاصي ويخلد إليها .

وقد خوف الله سبحانه وتعالى من عذابه وأشد هذا العذاب هو عذاب النار الذي تكرر ذكره في القرآن مرات عديدة وعرض مشاهد هذا العذاب في آيات كثيرة ليترسخ الخوف من الله تعالى في القلوب فيكون رادعاً عن المعاصي دافعاً إلى الطاعات ، وقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالتصنيف في الترغيب بما عند الله (الرجاء) والترهيب من عذاب الله (الخوف) ومن أجود هذه المصنفات كتاب « التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار » للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي حشد فيه من الآيات والأحاديث والآثار وأقوال السلف وحكايات الصالحين ما

يروق القلب ، ويخوف العصاة اللاهية قلوبهم السادرين المتبعين سبل الشيطان ويحذر الناس عامة من طريق الغواية والضلال .

وقد سبق لهذا الكتاب ان طبع في مطبعة أم القرى عام ١٣٥٧ هـ بعناية السيد عبد الرحمن بن قاسم والتي قوبلت في حينه على خمس مخطوطات كما ذكر ناشرها الأول وحين رغبنا في إعادة نشر هذا الكتاب حاولنا الحصول على مخطوطة للكتاب فما ظفرنا بشيء على كثرة البحث فقنعنا بالمطبوع حتى يتيسر لنا الحصول على مخطوط .

عملنا في الكتاب :

١ ـ اتخذنا المطبوع أصلاً فضبطنا النص وصححناه بقدر الإمكان مع وضع علامات الترقيم .

٢ ـ وضع عناوين لفصول الكتاب ليسهل على القارىء الرجوع إليه متى شاء وقد حصرناها بحاصرتين [ ] لتمييزها عن عناوين المصنف .

٣ ـ ضبطنا الآيات بالشكل الكامل مع عزّوها إلى مواضعها في المصحف الشريف .

٤ ـ تخريج الأحاديث النبوية وبعزوها إلى مصادرها وتبين درجة صحتها وذلك بالاعتماد على دواوين السنة وعلى مؤلفات الشيخ محمد ناصر الدين الألباني والشيخ عبد القادر الأرنؤوط حفظهما الله تعالى

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب للقراء في هذا الزمان الذي كثرت فيه المغريات وتشعبت فيه الطرق وأصبحنا نخاف فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة بل تعم الصالح والصالح على حد سواء نرجو أن ينتشر الكتاب في مجتمعنا فيقرؤه الآباء والأمهات والشباب والفتيات ويعود الجميع إلى ربهم الواحد القهار . ويفكر الكبير منا والصغير بيوم الحساب الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم . وقد ساعد في تحقيق الكتاب الاستاذ حسن السماحي فجزاه الله خيراً ، وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، ونسأله العون والتوفيق لما يحبه ويرضاه .

والحمد لله أولاً وأخيراً وبه الثقة والتوفيق ، وهو المستعان المعين

بشير محمد عيون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي العز المجيد ، والبطش الشديد ، المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد ، المكرم لمن خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد ، فسبحان من قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وسَعِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٥] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

أحمده وهو أهل للحمد والثناء والتمجيد ، وأشكره ، ونعمه بالشكر تدوم وتزيد .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، ولا كفو ولا عدل ولا ضد ولا نديد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى التوحيد ، الساعي بالنصح للقريب والبعيد ، المحذر للعصاة من نار تلظى بدوام الوقيد ، المبشر للمؤمنين بدار لا ينفد نعيمها ولا يبيد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تزال على كر الجديدين في تجديد ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، فإن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه ، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال ،

ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال ، ولهذا كرر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال ، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال، إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال ، ودعا عباده بذلك الى خشيته وتقواه ، والمسارعة الى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه ، فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب ، وكذلك السنة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب ، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات ، وأن ذلك هو الذي رقاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنيات ، من شدة الاجتهاد في الطاعات والانكفاف عن دقائق الأعمال المكروهات فضلاً عن المحرمات ، ولهذا قال بعض السلف : خوف الله تعالى حجب قلوب الخائفين عن زهرة الدنيا وعوارض الشبهات .

وقد ضمن الله سبحانه الجنة لمن خافه من أهل الإيمان ، فقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان ﴾ [الرحمن : ٤٦] قال مجاهد : في هذه الآية الله قائم على كل نفس بما كسبت ، فمن أراد أن يعمل شيئاً فخاف مقام ربه عليه فله جنتان . وعنه أنه قال : هو الرجل يذنب فيذكر مقام الله فيدعه . وعنه قال : هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيتركها .

وقال علي بن أبي طالحة عن ابن عباس : وعد[1] الله المؤمنين الذين خافوا مقامه وأدوا فرائضه الجنة .

وعن الحسن ، قال : قالت الجنة : يا رب لمن خلقتني ، قال : لمن يعبدني وهو يخافني .

---

(١) الوعد يكون بالخير ، والوعيد للشر .

وقال يزيد بن عبد الله بن الشخير : كنا نحدث أن صاحب النار الذي لا تمنعه مخافة الله من شيء خفي له .

وعن وهب بن منبه ، قال : ما عبد الله بمثل الخوف .

وقال أبو سليمان الداراني : أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عزّ وجلّ ، وكل قلب ليس فيه خوف الله فهو قلب خرب .

وقال وهيب بن الورد : بلغنا أنه ضرب لخوف الله مثل في الجسد .

قيل : إنما مثل خوف الله كمثل الرجل يكون في منزله فلا يزال عامراً ما دام فيه ربه ، فإذا فارق المنزل ربه وسكنه غيره خرب المنزل، وكذلك خوف الله تعالى إذا كان في جسد لم يزل عامراً ما دام فيه خوف الله ، فاذا فارق خوف الله الجسد خرب ، حتى إن المار يمر بالمجلس من الناس فيقولون : بئس العبد فلان ، فيقول بعضهم لبعض: ما رأيتم منه ، فيقولون : ما رأينا منه شيئاً غير أنا نبغضه ، وذلك أن خوف الله فارق جسده ، وإذا مر بهم الرجل فيه خوف الله ، قالوا : نِعْمَ والله الرجل ، فيقول : أي شيء رأيتم منه ؛ فيقولون : ما رأينا منه شيئاً غير أنا نحبه .

وقال الفضيل بن عياض : الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحاً ، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل .

وسئل ابن المبارك عن رجلين أحدهما خائف والآخر قتيل في سبيل الله عزّ وجلّ ، قال : أُحَبهما إليَّ أخوفهما .

وقد استخرت الله تعالى في جمع كتاب أذكر فيه صفة النار ، وما أعد الله فيها لأعدائه من الخزي والنكال والبوار ، ليكون بمشيئة الله قامعاً للنفوس عن غيها وفسادها ، وباعثاً لها على المسارعة الى فلاحها ورشادها، فان النفوس ولا سيما في هذه الأزمان قد غلب عليها الكسل والتواني،

واسترسلت في شهواتها وأهوائها وتمنت على الله الأماني ، والشهوات لا يذهبها من القلوب إلا أحد أمرين ، إما خوف مزعج محرق ، أو شوق مبهج مقلق ، وسميته « **كتاب التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار** » وقسمته ثلاثين باباً ، والله المسؤول أن يجيرنا من النار ، وأن يجعل بيننا وبينها حجاباً بمنه وكرمه .

* * *

الباب السادس عشر في ذكر حجارتها .

الباب السابع عشر في ذكر حياتها وعقاربها .

الباب الثامن عشر في ذكر طعام أهل النار وشرابهم فيها .

الباب التاسع عشر في ذكر كسوة أهل النار ولباسهم .

الباب العشرون في ذكر عظم خلق أهل النار فيها وقبح صورهم وهيآتهم .

الباب الحادي والعشرون في ذكر أنواع عذاب أهل النار ، وتفاوتهم في العذاب بحسب أعمالهم .

الباب الثاني والعشرون في ذكر بكائهم ، وزفيرهم وشهيقهم ، وصراخهم ، ودعائهم الذي لا يستجاب لهم .

الباب الثالث والعشرون في ذكر نداء أهل النار أهل الجنة ، وأهل الجنة أهل النار ، وكلام بعضهم بعضاً .

الباب الرابع والعشرون في ذكر خزنة جهنم وزبانيتها .

الباب الخامس والعشرون في ذكر مجيء النار يوم القيامة وخروج عنق منها يتكلم .

الباب السادس والعشرون في ضرب الصراط على متن جهنم ومرور الموحدين عليه .

الباب السابع والعشرون في ذكر ورود النار .

الباب الثامن والعشرون في ذكر حال الموحدين في النار وخروجهم منها برحمة أرحم الراحمين وشفاعة الشافعين .

الباب التاسع والعشرون في ذكر أكثر أهل النار .

الباب الثلاثون في ذكر صفات أهل النار وأصنافهم وأقسامهم .

* * *



الباب الأول

في ذكر الإنذار بالنار والتحذير منها

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُها النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤] .

وقال تعالى :﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[آل عمران : ١٣١] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى(١) ﴾[الليل : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿لَهُم مِنْ فوقهم ظُلَلٌ مِنَ النَّار وَمِنْ تحْتِهِمْ ظُللٌ ذَلك يُخوِّفُ الله بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فاتّقونِ ﴾ [الزمر : ١٦] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا هِيَ إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ * كَلاَّ وَالقَمَرِ * وَاللّيْلِ إِذَا

---

(١) ﴿ تلظى ﴾ : تتلهب وتتوقد .

أَدْبَرَ * [1] وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لإِحدى الكُبَرِ * نَذِيراً لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّر ﴾ [المدثر : ٣١ - ٣٧] .

قال الحسن في قوله تعالى : ﴿ نَذِيراً للبَشَرِ ﴾ ، قال : والله ما أُنذر العبادُ بشيء قط أدهى منها ، خرجه ابن أبي حاتم .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا لإِحْدَىٰ الكُبَرِ ﴾ يعني النار .

وروى سماك بن حرب ، قال : سمعت النعمان بن بشير يخطب ، يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ » حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا ، حتى وقعت خميصة [2] كانت على عاتقه عند رجليه ، خرجه الإمام أحمد .

وفي رواية له أيضاً عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ » حتى لو كان رجل في أقصى السوق لسمعه وسمع أهل السوق صوته وهو على المنبر .

وفي رواية له عن سماك قال : سمعت النعمان يخطب وعليه خميصة ، فقال : لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أَنْذَرْتُكُمُ النَّار ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّار » فلو أن رجلاً بموضع كذا وكذا سمع صوته [1] .

---

(١) ﴿ أدبر ﴾ : أي ولى وذهب . ﴿ أسفر ﴾ : أي أضاء وانكشف . ﴿ لإحدى الكُبر ﴾ : لإحدى الدواهي العظيمة .

(٢) « خميصة » : قال في « النهاية » : وهي ثوب خزّ أو صوف مُعلم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة ، وكانت من لباس الناس قديماً ، وجمعها : الخمائص .

---

١) رواه أحمد في « المسند » ٤/٢٧٢ و٢٦٨ ، واسناده حسن .

وعن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اتَّقُوا النَّارَ » قال : وأشاح ، ثم قال : « اتَّقوا النَّار » ، ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ[(١)] ثَلاَثَاً حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَقِّ تَمْرَةٍ[(٢)] ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » خرجاه في « الصحيحين »[٢] .

وخرج البيهقي باسناد فيه جهالة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ ارْغَبُوا فِيمَا رَغَّبَكُمُ الله فِيهِ ، وَاحْذَرُوا [مِمَّا حَذَّرَكُم الله مِنْهُ] ، وَخَافُوا مِمَّا خَوَّفَكُمُ الله بِهِ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ ، وَمِنْ جَهَنَّمَ ، فَإِنَّها لَوْ كَانَتْ قَطْرَةٌ مِنَ الجَنَّةِ مَعَكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا حَلَّتْها لَكُمْ ، وَلَوْ كَانَتْ قَطْرَةٌ مِنَ النَّارِ مَعَكُمْ ، فِي دُنْيَاكُمُ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا خَبَثَتْهَا عَلَيْكُمْ » .

وفي « الصحيحين »[٣] عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ ناراً ، فَجَعَلَتِ

---

(١) قال في « النهاية » : المُشِيح : الحَذِرُ والجادُّ في الأمر ، وقيل : المقبل إليك ، المانع لما وراء ظهره ، فيجوز أن يكون أشاح أحد هذه المعاني : أي حذِرَ النار كأنه ينظر إليها ، ذو جِدَّ على الإيصاء باتقائها ، أو أقبل إليك في خِطَابه .

(٢) أي نصف تمرة ، يريد أن لا تستقلوا من الصدقة شيئاً .

---

٢) البخاري رقم (١٤١٣) في الزكاة : باب الصدقة قبل الرد ، ورقم (١٤١٧) باب تصدقوا ولو بشق تمرة ، ورقم ٣٥٩٥ و٦٠٢٣ و ٦٥٣٩ و ٦٥٤٠ و ٦٥٦٣ و٧٤٤٣ و٧٥١٢) ومسلم رقم (١٠١٦) في الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ، والترمذي رقم (٢٤٢٧) في صفة القيامة : باب رقم ١ ، وأحمد في « المسند » ٢٥٦/٤ و٢٣٧٧ ، وابن ماجه رقم (١٨٥) في المقدمة : باب فيما أنكرت الجهمية ، ورقم (١٨٤٣) في الزكاة : باب فضل الصدقة . وسيرد بألفاظ متعددة ص (٢٤٩) .

٣) رواه البخاري رقم (٣٤٢٦) في الأنبياء : باب قوله تعالى : ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ وفي الرقاق : باب الانتهاء عن المعاصي ، ومسلم رقم (٢٢٨٤) في الفضائل : باب شفقته ﷺ على أمته ، والترمذي رقم (٢٨٧٧) في الأمثال : باب رقم ٧ . وأحمد في « المسند» ٢/ ٢٤٤ و٣١٢ و٥٤٠ .

الدَّوَابُّ وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فيها ، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فيها(١) .

وفي رواية لمسلم [إِنَّمَا] مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التِّي في النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا ، وجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ (٢) وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمنَ فِيهَا » قال : « فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ ، فَتَغْلِبُونِي وَتَقْتَحِمُونَ فِيها » .

وفي رواية للإمام أحمد « مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ أَيَّتُهَا الأُمَّةُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً بِلَيْلٍ ، فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهَا هَذِهِ الفَرَاشُ وَالذُّبابُ الَّتِي تَغْشَى النَّارَ ، فَجَعَلَ يَذُبُّهَا وَيَغْلِبْنَهُ إِلَّا تَقَحُّماً في النَّارِ ، وَأَنا آخُذُ بَحُجَزِكُمْ أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الجَنَّةِ وَتَغْلِبُونِي إِلَّا تَقَحُّماً فِي النَّارِ »٤ .

وخرج الإمام أحمد أيضاً من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ الله لَمْ يُحَرِّمْ حُرْمَةً إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيُطْلِعُهَا مِنْكُمْ مَطْلَعٌ ، ألا وَإِنِّي ، آخُذُ بِحُجَزِكُمْ أَنْ تَهَافَتُوا في النَّارِ ، كَتَهافُتِ الفَرَاشِ وَالذُّبَابَ »٥ .

---

(١) أي تقعون فيها ، يقال : اقتحم الإنسان الأمر العظيم وتقحمه إذا رمى نفسه فيه من غير روية وتثبت ، كما في « النهاية » .

(٢) الفراش : قال الخليل : هو الذي يطير كالبعوض . « يحجزهن » : الحجز : جمع حجزة ، وهي معقد الإزار والسراويل .

---

٤) رواه أحمد في « المسند » ٢/٥٣٩ ـ ٥٤٠ ، وهو حديث صحيح .

٥) رواه أحمد في « المسند » ١/٣٩٠ وهو حديث صحيح .

وخرج البزار والطبراني من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ فاتَّقُوا النَّارَ ، اتَّقُوا النَّارَ ، اتَّقُوا الحُدُودَ ، فَإذَا مِتُّ تَرَكْتُمْ ، وَأَنا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ (١) ، فَمَنْ وَرَدَ فَقَدْ أَفْلَحَ ، فَيُؤْتَىٰ بِأَقوامٍ وَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ، فَأَقُولُ : رَبِّ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا بَعْدَكَ يرتدُّون عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ » وفي رواية للبزار قال : « وَأَنَا آخُذُ بِحجزِكُمْ أَقُولُ : إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ ، إِيَّاكُمْ والحُدُودَ ، إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّمَ ، إِيَّاكُمْ والحُدُودَ ، إِيَّاكُمْ وَجَهَنَّم ، إِيَّاكُمْ والحُدُودَ » وذكر بقية الحديث[٦] .

وفي « صحيح مسلم »[٧] عن أبي هريرة ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] دَعَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم قُرَيْشاً فَاجْتَمَعُوا ، فَعَمَّ وَخَصَّ ، فَقَالَ : « يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ! أَنقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ ! أَنقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ! أَنقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمٍ ! أَنْقِذُوا أَنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ ! أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئاً [غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا] » .

---

(١) أي متقدمكم إليه . يقال : فَرَطَ يَفْرِطُ فهو فارطٌ وفَرَطٌ إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ، ويهيء لهم الولاء والأرشية .

---

٦) قال الهيثمي في « المجمع » : ٦/ ٢٥٤ و١٠/ ٣٦٤ : رواه أحمد والطبراني في « الكبير» والبزار ، وفي اسناده عندهم : ليث بن أبي سليم وهو مدلس ، وبقية رجالهم ثقات .

٧) رواه مسلم رقم (٢٠٤) في الإيمان : باب قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ورواه أيضاً البخاري ٣٨٦/٨ في تفسير سورة الشعراء ، وفي أبواب عدة ، والترمذي رقم (٣١٨٤) في التفسير : باب ومن سورة الشعراء ، والنسائي ٢٤٨/٦ في الوصايا : باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين ، وأحمد في « المسند » ٣٣٣/٢ و٣٥٠ و٣٦٠ و٣٩٨ و٣٩٩ و٥١٩ .

وخرج الطبراني وغيره من طريق يعلى بن الأشدق عن كليب بن حزن ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اطْلُبُوا الجَنَّةَ جُهْدَكُمْ ، وَاهْرَبُوا مِنَ النَّارِ جُهْدَكُمْ ، فَإِنَّ الجَنَّةَ لاَ يَنَامُ طَالِبُهَا وَإِنَّ النَّارَ لا يَنَامُ هَارِبُهَا ، وَإِنَّ الآخِرَةَ اليَوْمَ مَحْفُوفَةٌ بِالمَكَارِهِ ، وَإِنَّ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهواتِ ، فَلاَ تُلْهِيَنَّكُمْ عَنِ الآخِرَةِ » .

ويروى هذا الحديث أيضاً عن يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحاديث يعلى بن الأشدق باطلة منكرة .

وخرج الترمذي[8] من حديث يحيى بن عبد الله عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا ، وَلاَ مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا » ويحيى هذا ضعفوه ، وخرجه ابن مردويه من وجه آخر أجود من هذا إلى أبي هريرة .

وخرج الطبراني نحوه باسناد فيه نظر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وخرجه ابن عدي باسناد ضعيف عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال يوسف بن عطية عن المعلى بن زياد : كان هرم بن حيان يخرج في بعض الليالي وينادي بأعلى صوته : عجبت من الجنة كيف نام طالبها ، وعجبت من النار كيف نام هاربها ، ثم يقول : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يَأْتِيهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُون ﴾ الآية [الأعراف : ٩٧] .

وقال أبو الجوزاء : لو وليت من أمر الناس شيئاً اتخذت مناراً على

---

(٨) رقم (٢٦٠٤) في صفة جهنم : باب رقم ١٠ ، وإسناده ضعيف ، كما قال المؤلف رحمه الله تعالى .
وقد أورده السيوطي في « جامع الصغير » من رواية الطبراني في « الأوسط » عن أنس رضي الله عنه ، قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/ ٢٣٠ : إسناد الطبراني هذا حسن . وقال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٤٩٨) : حسن .

الطريق وأقمت عليها رجالاً ينادون في الناس : النار النار ، خرجه الامام أحمد في « كتاب الزهد » .

وخرج ابنه عبد الله في هذا الكتاب أيضاً باسناده عن مالك بن دينار ، قال : لو وجدت أعواناً لناديت في منار البصرة بالليل : النار النار ، ثم قال : لو وجدت أعواناً لفرقتهم في منار الدنيا : يا أيها الناس النار النار .

* * *

الباب الثاني

في الخوف من النار وأحوال الخائفين

قال الله تعالى : ﴿ إنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمينَ مِنْ أَنْصَار ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩٢].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بُصَيرٌ بِالعبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٥ ـ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْنَاً وَإِذَا خَاطَبهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً وَالذِيْنَ يَبِيْتُوْنَ لِربِّهِمِ سُجَّداً وَقِياماً * وَالَّذِينَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جهَنَّمَ إِنَّ عَذابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً ﴾ [الفرقان : ٦٣ ـ ٦٦] .

وقال تعالى :﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَه وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾الآية [الاسراء : ٥٧] .

وقال : ﴿ والَّذينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ [المعارج : ٢٧] .

وقال : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [ابراهيم : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُم عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِين(١)* فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾[الطور :٢٥ ـ ٢٧] .

قال ابراهيم التيمي : ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار ، لأن أهل الجنة قالوا : ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [فاطر : ٣٤] ، وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور : ٢٦] .

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يستعيذ من النار ويأمر بذلك في الصلاة وغيرها ، والأحاديث في ذلك كثيرة .

وقال أنس : كَانَ أَكْثَرُ دَعَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] خرجه البخاري[٩] .

وفي « كتاب النسائي » [١٠] عن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه

---

(١) ﴿ مشفقين ﴾ : أي خائفين من العاقبة . ﴿ عذاب السموم ﴾ : أي نار جهنم النافذة في المسام .

---

٩) البخاري رقم (٤٥٢٢) في تفسير سورة البقرة: باب (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنةً. . .﴾ ورقم (٦٣٨٩) في الدعوات : باب قول النبي ﷺ : «ربنا آتنا في الدنيا حسنة » ، ومسلم رقم (٢٦٩٠) في الذكر والدعاء : باب فضل الدعاء باللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وأبو داوود رقم (١٥١٩) في الصلاة : باب في الاستغفار والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (١٠٥٤ ـ ١٠٥٥) ، وأحمد في « المسند » ١٠١/٣ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢٤٧ و ٢٧٧ .

١٠) رواه النسائي ٢٧٨/٨ ـ ٢٧٩ في الاستعاذة : باب الاستعاذة من حر النار ، وهو حديث صحيح ، انظر

وآله وسلم يقول : « اللَّهُم إِنِّي أَعُوذُ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » .

وفي « سنن أبي داود » و« ابن ماجه » عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لِرجل : « كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ » قال : أَتشهد ، ثم أقول : اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّار ، أما إنِّي لاَ أُحْسِنُ دَنْدَنَتِكَ وَلاَ دَنْدَنَةِ مُعاذٍ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « حَوْلَهُمَا نُدَنْدِنْ (١) » ، وخرجه البزار ولفظه « وَهَلْ أُدَنْدِنْ أَنَا وَمُعاذُ إلاَّ لِنَدْخُلَ الجَنَّةَ وَنُعاذُ مِنَ النَّارِ » [11] .

وفي « مسند الامام أحمد » [12] بإسنادٍ منقطع عن سليم الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال له : « يا سُلَيْمُ مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ ؟ » قال : إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ، والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وَهَلْ تَصِيرُ دَنْدَنَتِي وَدَنْدَنَةُ مُعاذٍ إلاَّ أَنْ نَسْأَلَ الله الجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ » .

وروينا من حديث سويد بن سعيد ، حدّثنا حفص بن ميسرة ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ يَرْجُوهَا ، وَيُجَنَّبُ النَّارَ مَنْ يَخَافُهَا ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ الله مَنْ

(١) الدندنة : أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يفهم ، وهو أرفع من الهينمة قليلاً . والضمير في « حولهما » للجنة والنَّارِ : أي حولهما ندندن وفي طلبهما .

« جامع الاصول » رقم (٢٣٨١) بتحقيق استاذنا الشيخ عبد القادر الارناؤط حفظه الله ، وهو من منشوراتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق .

(١١) رواه أبو داود رقم (٧٩٢) و (٧٩٦) في الصلاة : باب في تخفيف الصلاة ، وابن ماجه رقم (٩١٠) في إقامة الصلاة : باب ما يقال في التشهد و (٣٨٤٧) في الدعاء : باب الجوامع من الدعاء . وأحمد في « المسند» ٣/ ٤٧٤ . قال البوصيري في « الزوائد» : اسناده صحيح ورجاله ثقات .

(١٢) رواه أحمد في « المسند» ٥/ ٧٤ ، في اسناده رجل من بني سلمة يقال له سليم وهو مجهول .

يَرْحَمْ » وخرجه أبو نعيم(1) وعنده « وَإِنَّمَا يَرْحَمُ الله مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ » وقال : غريب من حديث زيد مرفوعاً متصلاً تفرد به حفص ، ورواه ابن عجلان عن زيد مرسلاً ، انتهى ، والمرسل أشبه .

وقال عمر : لو نادى مناد من السماء : أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم الا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا هو . خرجه أبو نعيم(2) .

وخرج الإمام أحمد من طريق عبد الله بن الرومي قال : بلغني أن عثمان رضي الله عنه ، قال : لو أني بين الجنة والنار ـ ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي ـ لاخترت أن اكون رماداً قبل أن أعلم الى أيتها أصير .

فصل
[الخوف من عذاب جهنم لا ينجو منه أحد]

والخوف من عذاب جهنم لا ينجو منه أحد من الخلق ، وقد توعد الله سبحانه خاصة خلقه على المعصية ، قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً ﴾ [الاسراء : ٣٩] وقال في حق الملائكة المكرمين : ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِن دُونِهُ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩] .

وثبت من حديث عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الشفاعة [13] ، قال : « فَيَأْتُونَ آدَمَ »

---

(1) الحلية » ٣/٢٢٥ .
(2) « الحلية » ١/٥٣ .

---

١٣) حديث الشفاعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري رقم (٣٣٤٠) في الأنبياء : باب قول الله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ وباب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلاً ﴾ ، وفي تفسير =

وذكر الحديث ، وقال : « فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَب قَبْلَه مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَعَصَيْتُهُ ، فَأَخَافُ أَنْ يَطْرَحَنِي فِي النَّارِ ، انْطَلِقوا إلىٰ غَيْرِي ، نَفْسِي نَفْسِي » وذكر في نوح وابراهيم وموسى وعيسى مثل ذلك كلهم يقول : « إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرَحَنِي فِي النَّارِ » خرجه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة ، عن جرير ، عن عمارة به ، وخرجه مسلم في « صحيحه » عن أبي خيثمة إلا أنه لم يذكر لفظه بتمامه ، وخرجه البخاري من وجه آخر بغير هذا اللفظ ، « وَلَمْ يَزَلِ الأَنْبِيَاءُ والصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ يَخَافُون النَّارَ وَيَخُوِّفُونَ مِنْهَا » ، فأما ما يذكر عن بعض العارفين من عدم خشية النار فالصحيح منه له وجه ، سنذكره إن شاء الله تعالى .

قال ابن المبارك : أنبأني عمر بن عبد الرحمن بن مهدي ، سمعت وهب بن منبه ، يقول : قال حكيم من الحكماء : إني لأستحي من الله عزّ وجلّ أن أعبده رجاء ثواب الجنة ـ أي قط ـ فأكون كالأجير السوء إن أعطي عمل وإن لم يعط لم يعمل ، وإني لأستحي من الله أن أعبده مخافة النار ، أي قط فأكون كعبد السوء ، إن رهب عمل وأن لم يرهب لم يعمل ، وإنه يستخرج حبه مني ما لا يستخرجه مني غيره ، خرجه أبو نعيم بهذا اللفظ[1] ، وفي تفسير لهذا الكلام من بعض رواته ، وهو أنه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده أو على وجه الخوف وحده ، وهذا حسن .

---

(١) « الحلية » ٤/ ٥٣ ـ ٥٤ .

= سورة بني اسرائيل : باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذي رقم (٢٤٣٦) في صفة القيامة : باب ما جاء في الشفاعة ، وأحمد في« المسند» ٢/ ٥٤٠ .

وكان بعض السلف يقول : من عَبَدَ الله بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن . وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة : المحبة والخوف والرجاء ، ولا بد له من جميعها ، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان ، وكلام هذا الحكيم يدل على أن الحب ينبغي أن يكون أغلب من الخوف والرجاء .

وقد قال الفضيل بن عياض : المحبة أفضل من الخوف ، ثم استشهد بكلام هذا الحكيم الذي حكاه عنه وهب ، وكذا قال يحيى بن معاذ قال : حسبك من الخوف ما يمنع من الذنوب ولا حسب من الحب أبداً .

فأما الخوف والرجاء فأكثر السلف على أنهما يستويان لا يرجح أحدهما على الآخر ، قاله مطرف والحسن وأحمد وغيرهم ، ومنهم من رجح الخوف على الرجاء ، وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان الداراني .

ومن هذا أيضاً قول حذيفة المرعشي : إن عبداً يعمل على خوف لعبد سوء ، وإن عبداً يعمل على رجاء لعبد سوء كلاهما عندي سواء ، ومراده إذا عمل على إفراد أحدهما عن الآخر .

وقال وهيب بن الورد : لا تكونوا كالعامل يقال له : تعمل كذا وكذا ، فيقول : نعم إن أحسنتم لي من الأجر ، ومراده ذم من لا يلحظ في العمل إلا الأجر ، وهؤلاء العارفون لهم ملحظان :

أحدهما : أن الله تعالى يستحق لذاته أن يطاع ويحب ، ويبتغي قربه والوسيلة إليه ، مع قطع النظر عن كونه يثيب عباده ويعاقبهم كما قال القائل :

هَبِ الْبَعْثَ لَمْ تَأْتِنَا رُسْلُهُ　　وَجَاحِمَةُ النَّارِ لَمْ تُضْرِمِ
أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَـ　　ـحِقِّ حَيَاءُ الْعِبَادِ مِنَ الْمُنْعِمِ

وقد أشار هذا إلى أن نعمه على عباده تستوجب منهم شكره عليها وحياءهم منه ، وهذا هو الذي أشار اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قام حتى تورمت قدماه ، فقيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً » [١٤] .

والملحظ الثاني : أن أكمل الخوف والرجاء ما تعلق بذات الحق سبحانه دون ما تعلق بالمخلوقات في الجنة والنار ، فأعلى الخوف خوف البعد والسخط والحجاب عنه سبحانه ، كما قدم سبحانه ذكر هذا العقاب لأعدائه على صليهم النار في قوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الجَحِيمِ ﴾ [المطففين : ١٥ - ١٦] .

وقال ذو النون : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي ، كما أن أعلى الرجاء ما تعلق بذاته سبحانه من رضاه ورؤيته ومشاهدته وقربه ، ولكن قد يغلط بعض الناس في هذا فيظن أن هذا كله ليس بداخل في نعيم الجنة ولا في مسمى الجنة إذا أطلقت ، ولا في مسمى عذاب النار أو في مسمى النار إذا أطلقت ، وليس كذلك ؟

وبقي ها هنا أمر آخر وهو أن يقال : ما أعده الله في جهنم من أنواع

---

١٤) البخاري رقم (٤٨٣٧) في تفسير سورة الفتح : باب قوله : ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ، ومسلم رقم (٢٨٢٠) في صفات المنافقين : باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، وأحمد في « المسند » ٦/١١٥ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

ورواه البخاري رقم (١١٣٠) في المجتهد : باب قيام النبي ﷺ ، ورقم (٤٨٣٦) في تفسير الفتح ، ورقم (٦٤٧١) في الرقاق : باب الصبر على محارم الله ، ومسلم رقم (٢٨١٩) في صفات المنافقين : باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، والترمذي رقم (٤١٢) في الصلاة : باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة ، والنسائي ٣/٢١٩ في قيام الليل : باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل ، وابن ماجه رقم (١٤١٩) في إقامة الصلاة : باب ما جاء في طول القيام في الصلوات ، وأحمد في « المسند » ٤/٢٥١ و ٢٥٥ ، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

قوله « شكوراً » قال القاضي : الشكر معرفة إحسان المحسن والتحدث به ، وسميت المجازاة على فعل الجميل شكراً لأنها تتضمن الثناء عليه ، وشكر العبد لله سبحانه وتعالى اعترافه بنعمه وثناؤه عليه وتمام مواظبته على طاعته وأما شكر الله تعالى أفعال عباده فمجازاته إياهم عليها ، وتضعيف ثوابها وثناؤه بما أنعم به عليهم ، فهم المعطي والمثني سبحانه ، والشكور من أسمائه سبحانه وتعالى بهذا المعنى .

العذاب المتعلق بالأمور المخلوقة لا يخافها العارفون ، كما أن ما أعده الله في الجنة من أنواع النعيم المتعلق بالأمور المخلوقة لا يحبه العارفون ولا يطلبونه ، وهذا أيضاً غلط ، والنصوص الدالة على خلافه كثيرة جداً ظاهرة ، وهو أيضاً مناقض لما جبل الله عليه الخلق من محبة ما يلائمهم وكراهة ما ينافرهم ، وإنما صدر مثل هذا الكلام ممن صدر منه في حال سكره واصطلامه واستغراقه وغيبة عقله ، فظن أن العبد لا يبقى له إرادة أصلاً ، فإذا رجع إليه عقله وفهمه علم أن الأمر على خلاف ذلك .

ونحن نضرب لذلك مثلاً يتضح به هذا الأمر إن شاء الله تعالى ، وهو أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة واستدعاهم الرب سبحانه إلى زيارته ومشاهدته ومحاضرته يوم المزيد ، فإنهم ينسون عند ذلك كل نعيم عاينوه في الجنة قبل ذلك ، ولا يلتفتون الى شيء مما هم فيه من نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم سبحانه ،ويحقرون كل نعيم في الجنة حين ينظرون الى وجهه جل جلاله[14] ، كما جاء في أحاديث يوم المزيد ، فلو أنهم ذكروا حينئذ بشيء من نعيم الجنة لأعرضوا عنه، ولأخبروا أنهم لا يريدونه في تلك الحال ، وكذلك لو خوفوا عذاباً ونحوه لم يلتفتوا إليه ، وربما لم يستشعروا ألمه في تلك الحال ، وإنما يحذرون حينئذ من الحجاب عما هم فيه والبعد عنه ، فإذا رجعوا إلى منازلهم رجعوا إلى ما كانوا عليه من التنعم بأنواع النعيم المخلوق لهم ، بل يزداد نعيمهم بذلك مع شدة شوقهم الى يوم المزيد ثانياً .

فهكذا حال العارفين الصادقين في الدنيا إذا تجلى على قلوبهم أنوار الإحسان واستولى عليها المثل الأعلى ، فان هذا من شواهد ما يحصل لهم

---

١٤) روى مسلم رقم (١٨١) في الايمان : باب اثبات رؤ ية المؤمنين في الآخرة ربهم عز وجل ، والترمذي رقم (٢٥٥٥) في صفة الجنة : باب ما جاء في رؤ ية الرب تبارك وتعالى من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه ما لفظه : « اذا دخل أهل الجنةِ الجنة ، يقول تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى » زاد في رواية : « ثم تلا هذه الآية ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [يونس : ٢٦] .

في الجنة يوم المزيد ، فهم لا يلتفتون في تلك الحال الى غير ما هم فيه من الأنس بالله والتنعم بقربه وذكره ومحبته حتى ينسوا ذكر نعيم الجنة ، ويصغر عندهم بالنسبة الى ما هم فيه ، ولا يخافون حينئذ أيضاً غير حجبهم عن الله وبعدهم عنه وانقطاع مواد الأنس به ، فاذا رجعوا إلى عقولهم وسكنت عنهم سلطنة هذا الحال وقهره وجدوا أنفسهم وإرادتهم باقية ، فيشتاقون حينئذ الى الجنة ويخافون من النار ، مع ملاحظتهم لا على ما يشتاق إليه من الجنة ويخشى منه من النار .

وأيضاً فالعارفون قد يلاحظون من النار أنها ناشئة عن صفة انتقام الله وبطشه وغضبه ، والأثر يدل على المؤثر ، فجهنم دليل على عظمة الله وشدة بأسه وبطشه وقوة سطوته وانتقامه في أعدائه ، فالخوف منها في الحقيقة خوف من الله واجلال واعظام وخشية لصفاته المخوفة ، مع أن الله سبحانه يخوف بها عباده ، ويحب منهم أن يخافوه بخوفها ، وأن يخشوه بخشية الوقوع فيها ، وأن يحذروه بالحذر منها ، فالخائف من النار خائف من الله متبع لما فيه محبته ورضاه ، والله أعلم .

فصل
[في القدر الواجب من الخوف]

والقدر[1] الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فان زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات ، كان ذلك فضلاً محموداً ، فان تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً أو هماً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عزّ وجلّ لم يكن ذلك محموداً ، ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي من

---

(١) القدر : أي المقدار ، فهو منصرف إلى الكم .

شدة خوفه الذي أنساه القرآن وصار صاحب فراش ، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصوداً لذاته ، إنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها ، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه ، ولهذا المعنى عدها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن(١) .

وقال سفيان بن عيينة : خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا . أخرجه أبو نعيم(٢) . والمقصود الأصلي هو طاعة الله عزّ وجلّ وفعل مراضيه ومحبوباته وترك مناهيه ومكروهاته .

ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور واجلاله مقصود أيضاً ، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرب الى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه ، ومتى صار الخوف مانعاً من ذلك وقاطعاً عنه فقد انعكس المقصود منه ، ولكن إذا حصل ذلك عن غلبة كان صاحبه معذوراً ، وقد كان في السلف من حصل له من خوف النار أحوال شتى لغلبة حال شهادة قلوبهم للنار ، فمنهم من كان يلازمه القلق والبكاء ، وربما اضطرب أو غشي عليه اذا سمع ذكر النار .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيء من ذلك إلا أن اسناده ضعيف ، فروى حمزة الزيات عن حمران بن أعين ، قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قارئاً يقرأ ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَامَاً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً(٣) ﴾ [المزمل: ١٢ - ١٣] فصعق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وفي رواية فبكى حتى غشي عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا مرسل وحمران ضعيف ، ورواه بعضهم عن حمران عن أبي حرب بن الأسود مرسلاً أيضاً ، وقيل : إنه روي عن حمران عن ابن عمر ولا يصح .

---

(١) سورة الرحمن : ٤٤ - ٤٥ . (٢) « الحلية » ٧/٢٧٥ .

(٣) ﴿ أنكالا ﴾ : قيوداً شديدة ثقالاً . ﴿ طعاماً ذا غصة ﴾ ذا نشوب في الحلق فلا ينساغ .

وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال : لما أنزل الله عزّ وجلّ على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُم نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] تلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشياً عليه ، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على فؤاده فاذا هو يتحرك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يَا فَتَىٰ قُلْ : لَا إلهَ إلاَّ اللَّهُ » فقالها ، فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا ؟ ! فقال: « أَوَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُ تَعَالى : ﴿ ذَلْكِ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [ابراهيم : ١٤] وقد روي هذا عن ابن أبي رواد عن عكرمة عن ابن عباس ، وخرجه من هذا الوجه الحاكم وصححه[١] . ولعل المرسل أشبه .

وقال الجوزجاني في « كتاب النواحين » : حدّثنا صاحب لنا عن جعفر بن سليمان عن لقمان الحنفي ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على شاب ينادي في جوف الليل : واغوثاه من النار ، فلما أصبح قال : يَا شَابُ لَقَدْ أَبْكَيْتَ البَارِحَةَ أَعْيُنَ ملإٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ كَثِيرٌ .

وقال سليمان بن سحيم : أخبرني من رأى ابن عمر يصلي وهو يترجح ويتمايل ويتأوه حتى لو رآه غيرنا ممن يجهله لقال : لقد أصيب الرجل ، وذلك لذكر النار ، إذا مر بقوله تعالى : ﴿وإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ[٢] ﴾ [الفرقان : ١٣] أو نحو ذلك . خرجه أبو عبيد .

وفي « كتاب الزهد » للإمام احمد ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : قلت ليزيد بن مرثد : مالي أرى عينك لا تجف ، قال : وما مسألتك عنه ، قلت : عسى الله أن ينفعني به ، قال : يا أخي إن الله توعدني إن أنا

---

(١) « المستدرك » ٢/ ٣٥١ .

(٢) ﴿ مقرنين ﴾ : أي مقرونة أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال .

عصيته أن يسجنني في النار ، والله لو لم يوعدني أن يسجنني الا في الحمام لكنت حرياً أن لا تجف لي عين ، قلت له: فهكذا أنت في صلاتك ، قال : وما مسألتك عنه ، قلت : عسى الله أن ينفعني به ، قال : والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي فيحول بيني وبين ما أريد ، وإنه ليوضع **الطعام بين يدي فيعرض لي ، فيحول بيني وبين أكله حتى تبكي امرأتي** وتبكي صبياننا ما يدرون ما أبكانا ، وربما أضجر ذلك امرأتي فتقول : يا ويحها ما خصه من طول الحزن معك في الحياة الدنيا ما يقر لي معك عين .

وقال يزيد بن حوشب : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما .

وروى ضمرة عن حفص بن عمر ، قال : بكى الحسن ، فقيل : ما يبكيك ، قال : أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي .

وعن الفرات بن سليمان ، قال : كان الحسن يقول : إن المؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى ، وهم والله أصحاب القلوب ، ألا تراه يقول : ﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَا الحَزَنَ ﴾ [فاطر : ٣٤] والله لقد كابدوا في الدنيا حزناً شديداً وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم ، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار . وروى ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن نحوه .

وروى ابن أبي الدنيا من حديث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال : سمعت عبد الله بن حنظلة يوماً وهو على فراشه ،وعدته من علته ، فتلا رجل عنده هذه الآية ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غواشٍ[1] ﴾ [الأعراف : ٤١] فبكى حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، وقال : صاروا بين

---

(١) ﴿ مهاد ﴾ : أي فراش ، أي مستقر . ﴿ غواش ﴾ : جمع غاشية ، أغطية .

أطباق النار ، ثم قام على رجليه ، فقال قائل : يا أبا عبد الرحمن اقعد ، قال : منعني القعود ذكر جهنم ، ولا أدري لعلي أحدهم .

ومن حديث عبد الرحمن بن مصعب أن رجلاً كان يوماً على شط الفرات فسمع تالياً يتلو ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤] فتمايل، فلما قال التالي: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُم فِيهِ مُبْلِسُونَ [1]﴾[الزخرف: ٧٥] سقط في الماء فمات .

ومن حديث أبي بكر بن عياش ، قال : صليت خلف فضيل بن عياض صلاة المغرب وإلى جانبي علي ابنه فقرأ الفضيل ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ فلما بلغ ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ [التكاثر : ٦] سقط علي مغشياً عليه ، وبقي الفضيل لا يقدر يجاوز الآية ، ثم صلى بنا صلاة خائف ، قال : ثم رابطت علياً فما أفاق إلا في نصف الليل .

وروى أبو نعيم باسناده عن الفضيل قال : أشرفت ليلة على علي وهو في صحن الدار ، وهو يقول : النار ، ومتى الخلاص من النار[2] .

وكان علي يوماً عند ابن عيينة فحدث سفيان بحديث في ذكر النار ، وفي يد علي قرطاس في شيء مربوط فشهق شهقة ووقع ورمى بالقرطاس أو وقع من يده ، فالتفت إليه سفيان ، فقال : لو علمت أنك ها هنا ما حدثت به ، فما أفاق إلا بعدما شاء الله[3] .

وقال علي بن خشرم : سمعت منصور بن عمار يقول : تكلمت يوماً في المسجد الحرام فذكرت شيئاً من صفة النار ، فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غشي عليه وطرح نفسه .

---

(١) ﴿ مبلسون ﴾ : أي ساكنون ، أو محزونون من شدة اليأس .

(١) « الحلية » ٨/٢٩٧ . (٢) « الحلية » ٨/٢٩٨ .

وفي «الحلية» لأبي نعيم[1] أن علي بن فضيل صلى خلف إمام قرأ في صلاته سورة الرحمن ، فلما سلم ، قيل لعلي : أما سمعت ما قرأ الإمام ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٢] فقال : شغلني عنها ما قبلها ﴿ يُرْسَلُ عَلَيكُمَا شُوَاظٌ مِن نارٍ وَنُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ[2] ﴾ [الرحمن : ٣٥] .

وقال ابن أبي ذئب : حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز ـ وهو أمير المدينة ـ وقرأ عنده رجل ﴿ إذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنالكَ ثُبوراً[3] ﴾ [الفرقان : ١٣] فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه ، فقام من مجلسه ودخل بيته وتفرق الناس .

وقال أبو نوح الأنصاري : وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد ، فجعلوا ينادونه : يا ابن رسول الله النار ، فما رفع رأسه حتى أطفئت ، فقيل : ما الذي ألهاك عنها ، قال : النار الأخرى .

قال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان يقول : ربما مثل لي رأسي بين جبلين من نار ، وربما رأيتني أهوي فيها حتى أبلغ قرارها ، فكيف تهنأ الدنيا من كانت هذه صفته ، قال أحمد : وحدثني أبو عبد الرحمن الأسدي ، قال : قلت لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ، فقال : يا ابن أخي وما سؤالك عن ذلك : قلت : يا عم لعل الله أن ينفعني به ، قال : ما قمت في صلاتي إلا مثلت لي جهنم .

وقال سرار أبو عبد الله : عاتبت عطاء السلمي في كثرة بكائه ، فقال لي : يا سرار كيف تعاتبني في شيء ليس هو لي ، إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل وعقابه ، تمثلت لي نفسي بهم ، فكيف

---

(١) «الحلية» ٨/٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

(٢) ﴿ شواظ ﴾ : أي لهب خالص لا دخان فيه .

(٣) ﴿ ثبوراً ﴾ : هلاكاً ، فقالوا : واثبوراه .

لنفسٍ تغل يداها إلى عنقها وتسحب الى النار أن لا تبكي وتصيح ؟ وكيف لنفس تعذب أن لا تبكي ؟

قال العلاء بن زياد : كان إخوان مطرف عنده ، فخاضوا في ذكر الجنة والنار ، فقال مطرف : لا أدري ما تقولون حال ذكر النار بيني وبين الجنة .

وقال عبدالله بن أبي الهذيل : لقد شغلت النار من يعقل عن ذكر الجنة .

وعوتب يزيد الرقاشي على كثرة بكائه ، وقيل له : لو كانت النار خلقت لك ما زدت على هذا ، فقال : وهل خلقت النار إلا لي ولأصحابي ولإخواننا من الجن والإنس ، أما تقرأ ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلانِ ﴾ [الرحمن : ٣١] أما تقرأ ﴿ يُرسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِن نارٍ وَنُحاسٌ فلا تَنْتَصِرانِ ﴾ [الرحمن : ٣٥] فقرأ حتى بلغ ﴿ يَطُوفون بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ [1] ﴾ [الرحمن : ٤٤] وجعل يجول في الدار ويصرخ ويبكي حتى غشي عليه .

وقرىء على رابعة العدوية آية فيها ذكر النار فصرخت ثم سقطت ، فمكثت ما شاء الله لم تفق .

ودخل ابن وهب الحمام فسمع قارئاً يقرأ ﴿ وَإذْ يَتَحاجُّوْنَ فِي النَّارِ ﴾ [غافر : ٤٧] فسقط مغشياً عليه ، فغسل عنه بالنورة [2] وهو لا يعقل .

ولما أهديت معاذة العدوية الى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله بيتاً مطيباً ، فقام يصلي حتى أصبح ، وفعلت معاذة كذلك ، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله ، فقال له : إنك أدخلتني بالأمس بيتاً أذكرتني به النار ، ثم أدخلتني بيتاً أذكرتني به الجنة ، فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت .

---

(١) ﴿ حميم آن ﴾ : ماءٌ حارٌ تناهى حرُه .

(٢) قال في « اللسان » : النورة : الهِناءُ ، والنورة من الحجر الذي يحرق ويُسوَّى منه الكلس ويحلق به شعر العانة.

قال العباس بن الوليد عن أبيه : كان الأوزاعي اذا ذكر النار لم يقطع ذكرها ولم يقدر أحد يسأله عن شيء حتى يسكت ، فأقول بيني وبين نفسي : ترى بقي أحد في المجلس لم يتقطع قلبه حسرات .

كانت آمنة بنت أبي الورع من العابدات الخائفات وكانت إذا ذكرت النار قالت : أدخلوا النار وأكلوا وشربوا من النار وعاشوا ، ثم تبكي ، وكانت كأنها حبة على مقلى ، وكانت اذا ذكرت النار بكت وأبكت .

قال عبد الواحد بن زيد : لم أر مثل قوم رأيتهم هجمنا مرة على نفر من العباد في سواحل البحر فتفرقوا حين رأونا ، فما كنت تسمع عامة الليل إلا الصراخ والتعوذ من النار ، فلما أصبحنا تعقبنا آثارهم فلم نر منهم أحداً .

فصل

[من السلف من إذا رأى النار اضطرب وتغيرت حاله]

وكان من السلف من إذا رأى النار اضطرب وتغيرت حاله ، وقد قال تعالى : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاها تَذْكِرَةً ﴾ [الواقعة : ٧٣] قال مجاهد وغيره : يعني أن نار الدنيا تذكر بنار الآخرة .

وقال أبو حيان التيمي : سمعت منذ ثلاثين سنة أو أكثر من ثلاثين سنة أن عبد الله بن مسعود مر على الذين ينفخون على الكير فسقط . خرجه الإمام أحمد .

وخرج ابن أبي الدنيا من رواية سعد بن الأخرم ، قال : كنت أمشي مع ابن مسعود فمر بالحدادين وقد أخرجوا حديداً من النار ، فقام ينظر اليه ويبكي .

وعن عطاء الخراساني قال : كان أويس القرني يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير ، ويسمع صوت النار فيصرخ ثم يسقط .

وعن ابن أبي الذباب : أن طلحة وزيداً مرًا بكير حداد ، فوقفا ينظران إليه ويبكيان .

وقال الأعمش : أخبرني من رأى الربيع بن خيثم مرَّ بالحدادين فنظر الى الكير وما فيه فخرَّ .

وقال مطر الوراق : كان حممة وهرم بن حيان إذا أصبحا غديا فمرا بأكورة الحدادين ، فنظرا الى الحديد كيف ينفخ ، فيقفان ويبكيان ، ويستجيران من النار .

وقال حماد بن سلمة عن ثابت : كان بشير بن كعب وقراء البصرة يأتون الحدادين فينظرون إلى شهيق النار فيتعوذون بالله من النار .

وعن العلاء بن محمد قال : دخلت على عطاء السلمي فرأيته مغشياً عليه ، فقلت لامرأته : ما شأنه ؟ قالت : سجرت جارة لنا التنور فلما نظر إليه غشي عليه .

وعن معاوية الكندي قال : مر عطاء السلمي على صبي معه شعلة نار فأصابت النار الريح ، فسمع ذلك منها ، فغشي عليه .

وقال الحسن : كان عمر رضي الله عنه ربما توقد له النار ثم يدني يديه منها ، ثم يقول : يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر .

وكان الأحنف بن قيس : يجيء الى المصباح بالليل فيضع أصبعه فيه ثم يقول : حس حس[١] ، ثم يقول : يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ، ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

وقال البختري بن حارثة : دخلت على عابد ، فإذا بين يديه نار قد أججها ، وهو يعاتب نفسه ولم يزل يعاتبها حتى مات .

---

(١) حسّ حسّ : الحسّ : القتل والاستئصال ،وحس اللحم : جعله على الحجر .

وكان كثير من الصالحين يذكر النار وأنواع عذابها برؤ ية ما يشبهه بها في الدنيا ، أو يذكره بها كرؤ ية البحر وأمواجه والرؤوس المشوية ، وبكاء الأطفال ، وفي الحر والبرد ، وعند الطعام والشراب وغير ذلك ، وسنذكر ما تيسر من ذلك مفرقاً في مواضعه إن شاء الله تعالى .

وقد سبق أن منهم من كان يذكر النار بدخول الحمام ، وروى ليث عن طلحة قال : انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وهو يقول لنفسه : ذوقي نار جهنم ذوقي ﴿ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ [التوبة : ٨١] جيفة بالليل بطالة بالنهار، فبينا هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ظل شجرة فأتاه ، فقال : غلبتني نفسي ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله سلم : « أَلَمْ يَكُنْ لَكَ بُدٌّ مِنَ الَّذِي صَنَعْتَ ، لَقَدْ فُتِحَتْ لَكَ أَبْوَاب السَّمَآءِ ، وَلَقَدْ بَاهَى اللهُ بِكِ المَلاَئِكَةَ » خرجه ابن أبي الدنيا ، وهو مرسل ، وخرج الطبراني نحوه من حديث بريدة موصولاً ، وفي اسناده من لا يعرف حاله ، والله أعلم .

فصل

[من الخائفين من منعه خوف جهنم من النوم]

ومن الخائفين من منعه خوف جهنم من النوم .

قال أسد بن وداعة : كان شداد بن أوس إذا أوى الى فراشه كأنه حبة على مقلى ، فيقول : اللهم إن ذكر جهنم لا يدعني أنام ، فيقوم الى مصلاه .

وقال أبو سليمان الداراني : كان طاووس يفترش فراشه ثم يضطجع عليه فيتقلى كما تقلى الحبة على المقلى ، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ، ويقول : طير ذكر جهنم نوم العابدين .

وقال مالك بن دينار : قالت ابنة الربيع بن خيثم : يا أبت ما لك لا تنام والناس ينامون ؟ فقال : إن النار لا تدع أباك ينام .

وكان صفوان بن محرز : إذا جنه الليل يخور كما يخور الثور ، ويقول : منع خوف النار مني الرقاد .

وكان عامر بن عبد الله يقول : ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، وما رأيت مثل النار نام هاربها ، فكان إذا جاء الليل قال : أذهب حر النار النوم ، فما ينام حتى يصبح ، وإذا جاء النهار قال : أذهب حر النار النوم ، فما ينام حتى يمسي ، وروي عنه أنه كان يتلوى كما يتلوى الحب في المقلي، ثم يقوم فينادي : اللهم إن النار قد منعتني من النوم فاغفر لي . وروي عنه أنه قيل له : ما لك لا تنام ، قال : إن ذكر جهنم لا يدعني أنام .

وقال الحر بن حصين الفزاري : رأيت شيخاً من بني فزارة أمر له خالد ابن عبد الله بمائة ألف ، فأبى أن يقبلها ،وقال: أذهب ذكر جهنم حلاوة الدنيا من قلبي ، قال : وكان يقوم إذا نام الناس ، فيصيح : النار النار النار .

وكان رجل من الموالي يقال له : صهيب ، وكان يسهر الليل ويبكي ، فعوتب على ذلك ، وقالت له مولاته ، أفسدت على نفسك ، فقال : إن صهيباً إذا ذكرَ الجنة طال شوقه ، وإذا ذكر النار طار نومه .

وعن ابن مهدي قال : ما كان سفيان الثوري ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي : النار النار ، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه : اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم ، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار .

وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

إذَا مَـا الَّـلـيْـلُ أَظْـلَـمَ كَـابَـدُوهُ ... فَـيُـسْـفِـرُ عَـنْـهُـمُ وَهُـمُ رُكُـوعُ
أَطَـارَ الْـخَـوْفُ نَـوْمَهُـمُ فَقَـامُـوا ... وَأَهْـلُ الْأَمْنِ في الـدُّنْيَـا هُجُوعُ[1]

وقال ابن المبارك أيضاً :

---

(١) هجوع: قال في «النهاية»: الهجع والهجعة والهجيع: طائفة من الليل، والهجوع: النوم ليلاً.

وَمَا فُرْشُهُمْ إلاَّ أَيَامِنُ أُزْرِهِمْ ... وَمَا وُسْدُهُم إلاَّ مِلاَءٌ وَأَذْرُعُ
وَمَا لَيْلُهُمْ فِيهِنَّ إلاَّ تَخَوُّفُ ... وَمَا نَوْمُهُمْ إلاَّ عُشَاشٌ مُرَوَّعُ
وَأَلْوَانُهُمْ صُفْرٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ... عَلَيْهَا جِسَادٌ هِيَ بِالْوَرْس[1] مُشْبَعُ
نَواحِلُ قَدْ أَزْرَىٰ بِهَاالْجُهْدُ[2] والسَّرى ... إلى اللّٰه في الظَّلْمَاءَ والنَّاسُ هُجَّعُ
وَيَبْكُونَ أَحْيَانَاً كَأَنَّ عَجِيجَهُمْ[3] ... إذا نَوَّمَ النَّاسَ الْحَنِينُ الْمُرَجَّعُ
وَمَجْلِسُ ذِكْرٍ فِيهِمُ قَدْ شَهِدْتُهُ ... وَأَعْيُنُهُمْ مِنْ رَهْبَةِ اللّٰهِ تَدْمَعُ

وكان عباد بن زياد التيمي له إخوة متعبدون ، فجاء الطاعون فاخترمهم فقال يرثيهم :

فِتْيَةٌ يُعْرَفُ التَّخَشُّعُ فِيهِمْ ... كُلُّهُمْ أَحْكَمَ الْقُرآنَ غُلاَماً
قَدْ بَرَىٰ جِلْدَهُ التَّهَجُّدُ حَتَّى ... عَادَ جِلْدَاً مُصَفراً وَعِظَامَا
تَتَجَافَى عَنِ الْفِرَاشِ مِنْ الْخَوْ ... فِ إذا الْجَاهِلُون بَاتُوا نِيَامَا
بِأَنِينٍ وَعَبْرَةٍ وَنَحِيبٍ ... وَيَظَلُّوَن بِالنَّهَارِ صِيَامَاً
يَقْرَؤُون القُرآن لاَ رَيْبَ فِيهِ ... وَيَبِيتُون سُجَّدَاً وَقِيَامَاً

فصل

[من منعه خوف النار من الضحك]

ومنهم من منعه خوف النار من الضحك .

وقال اسماعيل السدي : قال الحجاج لسعيد بن جبير : بلغني أنك لم تضحك قط ، قال : كيف أضحك وجهنم قد سعرت ، والأغلال قد نصبت ، والزبانية قد أعدت .

---

(١) الورس : نبت أصفر يصبغ به .
(٢) الجُهْد : بضم الجيم : الشيء القليل يعيش به المقل على جهد العيش وهو بالفتح المشقة ، وقيل المبالغة والغاية .
(٣) العج : رفع الصوت بالتلبية .

وقال عثمان بن عبد الحميد : وقع في جيران غزوان حريق فذهب يطفئه ، فوقعت شرارة على أصبع من أصابعه ، فقال : ألا أراني قد أوجعتني نار الدنيا ، والله لا يراني الله ضاحكاً حتى أعرف أينجيني من نار جهنم أم لا ؟

وقد كان جماعة من السلف قد عاهدوا الله أن لا يضحكوا أبداً حتى يعلموا أين مصيرهم الى الجنة أم الى النار ؛ منهم حممة الدوسي والربيع بن خراش وأخوه ربعي وأسلم العجلي ووهيب بن الورد وغيرهم .

وروى يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، قال: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبريل معه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هدة فقال : « يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الهدَّةُ ؟ » قال : حَجَرٌ أَرْسَلَهُ اللهُ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَهُو يَهْوِي فِيهَا مُنْذُ سَبْعِينَ عَاماً ، فَبَلَغَ قَعْرَهَا الآنَ ، قال : فما ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك إلا أن يتبسم تبسماً . خرجه ابن أبي الدنيا وغيره ؛ ويزيد الرقاشي شيخ صالح لا يحفظ الحديث .

وخرج الطبراني باسناد ضعيف الى أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم معناه ، وفي حديثه قال : فما رؤي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضاحكاً حتى قبض ؛ وسيأتي امتناع الملائكة من الضحك منذ خلقت جهنم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفي حديث أبي ذر الطويل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت : يا رسول الله ما كانت صحف موسى ، قال : « كَانَتْ عِبراً كُلَّهَا ، عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالمَوْتِ وَهُوَ يَفْرَحُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ وَهُوَ يَضْحَكُ » وذكر الحديث بطوله . خرجه ابن حبان في « صحيحه » وغيره [15] .

---

١٥) قطعة من حديث طويل رواه ابن حبان رقم (٩٤) « موارد » وفي اسناده ابراهيم بن هشام الغساني ، قال أبو حاتم وغيره : كذاب .

فصـــل
[من حدث له من خوفه من النار مرض]

ومنهم من حدث له من خوفه من النار مرض ، ومنهم من مات من ذلك .

وكان الحسن يقول في وصف الخائفين : قد براهم الخوف فهم أمثال القداح ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى وما بهم مرض ، ويقول : قد خولطوا وقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم .

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ الى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَالَهُ مِن دَافِعٍ ﴾ [الطور : ٧ - ٨] قال عمر : قسم ورب الكعبة حق ، ثم رجع الى منزله فمرض شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه .

وكان جماعة من عُبَّادِ البصرة مرضوا من الخوف ولزموا منازلهم كالعلاء ابن زياد وعطاء السلمي ؛ وكان عطاء قد صار صاحب فراش عدة سنين . وكانوا يرون أن بدء مرض عمر بن عبد العزيز الذي مات فيه كان من الخوف .

وروى الامام أحمد عن حسين بن محمد عن فضيل عن محمد بن مطرف ، قال : حدثني الثقة أن شاباً من الأنصار دخل خوف النار قلبه فجلس في البيت ، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام إليه فاعتنقه ، فشهق شهقة خرجت نفسه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «جَهِزُوا صَاحِبَكُمْ فَلَذَ خَوْفُ النَّارِ كَبِدَهُ »[1] . ورواه ابن المبارك عن محمد بـن مطرف به بنحوه ؛ وروي من وجه آخر متصلاً ؛ خرجه ابن أبي الدنيا .

---

(١) أي قطع خوف النار كبده .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، حدّثنا خازم بن جبلة بن أبي نضرة العبدي ، عن أبي سنان، عن الحسن، عن حذيفة، قال: كان شاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما نظر إليه الشاب قام إليه واعتنقه وخر ميتاً ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « جَهزوا صاحبكُمْ ، فإنَّ الفرْقَ مِنَ النَّار فلذ كَبدِه ، والذي نفسي بيده لقد أعاذَهُ اللّه مِنْها فَمن رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه » والمرسل أصح ، وخازم بن جبلة قال ابن مخلد الدوري الحافظ : لا يكتب حديثه .

وقال حفص بن عمـر الجعفي : اشتكى داود الطائي أياماً ، وكان سبب علته أنه مر بآية فيها ذكر النار فكررها مراراً في ليلته فأصبح مريضاً ، فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة . خرجه أبو نعيم .

وخرج أيضاً هو وابن أبي الدنيا وغيرهما من غير وجه قصة منصور بن عمار مع الذي مر به بالكوفة ليلاً وهو يناجي ربه ، فتلا منصور هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُها النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] الآية قال منصور : فسمعت دكدكة لم أسمع بعدها حساً ومضيت ، فلما كان من الغد رجعت ، فاذا جنازة قد أخرجت وإذا عجوز ، فسألتها عن أمر الميت ولم تكن عرفتني ، فقالت : هذا رجل لا جازاه الله خيراً مر بابني البارحة وهو قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله ، فتفطرت مرارته فوقع ميتاً .

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين ، حدّثني بعض أصحابنا ، حدّثني عبد الوهاب ، قال : بينا أنا جالس في الحدادين ببلخ إذ مر رجل فنظر الى النار في الكور فسقط ، فقمنا ونظرنا فإذا هو قد مات .

وبإسناده عن البختري بن يزيد عن حارثة الأنصاري أن رجلاً من العباد

وقف على كور حداد وقد كشف عنه ، فجعل ينظر إليه ويبكي ، قال : ثم شهق شهقة فمات .

قال : وحدثت عن عبد الرحيم بن مطرف بن قدامة الرؤاسي ، أنبأنا أبي عن مولى لنا ، قال : لما مات منصور بن المعتمر صاحت أمه : واقتيل جهنماه ، ما قتل ابني إلا خوف جهنم .

وروي من غير وجه أن علي بن فضيل مات من سماع قراءة هذه الآية ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ(١) فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] .

وقال يونس بن عبد الأعلى : قرأ عبد الله بن وهب كتاب الأهوال فمر في صفة النار فشهق فغشي عليه، فحمل إلى منزله وعاش أياماً، ثم مات رحمه الله .

فصل

[أحوال بعض الخائفين]

خرج مسلم في « صحيحه »[١٦] من حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثيراً » قالوا : وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : « رَأَيْتُ الجَنَّةَ والنَّارَ » .

وفي « الصحيحين »[١٧] عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « لَمَّا كُسِفَتِ الشَّمْسُ رَأَيْتُ النَّارَ ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَراً كَالْيَومِ قطُّ أَفْظَعَ مِنْهَا » .

---

(١) ﴿ وقفوا على النار ﴾ : أي عرفوها ، أو حبسوا على متنها .

---

١٦) رقم (٤٢٦) في الصلاة : باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ، والنسائي ٨٣/٣ في السجود : باب النهي عن مبادرة الإمام بالانصراف عن الصلاة .

١٧) رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي ، انظر روايات الحديث في « جامع الاصول » رقم (٤٢٧٢) .

وروى الأعمش عن مجاهد ، عن ابن عباس مرفوعاً « لَوْ أُبْرِزَتِ النَّارُ لِلْنَّاسِ مَا رَآها أَحَدٌ إلاَّ مَاتَ » . وروي موقوفاً .

وخرج أبو يعلى الموصلي في « مسنده » وغيره من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خطب فقال : « لاَ تَنْسَوُا العَظِيمَتَيْنِ : الجَنَّةَ والنَّارَ » ثُمَّ بَكَىٰ حَتَّىٰ جَرَىٰ وبلّت دُمُوعهُ جَانِبَيْ لِحْيَتِهِ ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ لَمَشَيْتُمْ إلىٰ الصَّعدَاتِ وَلَحَثَيْتُمْ عَلَىٰ رُؤُوسِكُمُ التُّرَابُ »[18] .

وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن مسعر عن عبد الأعلى : ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الجنة والنار إلا قالت الملائكة : اغفلوا العظيمتين .

وعن عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال : قطع قلوب الخائفين طول الخلودين في الجنة أو النار . وعن ابن السماك ، قال : قطع قلوب العارفين بالله ذكر الخلودين الجنة والنار .

وعن بكر المزني أن أبا موسى الأشعري خطب الناس بالبصرة ، فذكر في خطبته النار فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر ، قال : وبكى الناس يومئذ بكاء شديداً .

وعن ابراهيم بن محمد البصري قال : نظر عمر بن عبد العزيز الى رجل عنده متغير اللون ، فقال له : ما الذي أرى بك ، قال : أسقام وأمراض يا أمير

---

(١) « الصعدات » : أي الطرقات . « لحثيتم » : أي لوضعتم .

---

١٨) رواه الحافظ المنذري بلفظه في « الترغيب والترهيب » ٤/٤٥٧ ، ونسبه لأبي يعلى ولم يتكلم عليه والشطر الأخير من الحديث وهو قوله : « والذي نفس محمد بيده . . . » الحديث ، رواه الطبراني ، والحاكم والبيهقي من حديث أبي الدرداء بلفظ « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى » وهو حديث حسن ، وانظر الحاكم ٤/٥٧٩ فإن له شاهداً من حديث أبي ذر رضي الله عنه بمعناه .

المؤمنين إن شاء الله ، فأعاد عليه عمر ، فأعاد عليه الرجل مثل ذلك ثلاث مرات ، فقال : إذا أبيت إلا أن أخبرك ، فإني ذقت حلاوة الدنيا فصغر في عيني زهرتها وملاعبها ، واستوى عندي حجارتها وذهبها ، ورأيت كأن الناس يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار ، فأسهرت لذلك ليلي وأظمأت له نهاري ، كل ذلك صغير حقير في جنب عفو الله وثواب الله عز وجل وجنب عقابه .

وهذا الكلام يشبه حديث حارثه المشهور ، وهو حديث روي من وجوه مرسلاً، وروي مسنداً متصلاً من رواية يوسف بن عطية الصفار ، وفيه ضعف ، عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لشاب من الأنصار : « كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ » ، قال : أصبحت مؤمناً بالله حقاً ، قال : « أُنْظُر مَا تَقُولُ ، فإنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً » قال : يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني بعرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها والى أهل النار يتعاوون فيها ، قال : « أَبْصَرْتَ فَالْزَمْ ، عَبْدٌ نَوَّرَ الله الإيمانَ فِي قَلْبِهِ » والمرسل أصح .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدّثنا علي بن أبي الحر ، قال : أوحى الله إلى يحيى بن زكريا عليه السلام : يَا يَحْيَىٰ ! وَعِزَّتِي لَوِ اطَّلَعْتَ إلَىٰ الفِرْدَوْسَ اطِّلاعَةً لَذَابَ جِسْمُكَ وَلَزَهِقَتْ نَفْسُكَ اشْتِيَاقاً ، وَلَوْ اطَّلَعْتَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ اطِّلاعَةً لَبَكَيْت بِالصَّدِيدِ بعْدَ الدُّمُوعِ وللبست الحَدِيدَ بَعْدَ المُسُوحِ [1] .

وذكر ابن أبي الدنيا باسناده عن سفيان ، قال : كان عمر بن عبد العزيز ساكتاً وأصحابه يتحدثون ، فقالوا : ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ، قال : كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها ، ثم بكى .

---

(١) « المسوح » : المسح : الكساء من الشعر ، والجمع القليل : أمساح والكثير : مسوح .

وعن مغيث الأسود أنه كان يقول : زوروا القبور كل يوم بفكركم ، وتوهموا جوامع الخير كل يوم في الجنة بعقولكم ، وشاهدوا الموقف كل يوم بقلوبكم ، وانظروا الى المنصرف بالفريقين الى الجنة والنار بهممكم ، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها .

وعن صالح المري أنه قال : للبكاء دواعي الفكرة في الذنوب ، فان أجابت على ذلك القلوب وإلا نقلتها الى الموقف وتلك الشدائد والأهوال ، فان أجابت الى ذلك وإلا فأعرض عليها التقلب بين أطباق النيران ، قال : ثم صاح فغشي عليه ، وتصايح الناس من جوانب المسجد .

وعن أبي سليمان الداراني ، قال : خرج مالك بن دينار بالليل الى قاعة الدار وترك أصحابه في البيت ، فأقام الى الفجر قائماً في وسط الدار ، فقال لهم : اني كنت في وسط الدار خطر ببالي أهل النار فلم يزالوا يعرضون عليَّ بسلاسلهم وأغلالهم حتى الصباح .

وكان سعيد الجرمي يقول في وصف الخائفين : إذا مروا بآية من ذكر النار صرخوا منها فرقاً ، كأن زفير النار في آذانهم وكأن الآخرة نصب أعينهم .

وقال الحسن : إن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين ، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين . وقال أيضاً : والله ما صدّق عبد بالنار قط إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم عليها .

وقال وهب بن منبه : كان عابد في بني اسرائيل قام في الشمس يصلي حتى اسود وتغير لونه ، فمر به إنسان ، فقال : كأن هذا حرق بالنار ، قال : إن هذا من ذكرها فكيف بمعاينتها .

وقال ابن عيينة ، قال ابراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأعانق أبكارها ، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها ، فقلت لنفسي : أي شيء تريدين ، قالت : أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحاً ، قال : فقلت : فأنت في الأمنية فاعملي .

* * *

الباب الثالث

في ذكر تخويف جميع أصناف الخلق بالنار وخوفهم منها

النار خلقها الله تعالى لعصاة الجن والإنس وبهما تمتلىء .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا (١) لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ لَهُم قُلُوبٌ لا يَفْقَهُون بِهَا ولهم أَعْيُنٌ لَا يَبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُون بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وقال تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود : ١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجَّنَةَ والنَّاسِ أَجْمَعِين ﴾ [السجدة : ١٣].

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَر الجِنِّ قَد اسْتَكْثَرْتُم مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجلَنَا الَّذِيْ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِيْنَ فِيهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

وقال تعالى حاكياً عن الجن الذي استمعوا القرآن : ﴿ وأَنَّا مِنَّا

---

(١) ﴿ ذرأنا ﴾ : أي خلقنا وأوجدنا .

الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ(١) فَمَنْ أَسْلَم فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾ [الجن : ١٤ ـ ١٥].

وقال تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ(٢) * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ ﴾ [الرحمن : ٣١ ـ ٣٢] ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحاسٌ فَلَا تَنْتَصرانِ ﴾ الى قوله ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذنبِهِ إِنْسٌ وَلَا جانٌ * فَبِأَيِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبانِ * يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُم فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾ الآيات [الرحمن : ٣٥ ـ ٤١] ولهذا روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه السورة على الجن وأبلغهم إياها لما تضمنت ذكر خلقهم وموتهم وبعثهم وجزائهم [١٨].

وأما سائر الخلق فأشرفهم الملائكة ، وهم متوعدون على المعصية بالنار ، وهم خائفون منها ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدَاً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارتَضَى وَهُم مِن خَشْيتِهِ مُشْفِقُون * وَمَنَ يَقُلْ مِنْهُم إِنِّي إِلَه من دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّم كَذَلِكَ نَجْزي الظَّالِمِين ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٩] .

وقد استفاض عن جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن هاروت

---

(١) ﴿ منا القاسطون ﴾ : أي الجائرون بكفرهم العادلون عن طريق الحق . ﴿ تحروا رشداً ﴾ : أي قصدوا خيراً وصلاحاً وهدى .

(٢) ﴿ سنفرغ لكم ﴾ : أي سنعترض لمحاسبتكم بعد الإمهال . ﴿ الثقلان ﴾ : الإنس والجن .

---

١٨) روى الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما رقم (٣٢٨٧) في التفسير، واسناده ضعيف ما لفظه : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها ، فسكتوا ، فقال : لقد قرأتها على الجن ، فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : لا بشيء من نعمتك ربّنا نكذب ، فلك الحمد» .

وماروت كانا ملكين ، وانهما خُيِّرا بعد الوقوع في المعصية بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا لعلمهما بانقضائه ، وقد روي في ذلك حديث مرفوع من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرجه الإمام احمد وابن حبان في « صحيحه » ، ولكن قد قيل : إن الصحيح انه موقوف على كعب [19] .

وخرج الإمام أحمد[20] من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام ، فقال له : مَا لِي لَا أَرَىٰ مِيكَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَضْحَكُ ، فقال جبريل : مَا ضَحِكَ مِيكائِيل مُنْذُ خُلِقتِ النَّارُ .

وروى أيضاً في « كتاب الزهد » من حديث أبي عمران الجوني ، قال : بلغنا أن جبريل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجبريل عليه السلام يبكي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا يُبكِيكَ يَا جِبْرِيلُ » قال : أو ما تبكي أنت يا محمد ، ما جفت عيناي منذ خلق الله جهنم مخافة أن أعصيه فيلقيني فيها ، وقد روي نحوه من وجوه أخر مرسلة أيضاً .

وخرج الطبراني من حديث محمد بن أحمد بن أبي خيثمة ، حدّثنا محمد بن علي ، حدّثنا أبي عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمران أن جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حزيناً لا يرفع رأسه ، فقال له : « مَا لِي أَرَاكَ يَا جِبْرِيل حَزِيناً ؟! » قال : إني رأيت نفحة من جهنم فلم ترجع إليَّ روحي بعد ، وقال : لم يرفعه عن زيد الا علي تفرد به ابنه محمد بن علي بن خلف ، وهذا يدل على أن غيره وقفه .

---

١٩) المسند ٢/ ١٣٤ وابن حيان ١٧١٧ (موارد) وقد تفرد به نافع فهو غريب من هذا الوجه ورجاله كلهم ثقات الآ موسى بن جبير فهو مستور الحال كما قال ابن كثير في تفسيره انظر تفسير الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

(٢٠) رواه أحمد في « المسند » ٣/٢٢٤ . قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٣٨٥ رواه أحمد من رواية اسماعيل بن عياش عن المدنيين وهي ضعيفة ، وبقية رجاله ثقات .

وخرج الطبراني أيضاً من طريق سلام الطويل عن الأجلح الكندي عن عدي بن عدي الكندي عن عمر بن الخطاب ، قال : جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غير حينه الذي كان يأتيه فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا جِبْرِيلُ مَا لي أَرَاكَ مُتَغَيِّر اللَّوْن ؟ » قال: ما جئتك حتى أمر الله بمنافيخ النار ، قال : «يا جِبْرِيلُ صِفْ لِي النَّارَ وَانْعَتْ لِي جَهَنَّمَ » فذكر الحديث ، وسنذكره إن شاء الله تعالى مفرقاً في الكتاب في مواضع ، ثم قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « حَسْبِي يا جِبْرِيلُ لَا يَنْصَدِعْ قَلْبِي فَأَمُوتُ » . قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى جبريل وهو يبكي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تَبْكِي يَا جِبْرِيلُ وَأَنْتَ مِنَ الله بِالمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ » فقال : وما لي لا أبكي أنا أحق منك بالبكاء لعلي أن أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها ، وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به ابليس فقد كان من الملائكة ، وما أدري لعليّ أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت ، قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى جبريل عليه السلام ، فما زالا يبكيان حتى نوديا : يا محمد ويا جبريل إن الله عزّ وجلّ قد أمَّنكما أن تعصياه ، فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمر بقوم من الأنصار يضحكون، فقال : « تَضْحَكُونَ وَوَرَاءَكُمْ جَهَنَّمُ ، فَلَوْ تَعْلَمُون مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ، وَلَمَا أَسَغْتُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرابَ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصَّعِدات تجأرون إلى الله عَزَّ وجَلَّ » فنودي : يا محمد لا تقنط عبادي إنما بعثتك ميسراً ولم أبعثك معسراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سَدِّدوا وَقَارِبوا » . سلام الطويل : ضعيف جداً .

وروى ابن أبي الدنيا من حديث أبي فضالة عن أشياخه ، قال : إن الله عزّ وجلّ ملائكة لم يضحك أحدهم منذ خلقت جهنم مخافة أن يغضب الله

عليهم فيعذبهم .

وبإسناده عن بكر العابد قال : قلت لجليس لابن أبي ليلى - يكنى أبا الحسن - : أتضحك الملائكة ، قال : ما ضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم .

وعن محمد بن المنكدر قال : لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها ، فلما خلق بنو آدم عادت .

وروى أبو نعيم باسناده عن طاووس ، قال : لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة ، فلما خلق بنو آدم سكنت [أفئدتهم][1] .

فأما البهائم والوحوش والطير ، فقد روي ما يدل على خوفها أيضاً . قال عامر بن يساف عن يحيى بن أبي كثير ، قال : بلغنا أنه إذا كان يوم نَوْحِ داود عليه السلام تأتي الوحوش من البراري ، وتأتي السباع من الغياض ، وتأتي الهوام من الجبال ، وتأتي الطيور من الأوكار ، وتجتمع الناس لذلك اليوم ، ويأتي داود عليه السلام حتى يرقى على المنبر ، فيأخذ في الثناء على ربه ، فيضجون بالبكاء والصراخ ، ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فيموت طائفة من الناس وطائفة من السباع وطائفة من الهوام وطائفة من الوحوش وطائفة من الرهبان والعذارى المتعبدات ، ثم يأخذ في ذكر الموت وأهوال القيامة ويأخذ في النياحة على نفسه ، فيموت طائفة من هؤلاء ، وطائفة من هؤلاء ومن كل صنف طائفة . خرجه ابن أبي الدنيا .

وأما غير الحيوان من الجمادات وغيرها فقد أخبر الله سبحانه أنها تخشاه قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ وإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وإِنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ من خَشْيَةِ اللَّه ﴾ [البقرة : ٧٤] قال

---

(١) « الحلية » ٤/٥ .

أبي نجيح عن مجاهد : كل حجر يتفجر منه الماء ويتشقق عن ماء أو يتردى عن رأس جبل فهو من خشية الله عزّ وجَلّ نزل بذلك القرآن .

وخرج الجوزجاني وغيره من طريق مجاهد عن ابن عباس ، قال : إن الحجر ليقع الى الأرض ولو اجتمع عليه الفئام [1] من الناس ما استطاعوه وإنه ليهبط من خشية الله .

قال ابن أبي الدنيا : حدّثني أحمد بن عاصم بن عنبسة العباداني ، حدّثنا الفضيل بن العباس ـ وكان من الأبدال ، وكانت الدموع قد أثرت في وجهه ، وكان يصوم الدهر ويفطر كل ليلة على رغيف ـ قال : مر عيسى عليه السلام بجبل بين نهرين نهر عن يمينه ونهر عن يساره ، ولا يدري من أين يجيء هذا الماء ولا إلى أين يذهب ، قال : أما الذي يجري عن يساري فمن دموع عيني اليسرى ، قال : مم ذاك ؟ قال : خوف من ربي أن يجعلني من وقود النار ، قال عيسى : فأنا أدعو الله عزّ وجل أن يهبك لي ، فدعا الله فوهبه له ، فقال عيسى : قد وهبت لي ، قال : فجاء منه الماء حتى احتمل عيسى فذهب به ، قال له عيسى : اسكن بعزة الله فقد استوهبتك من ربي فوهبك لي فما هذا ؟ قال : أما البكاء الأول فبكاء الخوف ، وأما البكاء الثاني فبكاء الشكر .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : إن القمر ليبكي من خشية الله .

قال طاووس : إن القمر ليبكي من خشية الله ولا ذنب له، ولا يسأل عن عمل ولا يجازى به .

فصل

[النار في الدنيا تخاف من نار جهنم]

وهذه النار التي في الدنيا تخاف من نار جهنم ، روى نفيع أبو داود عن

---

(١) « فئام » : الجماعة الكثيرة . لا واحد من لفظه

أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ نَارَكُمْ هٰذِهِ لَجِزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، وَلَوْلَا أَنَّها أُطْفِئَتْ بِالْمَاءِ مَرَّتَيْنِ مَا انْتَفَعْتُمْ بِهَا ، وَإِنَّهَا لَتَدْعُو اللَّهَ أَنْ لَا يُعِيدَهَا فِيهَا » . خرجه ابن ماجه [٢٠] ، ونفيع فيه ضعف ، وقد روي موقوفاً على أنس .

وخرج الحاكم من حديث جسر بن فرقد عن الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « نَارُكُمْ هَذِهِ جزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنَ نَارِ جَهنَّمَ ، وَلَوْلا أَنَّهَا غُمِسَتْ في البَحْر مَرَّتَيْنِ مَا انْتَفَعْتُمْ بِها أَبَداً ، وَأَيْمُ الله إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً ، وَإِنَّهَا لَتَدْعو الله وَتَسْتَجِيرُ الله أَنْ لَا يُعِيدُها فِي النَّارِ أبداً » وقال : صحيح الاسناد ، وفي ذلك نظر ، فإن جسر بن فرقد ضعيف .

وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن أبي رجاء ، قال : لما ألقي ابراهيم عليه السلام في النار أوحى الله إليها لأن ضربتيه أو آذيتيه لأردّكَ الى النار الكبرى ، فخرت مغشياً عليها ثلاثة أيام لا ينتفع الناس منها بشيء .

وعن أبي عمران الجوني ، قال : بلغنا أن عبد الله بن عمرو سمع صوت النار ، فقال وأنا (١) ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : والذي نفسي بيده إنها تستجير من النار الكبرى أن تعاد إليها .

وعن الأعمش عن مجاهد ، قال : ناركم هذه تستعيذ من نار جهنم .

* * *

---

(١) أي أنا أستجير بالله من النار الكبرى مثلك .

---

٢٠) رقم (٤٣١٨) في الزهد : باب صفة النار ، والحاكم ٥٩٣/٤ ، وهو حديث ضعيف جداً كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٠١٦) .

البَابُ الرّابع

في أنّ البكاء من خشية النّار ينجي منها وأنّ التعوّذ بالله من النّار يوجب الإعاذة منها

قد تكاثرت النصوص في أن البكاء من خشية الله يقتضي النجاة منها ، والبكاء خوف من نار جهنم هو البكاء من خشية الله ، لأنه بكاء من خشية عقاب الله وسخطه والبعد عنه وعن رحمته وجواره ودار كرامته .

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكِيَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّىٰ يَعُود اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ » خرجه النسائي والترمذي[21] وقال : صحيح .

وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « عَيْنَانَ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه الترمذي[22] وقال : حسن .

---

٢١) رواه الترمذي رقم (١٦٣٣) في فضائل الجهاد : باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ، والنسائي ١٢/٦ في الجهاد : باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه . وأحمد في « المسند » ٢/ ٥٠٥ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

٢٢) رقم (١٦٣٩) في فضائل الجهاد : باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله ، وهو حديث صحيح بشواهده .

وعن أبي ريحانة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « حَرُمَتِ النَّارُ عَلَىٰ عَيْنٍ دَمَعَتْ أَوْ بَكَت فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَحَرُمَتِ النَّارُ عَلَىٰ عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيل الله » وذكر عيناً ثالثة . خرجه الامام أحمد وهذا لفظه ، والنسائي والحاكم وقال : صحيح الاسناد[٢٣] .

وخرجه الجوزجاني ولفظه « حَرُمَتِ النَّارُ عَلَىٰ عَيْنٍ سَهِرَتْ بِكِتَابِ اللهِ ، وَحَرُمَتِ النَّارُ عَلَىٰ عَيْنٍ دَمِعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَحَرُمَتِ النَّارُ عَلَىٰ عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ أو فُقِئَتْ فِي سَبيل الله » .

وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ رَأس الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، ثُمَّ تُصِيبُ شَيْئاً مِنْ حُرِّ وَجْهِهِ إلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ » خرجه ابن ماجه[٢٤] ، وقد روي موقوفاً على من دون ابن مسعود .

وفي الباب أحاديث أخر في المعنى مسندة ومرسلة ، وفيه أيضاً عن معاذ ابن جبل وابن عباس من قولهما غير مرفوع .

وخرج ابن أبي الدنيا من طريق نفيع أبي داود ، عن زيد بن أرقم أن رجلاً قال : يا رسول الله بما اتقي به النار ؟ قال « بِدُمُوعِ عَيْنَيْكَ ، فَإِنَّ عَيْناً بَكَتْ مِن خَشْيَةِ اللّٰهِ لا تَمَسَّهَا النَّارُ أَبَداً » . ونفيع سبق أنه ضعيف .

ومن طريق النضر بن سعيد رفعه قال : « ما اغرورقت عينا عبد بمائها

---

٢٣) رواه أحمد في « المسند » ٤/١٣٤ ، والنسائي ٦/١٥ في الجهاد : باب ثواب عين سهرت في سبيل الله ، وصححه الحاكم ٢/٨٣ ووافقه الذهبي ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥/٢٧٨ : رواه أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » ورجال أحمد ثقات .

٢٤) رقم (٤١٩٧) في الزهد : باب الحزن والبكاء. قال البوصيري في « الزوائد » : إسناده ضعيف ، وحماد ابن أبي حميد ، اسمه محمد بن أبي حميد ، ضعيف .

من خشية الله إلا حرم الله جسدها على النار ، فإن فاضت على خده، لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة ، ولو أن عبداً بكى في أمة من الأمم لأنجى الله عز وجل ببكاء ذلك العبد تلك الأمة من النار ، وما من عملٍ إلا وله وزن أو ثواب إلا دمعة فإنها تطفىء بحوراً من النار » . وقد روي هذا المعنى أو بعضه موقوفاً من كلام الحسن وأبي عمران الجوني وخالد بن معدان وغيرهم .

وعن زاذان أبي عمر قال : بلغنا أنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها ، ومن بكى شوقاً الى الجنة أسكنه الله إياها .

وكان عبد الواحد بن زيد يقول : يا إخوتاه ألا تبكون شوقاً الى الله عز وجل، ألا إنه من بكى شوقاً الى سيده لم يحرمه النظر اليه ، يا إخوتاه ألا تبكون خوفاً من النار ، ألا إنه من بكى خوفاً من النار أعاذه الله منها .

وعن فرقد السبخي ، قال : قرأت في بعض الكتب أن الباكي على الجنة لتشفع له الجنة الى ربها ، فتقول : يا رب أدخله الجنة كما بكى عليَّ ، وإن النار لتستجير له من ربها فتقول : يا رب أجره من النار كما استجار مني ، وبكى خوفاً من دخولي .

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا » فذكر الحديث بطوله وفيه قال : « رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَجَاءَهُ[1] وَجَلُهُ مِنَ اللهِ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذٰلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَهْوِي فِي النَّارِ ، فَجَاءَتْهُ دُمُوعُهُ الَّتِي بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ »[٢٥] .

---

(١) الوجل : الفزع .

---

٢٥) ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للحكيم الترمذي ، والطبراني في « الكبير » . قال الهيثمي في « المجمع » ٧/١٧٩ - ١٨٠ : رواه الطبراني باسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي ، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي ، وكلاهما ضعيف .

وعزاه الحافظ العراقي إلى الخرائطي في « الأخلاق » وقال : وسنده ضعيف . انظر « القول البديع » ص (١٨٤ - ١٨٥) طبعتا - مكتبة دار البيان بدمشق .

وروى أيمن ، حدّثنا سهل بن حماد ، حدّثنا المبارك بن فضالة ، حدّثنا ثابت عن أنس ، قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ﴿ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] وبين يديه رجل أسود فهتف بالبكاء فنزل جبريل عليه السلام ، فقال : من هذا الباكي بين يديك ؟ قال : « رَجُلٌ مِنَ الحَبَشَةِ » وأثنى عليه معروفاً قال : « فَإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي وَارْتِفَاعِي فَوْقَ عَرْشِي لاَ تَبْكِي عَيْنُ عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَشْيَتِي إلاَّ كَثَّرْتُ ضَحْكَه في الجَنَّةِ »[٢٦] .

فصل
[في التعوذ من النار]

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِم [(١)] وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ الى قوله : ﴿ فاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُم ﴾ [آل عمران : ١٩١ - ١٩٥] .

---

(١) قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في « تفسير زاد المسير » ١/٥٢٧ : في هذا الذكر ثلاثة أقوال :

أحدهما : إنه الذكر في الصلاة يصلي قائماً ، فإن لم يستطع فقاعداً ، فإن لم يستطع فعلى جنب ، هذا قول علي وابن مسعود وابن عباس وقتادة .

الثاني : أنه الذكر في الصلاة وغيرها ، وهو قول طائفة من المفسرين .

الثال : أنه الخوف . فالمعنى يخافون الله قياماً في تصرفهم ، وقعوداً في دعتهم ، وعلى جنوبهم في قيامهم .

وتبين من هذا أن الآية ليس فيها مستدل لمن يجوز الرقص في حلقات الذكر .

---

٢٦) في اسناده المبارك بن فضالة البصري قال عنه الحافظ في « تقريب التهذيب » ٢/ ٢٢٧ : صدوق يدلس ويسوّي .

وفي « الصحيحين »[27] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر وفيه « إنَّ الله عَزَّ وَجَلَ يَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، فَيقُولُ : مِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ، فَيَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ، قَالُوا : لاَ وَالله مَا رَأَوْهَا ، فَيَقُولُ : كَيْفَ لَوْ رَأُوها ؟ فَيقُولُونَ : لَوْ رَأَوْها كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِراراً وَأَشدَّ مِنْهَا مَخافَةً ، قال : فَيَقُولُ : إنِّي أُشْهِدكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ » .

وخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَسْأَل الله الجَنَّةَ ثَلاَثاً إلاَّ قَالَتِ الجَنَّةُ : اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلاَثاً ، قالتِ النَّارُ : اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ »[28] .

وخرج البزار وأبو يعلى الموصلي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَا اسْتَجَارَ عَبْدٌ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ إلاَّ قَالَتِ النَّارُ : يا رَبِّ إنَّ عَبْدَكَ فُلاناً اسْتَجَارَ مِنِّي فَأَجِرْهُ ، وَلاَ سَأَل عَبْدٌ الجَنَّةَ سَبْعَ مَرَّاتٍ إلاَّ قَالَتِ الجَنَّةُ : يا رَبِّ ! إنَّ عَبْدَكَ فُلاناً سَأَلَنِي فَادْخِلْهُ الجَنَةَ »[29] .

وروى صالح المري عن أبان عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله

---

٢٧) رواه البخاري رقم (٦٤٠٨) في الدعوات : باب فضل ذكر الله تعالى ، ومسلم رقم (٢٦٨٩) في الذكر والدعاء : باب فضل مجالس الذكر ، والترمذي رقم (٣٥٩٥) في الدعوات : باب رقم ١٤٠ .

٢٨) رواه الترمذي رقم (٢٥٧٥) في صفة الجنة : باب ما جاء في صفة أنهار الجنة ، والنسائي ٨/٢٧٩ في الاستعاذة : باب الاستعاذة من حر النار ، وابن ماجه رقم (٤٣٤٠) في الزهد في آخر الكتاب ، وابن حبان رقم (٢٤٣٣) «موارد » ، والحاكم ١/٥٣٥ ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦١٥١) .

٢٩) قال الهيثمي في « المجمع» ١٠/١٧١ : رواه البزار وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف ، وقال الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » ٤/٤٥٠ : رواه أبو يعلى بإسناد على شرط البخاري ومسلم .

وسلم «يَقُولُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرُوا فِي دِيوانِ عَبْدِي ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ سَأَلَنِي الجَنَّةَ أَعْطَيْتُهُ ، وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِي مِنَ النَّار أعِذْتُهُ » واسناده ضعيف .

وروى أبو صالح عبد الله بن صالح ، حدّثنا يحيى بن أيوب ، عن عبد الله بن سليمان ، عن دراج عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد - أو عن ابن أبي حجيرة الأكبر -، عن أبي هريرة أو أحدهما حدثه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذَا كَانَ يَوْمٌ حَارٌّ فَإذَا قَالَ الرَّجُلُ : لَا إلٰهَ إلَّا الله مَا أَشدَّ حَرَّ هٰذَا اليَوْمَ ! اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ، قال الله لِجَهَنَّم : إنَّ عَبْداً مِنْ عَبِيدِي اسْتَجَارَني مِنْ حَرِّكِ ، وَأنا أُشْهِدَكَ أَنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ ، وَإذا كَانَ يَومٌ شَدِيدُ البَرْدِ ، فقالَ العَبْدُ : لَا إلٰهَ إلَّا الله مَا أَشَدَّ بَرْد هٰذا اليَوْمِ ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ زَمْهَرِيرِ جَهَنَّمَ (١) ، قالَ الله لِجَهَّنَمَ : إنَّ عَبْداً مِنْ عِبادِي اسْتَجَارَنِي مِنْ زَمْهَرِيرِكِ ، وَأَنَا أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ » . قالوا : وما زمهرير جهنم ؟ قال : « بَيْتٌ يُلْقَىٰ فِيهِ الكَافِرُ فَيَتَميَّزُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ » ٣٠ .

وقال أبو يحيى القتات عن مجاهد : « يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة فتنزوي فيقول : ما شأنك ؟ ما شأنك ؟ فتقول : إنه قد كان يستجير مني فيقول : خلوا سبيله » .

وقال سفيان عن مسعر عن عبد الأعلى : الجنة والنار ألقيتا السمع من ابن آدم ، فاذا قال الرجل : أعوذ بالله من النار ، قالت النار : اللهم أعذه، واذا

---

(١) الزمهرير : شدة البرد ، وهو الذي أعده الله عذاباً للكفار في الدار الآخرة .

---

٣٠) وإسناده ضعيف .

قال : اسأل الله الجنة قالت الجنة : اللهم بلغه .

وقال عثمان ابن أبي العاتكة : قال أبو مسلم الخولاني : ما عرضت لي دعوة إلا ذكرت جهنم فصرفتها الا الاستعاذة منها .

وقال أبو سنان عيسى بن سنان عن عطاء الخراساني قال : من استجار بالله من جهنم سبع مرات قالت جهنم : لا حاجة لي فيك .

* * *

الباب الخامس

في ذكر مكان جهنم[1]

روى عطية عن ابن عباس ، قال : الجنة في السماء السابعة ، ويجعلها الله حيث يشاء يوم القيامة ، وجهنم في الأرض السابعة . خرجه أبو نعيم .

وخرج ابن مندة من حديث أبي يحيى القتات عن مجاهد ، قال : قلت لابن عباس : أين الجنة ؟ قال : فوق سبع سموات ، قلت : فأين النار ؟ قال : تحت سبع أبحر مطبقة .

وروى البيهقي باسناد فيه ضعف عن أبي الزعراء عن ابن مسعود ، قال : الجنة في السماء السابعة العليا ، والنار في الأرض السابعة السفلى ، ثم قرأ ﴿ إِنَّ كِتَابَ الأَبرَارِ لَفِي عِلِّيينَ ﴾ [المطففين : ١٨] و﴿ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ[2] ﴾ [المطففين : ٧] وخرجه ابن مندة وعنده « فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء » .

وقال محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب ، عن بشر بن شغاف ، عن

---

(١) اختلف أهل العربية هل جهنم اسم عربي أم عجمي ؟ فقيل : عربي ، مشتق من الجهومة ، وهي كراهة المنظر ، وقيل من قولهم : بئر جهام : أي عميقة ، فعلى هذا لم تصرف للعلمية والتأنيث ، وقال الأكثرون : هي عجمية معربة ، وامتنع صرفها للعلمية والعجمة .

(٢) ﴿ لفي سجين ﴾ : المثبت في ديوان الشر .

عبد الله بن سلام ، قال : إن الجنة في السماء ، وإن النار في الأرض. خرجه ابن خزيمة وابن أبي الدنيا .

وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن قتادة : قال : كانوا يقولون : إن الجنة في السموات السبع ، وإن جهنم لفي الأرضين السبع .

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَفي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذرايات : ٢٢] قال : الجنة في السماء ، وقد استدل بعضهم لهذا بأن الله تعالى أخبر أن الكفار يعرضون على النار غدواً وعشياً ـ يعني في مدة البرزخ ـ وأخبر أنه لا تفتح لهم أبواب السماء ، فدل على أن النار في الأرض. وقال تعالى: ﴿كَلَّا إنَّ كتابَ الفُجَّار لَفِي سجِينٍ﴾[المطففين: ٧].

وفي حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صفة قبض الروح ، قال في روح الكافر : « حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إلىٰ السَّماءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّماء وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلَجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخَياط [(١)] ﴾ [الأعراف : ٤٠] قال : « يَقُولُ الله تَعَالَىٰ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجّينٍ ، فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ » قال : « فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحَاً » خرجه الامام أحمد وغيره [٣١] .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صفة قبض الروح وقال في روح الكافر : « فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفةٍ ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إلىٰ بَاب الأَرْضِ ، فَيَقُولُونَ : مَا أَنْتَنَ هٰذِهِ الرِّيحُ كُلَّمَا أَتُوا عَلَىٰ أَرْضٍ قَالُوا

---

(١) ﴿ يلج الجمل ﴾ : أي يدخل الجمل . ﴿ سم الخياط ﴾ : أي ثقب الإبرة .

---

٣١) رواه أحمد في « المسند » ٢٨٧/٤ و٢٩٥ و٢٩٦ ، وأبو داود رقم (٤٧٥٣) في السنة : باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ، والنسائي ١٠١/٤ في الجنائز : باب عذاب القبر ، والحاكم ٣٧/١ ـ ٤٠ ، وصححه ابن حبان . **وهو حديث صحيح** .

ذٰلِكَ ، حَتَّىٰ يَأْتُوا بِهِ إِلَىٰ أَرْوَاحِ الكُفَّار » خرجه ابن حبان والحاكم وغيرهما [٣٢]
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أرواح الكفار في الأرض السابعة .

فصــل

[البحار تسجر يوم القيامة]

روى الإمام أحمد باسناد فيه نظر عن يعلى بن أمية ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « البَحْرُ هُوَ جَهَنَّمَ » فقالوا ليعلى ، قال : ألا ترون أن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿نَاراً أَحَاطَ بهم سُرادقُها﴾[الكهف : ٢٩] لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله عزّ وجلّ ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله عز وجل [٣٣]
وهذا إن ثبت فالمراد به أن البحار تفجر يوم القيامة فتصير بحراً واحداً ، ثم تسجر ويوقد عليها فتصير ناراً وتزاد في نار جهنم .
وقد فسر غير واحد من السلف قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ [(١)] ﴾ [التكوير : ٦] بنحو هذا .

وروى المبارك بن فضالة عن كثير أبي محمد عن ابن عباس ، قال : تسجر حتى تصير ناراً .

وروى مجاهد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس ﴿ وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ قال : تكور الشمس والقمر والنجوم في البحر فيبعث الله عليها ريحاً دبوراً[(٢)] فتنفخه حتى يرجع ناراً . خرجه ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم .

---

(١) أي اوقدت فصارت ناراً تضطرم .

(٢) « الدبور » : هو ـ بالفتح ـ : الريح التي تقابل الصبّا والقبول ، وقيل : سميت به لأنها تأتي من دبر الكعبة ، وليس بشيء ، انظر «النهاية» : ٢ : ٩٨ ، و« اللسان » ٤ : ٢٧١ .

---

٣٢) صححه ابن حبان رقم (٧٣٣) « موارد » . والحاكم ١/٣٥٢ ـ ٣٥٣ ووافقه الذهبي .

٣٣) رواه أحمد في « المسند » ٤/٢٢٣ ، قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٣٨٦ : رواه أحمد ورجاله ثقات .
قوله تعالى : ﴿ سرادقها ﴾ : أي فسطاطها وقيل : لهبها ودخانها .

وخرج ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم أيضاً من طريق مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٩] قال : هو هذا البحر تنتثر الكواكب فيه وتكور الشمس والقمر فيكون هو جهنم .

وروى ابن جرير باسناده عن سعيد بن المسيب عن علي أنه قال لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ قال : البحر ، قال علي : ما أراه الا صادقاً ، قال تعالى : ﴿وَالبَحْرِ المَسْجُورِ﴾ [الطور:٦] وقال ﴿وإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

ورواه آدم بن أبي إياس في « تفسيره » عن حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب ، قال : قال علي ليهودي : أين جهنم ؟ قال : تحت البحر ، قال علي : صدق ثم قرأ ﴿ وإِذَا البِحَارُ سُجِّرتْ ﴾ وخرجه في مواضع أخر منه ، وفيه ثم قرأ ﴿ والبَحْرِ المَسْجُورِ﴾ .

وخرج ابن أبي حاتم باسناده عن أبي العالية عن أبي بن كعب ﴿ وإذا البِحَارُ سُجِّرتّ ﴾ [التكوير : ٦] قال : قالت الجن للإنس : نأتيكم بالخبر ، فانطلقوا الى البحر فاذا هو نارٌ تأجج .

وعن ابن لهيعة عن أبي قبيل قال : إن البحر الأخضر هو جهنم .

وروى أبو نعيم[1] باسناده عن كعب في قولـه تعالى : ﴿يَـوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّمٰوَاتُ ﴾ [ابراهيم : ٤٨] قال : تبدل السموات فتصير جناناً ، وتبدل الأرض فيصير مكان البحر النار . وقد سبق عن ابن عباس أنه قال : النار تحت سبعة أبحر مطبقة .

وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم ، وكذا قال سعيد بن أبي الحسن أخو البصري : البحر طبق جهنم .

---

(١) « الحلية » ٥/٣٧٠ .

وفي « سنن أبي داود » [٣٣] . عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَا يَرْكَبُ البَحْرَ إلاَّ حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غازٍ فِي سَبِيلِ الله ، فَإنَّ تَحْتَ البَحْرِ ناراً وَتَحْت النارِ بَحْراً [١] » .

وخرج ابن أبي حاتم باسناده عن معاوية بن سعيد ، قال : إن هذا البحر ـ يعني بحر الروم ـ وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه ، والبحر الكبير يصب فيه ، وأسفله آبار كله مطبقة بالنحاس ، فإذا كان يوم القيامة أسجر .

وذكر ابن أبي الدنيا عن العباس بن يزيد البحراني ، قال : سمعت الوليد بن هشام وقلت له : عمن أخذت هذا ؟ قال : عن رجل من أهل الكتاب أسلم فحسن إسلامه ، قال : لما التقم الحوت يونس عليه السلام جال به الأبحر السبعة ، فلما كان آخر ذلك انتهى به الحوت الى قعر البحر موضع يلي قعر جهنم ، فسبح يونس في بطن الحوت ، فسمع قارون تسبيحه وهو في النار ، وذكر بقية الخبر .

وروى قيس بن الربيع عن عبيد المكتب ، عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ جَهَنَّمَ مُحِيطةٌ بِالدُّنْيا ، وَإنَّ الجَنَّةَ مِنَ وَرَائِهِ فَلِذَلِكَ كانَ الصِّراطُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ طَرِيقاً إلىٰ الجَنَّةِ » غريب منكر .

وقد روي عن بعضهم ما يدل على أن النار في السماء ، وروى مجاهد قال في قوله تعالى : ﴿ وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[الذاريات : ٢٢]

---

(١) قال الخطابي : تأويله تضخيم أمر البحر ، وتهويل شأنه ، ذلك لأن الآفة تسرع إلى راكبه ، ولا يؤمن الهلاك في ملابسة النار ومداخلتها والدنو منها .

---

٣٣) ورقم (٢٤٨٩) في الجهاد : باب في ركوب البحر في الغزو ، من طريق بشر أبي عبد الله عن بشير عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً ، وفي اسناده اضطراب وضعف ، بشر وبشير كلاهما مجهول . انظر « سلسلة الأحاديث الضعيفة » رقم (٤٧٨) للمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

قال : الجنة والنار ، وكذا قال جويبر عن الضحاك .

وروى عاصم عن زر عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أُوتيتُ بِالبُراقِ ، فَلَمْ تُزَايِلْ طَرْفَهُ أَنَا وَجِبْرِيلُ حَتَّىٰ أتيْنا بَيْتَ المَقْدِسِ ، وَفُتِحَتْ لَنَا أَبْوَابُ السَّماءِ ، وَرَأَيْتُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ » خرجه الامام أحمد وغيره [٣٤] .

قال في رواية المروذي وفي حديث حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي السَّماءِ ، فَقَرْأتُ هَذٰهِ الآية ﴿ وفي السَّماء رِزْقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ فَكَأَنِّي لَمْ أَقْرَأهَا قَطُّ » وهو تصديق لما قاله حذيفة ، نقله عن الخلال في « كتاب السنة » وهذا اللفظ الذي احتج به الإمام أحمد لم نقف عليه بعد في حديثه ، وإنما روي عنه ما تقدم .

وروي عن حذيفة أنه قال : والله ما زايل البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ورأيا الجنة والنار ووعد الله الآخرة أجمع ، ولم يرفعه، وهذا كله ليس بصريح في أنه رأى النار في السماء كما لا يخفى .

وأيضاً فعلى تقدير صحة ذلك اللفظ لا يدل على أن النار في السماء ، وإنما يدل على أنه رآها وهو في السماء والميت يرى في قبره الجنة والنار وليست الجنة في الأرض .

وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الكسوف الجنة والنار وهو في الأرض ، وكذلك في بعض طرق حديث الإسراء حديث أبي هريرة أنه مر على أرض الجنة والنار في مسيره الى بيت المقدس ، ولم يدل شيء

---

(١) « البراق » قال ابن الأثير : هي الدابة التي ركبها ﷺ ليلة الإسراء ، سُمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه ، وقيل : لسرعة حركته ، شبهه فيهما بالبرق .

---

٣٤) رواه أحمد في « المسند » ٥/٣٨٧ و٣٩٢ و٣٩٤ .

من ذلك على أن الجنة في الأرض ، فحديث حذيفة إن ثبت أنه رأى الجنة والنار في السماء ، فالسماء ظرف للرؤ بة لا للمرئي ، والله أعلم .

وفي حديث أبي هارون العبدي وهو ضعيف جداً عن أبي سعيد الخدري في صفة الإسراء أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى الجنة والنار فوق السموات ، ولو صح لحمل على ما ذكرناه أيضاً .

وقد روى القاضي أبو يعلى باسناد جيد عن أبي بكر المروذي أن الإمام أحمد فسر له من القرآن آيات متعددة ، فكان مما فسره له قوله تعالى : ﴿ وإذا البِحَارُ سُجِّرتْ ﴾ قال : أطباق النيران ﴿ والبَحْرِ المَسْجُورِ﴾ قال : جهنم ، أو هذا يدل على أن النار في الأرض ، بخلاف مارواه الخلال عن المروذي . والله أعلم .

وأما المروي عن مجاهد فقد تأوله بعضهم على أن المراد أن أعمال الجنة والنار مقدرة في السماء من الخير والشر ، وقد صرح بذلك مجاهد في رواية أخرى عنه .

وقد ورد في بعض طرق حديث الإسراء أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى جهنم في طريقه إلى بيت المقدس ، وروي عن عبادة بن الصامت أنه وقف على سور بيت المقدس الشرقي يبكي ، وقال : ها هنا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه رأى جهنم [٣٤] .

* * *

---

٣٤) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد» ١٠/ ٣٨٦ : رواه الطبراني ، ويزيد لم أعرفه ، وفيه ضعفاء قد وثقوا . ولفظه عن يزيد بن أبي سورة قال : رأيت عبادة بن الصامت وهو على حائط المسجد المشرف على وادي جهنم واضعاً صدره عليه وهو يبكي ، فقلت : أبا الوليد ! ما يبكيك ؟ فقال : هذا المكان الذي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى فيه جهنم . ورواه ابن حبان رقم (٢٦٠٦) وفيه زياد بن أبي سودة بدل يزيد بن أبي سورة وزياد ثقة كما ذكر الحافظ في « التقريب » .

الباب السادس

في ذكر طبقاتها وأدراكها وصفتها

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إنَّ المُنَافقين في الدَّرْك الأَسْفَلِ من النَّارِ ﴾[النساء: ١٤٥] وقد قرىء الدرْك بسكون الراء وتحريكها وهي لغتان ، قال الضحاك : الدرج إذا كان بعضها فوق بعض ، والدرك إذا كان بعضها أسفل من بعض ، وقال غيره : الجنة درجات والنار دركات . وقد تسمى النار درجات أيضاً كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار ﴿ وَلكلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَملُوا ﴾ [الأنعام : ١٣٢] وقال : ﴿ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَط مِنَ الله وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ الله ﴾ [آل عمران : ١٦٢ ـ ١٦٣] قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : درجات الجنة تذهب علواً ودرجات النار تذهب سفولاً .

وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] قال : لها سبعة أطباق .

وعن قتادة ﴿ لِكُل بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٤] قال : هي والله منازل بأعمالهم .

وعن يزيد بن أبي مالك الهمداني قال : لجهنم سبعة نيران تأتلق ليس

منها نار إلا وهي تنظر إلى التي تحتها مخافة أن تأكلها .

وعن ابن جريج في قوله : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ قال : أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وفيها أبو جهل .

وروى سلام المدائني ـ وهو ضعيف ـ عن الحسن عن أبي سنان عن الضحاك ، قال : للنار سبعة أبواب وهي سبعة أدراك بعضها على بعض ، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون منها ، وفي الثاني اليهود ، وفي الثالث النصارى ، وفي الرابع الصابئون ، وفي الخامس المجوس والسادس فيه مشركو العرب ، وفي السابع المنافقون وهو قوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ (١) مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] .

وروى العلاء بن المسيب عن أبيه وخيثمة بن عبد الرحمن قالا : قال ابن مسعود : أي أهل النار أشد عذاباً ؟ قالوا : اليهود والنصارى والمجوس ، قال : لا ولكن المنافقين في الدرك الأسفل من النار في توابيت من نار مطبقة عليهم ليس لها أبواب .

وروى عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ قال : الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليها فيوقد من فوقهم ومن تحتهم قال تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ (٢) مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر : ١٦] .

قال ابن المبارك ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن أبي يسار قال : الظلة من جهنم فيها سبعون زاوية ، في كل زاوية صنف من العذاب ليس في الأخرى .

---

(١) ﴿ في الدرك الأسفل ﴾ : أي الطبق الذي في قعر جهنم .

(٢) ﴿ ظلل من النار ﴾ : أي أطباق منها ، كثيرة متراكمة ، والمعنى تحيط بهم من كل جانب .

وروى ابن أبي حاتم باسناده عن كعب ، قال : اقتحام العقبة في كتاب الله يعني قوله : ﴿ فَلَا اقْتَحَم العَقَبَة ﴾ [البلد : ١١] سبعين درجة في النار .

وعن ضمرة قال : سمعت أبا رجاء قال : بلغني أن العقبة التي ذكر الله في كتابه مطلعها سبعة لآف سنة ومهبطها سبعة آلاف سنة .

وعن عطية عن ابن عمر قال في العقبة : جبل في جهنم أفلا أجاوزه بعتق رقبة .

وعن مقاتل بن حيان قال : هي عقبة في جهنم قيل : بأي شيء تقطع ؟ قال : فك رقبة .

وفي « الصحيحين » [٣٥] ولفظه للبخاري عن ابن عمر قال : رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنَّهُ جَاءَنِي مَلَكَانِ فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَقْمَعَةٌ (١) مِنْ حَدِيدٍ ، ثُمَّ لَقِيَنِي مَلَكٌ في يَدِهِ مَقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ قَالُوا : لَنْ تُرع ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلاةَ مِنَ اللَّيْلِ ، فَانْطَلِقُوا بِيَ حَتَّىٰ وَقَفُوا بِي عَلَىٰ شَفِير جَهَنَّم ، فَإِذَا هِي مَطْوِيةٌ كَطَيِّ البِئْرِ لَهَا قُرُونٌ كَقرُونِ البِئْرِ ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْن مَلَكٌ بِيَدِهِ مَقْمَعَةٌ مِنْ حديدٍ ، وَإذَا فِيهَا رِجَالٌ مُعَلَّقُونَ بِالسَّلاسِلِ رُؤُوسُهُمْ أَسْفَلُهُمْ ، وَعَرَفْتُ فيها رِجالاً مِنَ قُرَيْشٍ فانْصَرَفُوا بِيَ عَنْ ذَاتِ اليَمِين ، فَقَصَصْتُها عَلَىٰ حَفْصَة ، فَقَصَّتْها حَفْصَةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، فَقالَ : « إنَّ عَبْدَ الله رَجُلٌ صَالِحٌ » .

* * *

---

(١) « مقمعة » : هي سباط تعمل من حديد ، رؤ وسها معوجة . « شفير » جانبه وحرفه .

---

٣٥) البخاري رقم (٤٤٠) في الصلاة : باب نوم الرجال في المسجد ، ورقم (١١٢١) في التهجد : باب فضل قيام الليل ، وفي كتب أخرى . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (١٠١٦) . ومسلم رقم (٢٤٧٨ ، ٢٤٧٩) في فضائل الصحابة باب في فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

الباب السابع

في ذكر قعرها وعمقها

عن خالد بن عمير ، قال : خطبنا عتبة بن غزوان فقال : إِنَّهُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَىٰ مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عاماً مَا يُدرِكُ لَهَا قَعْراً ، ووالله لَتُمْلأَنَّ ، أَفَعَجِبْتُمْ ؟ خرجه هكذا مسلم موقوفاً ، وخرجه الإمام أحمد موقوفاً ومرفوعاً والموقوف أصح [٣٦] .

وخرج الترمذي [٣٧] من حديث الحسن ، قال : قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا ـ يعني منبر البصرة ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ الصَّخْرَةَ العظِيمة لَتُلْقَىٰ مَنْ شَفِيرِ جهَنَّمَ فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَاماً وَمَا تُفْضي إِلَىٰ قَعْرِهَا » قال : وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : أَكْثِرُوا ذِكْرِ النَّارِ ، فَإِنَّ حَرَّهَا شَدِيدٌ ، وَإِنَّ قَعْرَهَا بَعِيدٌ ، وَإِنَّ مَقَامِعَهَا حَدِيدٌ ، ثم قال : لا يعرف للحسن سماع من عتبة بن غزوان .

---

٣٦) رواه مسلم رقم (٢٩٦٧) في الزهد والرقائق : في فاتحته ، وأحمد في « المسند » ٤/١٧٤ .

٣٧) رقم (٢٥٧٨) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة قعر جهنم ، وإسناده منقطع كما قال المؤلف رحمه الله .

وقال الحافظ في « التقريب » : وفي رواية هشام عن الحسن مقال ، لأنه قيل : كان يرسل عنه .

أقول : ولكن يشهد له معنى الحديث الذي قبله .

وخرج مسلم [٣٨] أيضاً من حديث أبي هريرة قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فسمعنا وجبة(١) ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أَتَدْرُونَ مَا هٰذَا ؟» فَقُلْنَا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قالَ : « هٰذا حَجَرٌ أُرْسِلَ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً ، فَالآن انْتَهَى إلىٰ قَعْرِها » .

وخرج [٣٩] أيضاً عن أبي هريرة قال : وَالَّذي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَة بِيَدِهِ ، إنَّ قَعْرَ جَهَنَّم لَسَبْعُونَ خَرِيفاً .

خرج الحاكم [٤٠] من حديث أبي هريرة ايضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو أخذ سبع خَلِفات (٢) بشُحُومِهِنَّ فألقين مِنْ شَفِيْرِ مِنْ جَهَنَّم ما انْتَهينَ الى آخَرِها سَبْعين عاماً » .

وخرج البزار والطبراني من حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ الحَجَرَ لَيَزِنُ سَبْعَ خَلِفَاتٍ يُرْمَىٰ بِهِ في جَهَنَّمَ ، فَيَهوِي سَبْعِينَ خَرِيفاً وَمَا يَبْلُغُ قَعْرَهَا »[٤١] .

وخرج ابن حبان في « صحيحه » [٤٢] من حديث أبي موسى الأشعري

---

(١) « الوجبة » : أي السَّقطة مع الهدة . أي صوت السقوط .

(٢) « خلفات » : جمع خَلِفَة ، وهي الحامل من النوق .

---

٣٨) رقم (٢٨٤٤) في الجنة وصفة نعمها وأهلها : باب في شدة حر نار جهنم . . . الخ ، وأحمد في المسند » ٢/ ٣٧١ .

٣٩) رقم (١٩٥) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

٤٠) رواه الحاكم ٤/ ٦٠٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال الذهبي : قلت : سنده صالح . ا هـ . أقول : وفي سنده عقبة بن أبي الحسناء وهو مجهول ، كما قال الذهبي في « الميزان » ، وله شاهد بمعناه ذكره الهيثمي في « المجمع » ١٠/ ٣٨٩ من حديث أنس رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف ، وشاهد آخر من حديث معاذ ـ الآتي ـ بسند فيه جهالة ، ورواية أخرى عند الحاكم ٤/ ٥٩٧ من حديث أبي هريرة وصححه ووافقه الذهبي .

٤١) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/ ٣٨٩ : رواه البزار والطبراني وفيهما محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف ، من حديث أبي موسى الأشعري .

٤٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٦٠٩) « موارد » ، وفيه عطاء بن السائب وكان قد اختلط لكن لا بأس به في الشواهد . انظر « الاحاديث الصحيحة » رقم (١٦١٢) .

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَوْ أَنَّ حَجَراً قُذِفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ لَهَوَىٰ سَبْعِينَ خَرِيفاً قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهَا » .

وقد سبق من حديث أنس وأبي سعيد معنى حديث أبي هريرة في سماع الهدة .

وقال ابن المبارك : أنبأنا يونس عن الزهري ، قال : بلغنا أن معاذ بن جبل كان يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ مَا بَيْنَ شَفَةَ النَّارِ وَقَعْرِهَا كَصَخْرَةٍ زِنَةُ سَبْعِ خَلِفَاتٍ بِشُحُومِهِنَّ وَلُحُومِهِنَّ وَأَوْلَادِهِنَّ تَهْوِي مِنْ شَفَةِ النَّارِ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ قَعْرَهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً » [٤٣] .

قال ابن المبارك : وإن هشيماً قال : أخبرني زكريا بن أبي مريم الخزاعي ، قال : سمعت أبا أمامة يقول : إنَّ مَا بَيْنَ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفاً مِن حَجَرٍ يَهْوِي أَوْ صَخْرَةٍ تَهْوِي عِظْمُهَا لِعَظْمِ عَشْرِ عَشْرَوات عِظَامِ سِمانٍ ، فقال له رجل : هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة ، قال : نَعَمْ غَيٌّ وَآثَامٌ .

وقد روى هذا باسناد فيه ضعف من طريق لقمان بن عامر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزاد فيه قلت : وَمَا غَيٌّ وَمَا آثَامٌ قال : «بِئْران يَسِيلُ فِيهِمَا صَدِيدُ [١] أَهْلِ النَّارِ ، وَهُما اللَّتَانِ ذَكَرَهُمَا الله تَعالَىٰ فِي كِتَابِهِ ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾ [مريم : ٥٩] وفي الفرقان ﴿ يَلْقَ أَثاماً ﴾[الفرقان : ٦٨] والموقوف أصح .

---

(١) « الصديد » : الدم والقيح الذي يسيل من الجسد .

---

٤٣) قال المنذري في « الترغيب والترهيب » ٤/٤٧٢ : رواه الطبراني ورواته رواه الصحيح ، إلا أن الراوي عن معاذ لم يُسَمَّ . وكذا قال الهيثمي في « المجمع » ١٠ / ٣٩٠ .

وقد روي من وجه آخر ، قال حريز بن عثمان : حدثني عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي عن أبي أمامة أنه كان يقول : إِنَّ جَهَنَّمَ مَابَيْنَ شَفَتَيْهَا إِلَىٰ قَعْرِهَا سَبْعُونَ أَوْ قالَ : خَمْسُونَ خُرِيفاً لِلْحَجَرِ المُتَرَدِّي ، وَالحَجَرُ مِثْلُ سَبْعِ خَلَفَاتٍ مَمْلُوءَةٍ شَحْماً وَلَحْماً . خرجه الجوزجاني .

وروى مجالد عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « مَا مِنْ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ إِلاَّ يُحْبَسُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَلِكٌ آخِذٌ بِقِفَاهُ حَتَّىٰ يَقِفَهُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ قَالَ لَهُ : أَلْقِهِ أَلْقَاهُ فِي مَهْوَى أَرْبَعِينَ خَرِيفاً » خرجه الإمام أحمد [44] .

وروى عبد الله بن الوليد الوصافي ، حدّثنا عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يُجاءُ بِالوَالِي يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُنْبَذُ (١) عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَيَرْتَجُّ ذَٰلِكَ الجِسْرُ بِهِ إِرْتِجَاجَةً لَا يَبْقَىٰ مِنْهُ مَفْصَلٌ إِلاَّ زَالَ عَنْ مَكَانِهِ ، إِنْ كَانَ مُطِيعاً للهِ فِي عَمَلِهِ مَضُوا بِهِ ، وَإِنْ كَانَ عَاصِياً للهِ فِي عَمَلِهِ انْخَرَقَ بِهِ الجِسْرُ ، فَيَهْوِي فِي جَهَنَّمَ مِقْدَارَ خَمْسِينَ عَامَاً » ، فقال له عمر : من يطلب العمل بعد هذا ؟ قال أبو ذر : من سلت الله أنفه وألصق خده بالتراب ، فجاء أبو الدرداء فقال له عمر : يا أبا الدرداء هل سمعت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً حدّثني به أبو ذر ، قال : فأخبره أبو ذر فقال : نعم ومع الخمسين خمسون عاماً يهوي به الى النار . الوصافي لا يحفظ الحديث ، كان شيخاً صالحاً رحمه الله .

وروى سويد بن عبد العزيز وفيه ضعف شديد عن سيار عن أبي وائل أن

---

(١) يقال : نبذت الشيء أنبذه نبذاً ، فهو منبوذ ، إذا رميته وأبعدته . أي فيلقى .

---

٤٤) رواه أحمد في « المسند» ١ / ٤٣٠ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد» ٤ /١٩٣ : رواه البزار ، وفيه مجالد بن سعيد ، وثقه النسائي وضعفه جماعة .

أبا ذر قال لعمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فذكر معناه ، وفي حديثه « وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً انْخَرَق بِهِ الجِسْرُ فَهَوَى في قَعْرِها سَبْعِينَ خَرِيفاً » .

وفي « موعظة الأوزاعي » للمنصور قال : أخبرني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة الأنصاري أن أبا ذر وسلمان قالا لعمر : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، فذكراه بمعناه ، وقال:« هَوَى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً » .

وفي « الصحيحين » [٤٥] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيها[(١)] يَزِّلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَد مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والْمَغْرِبِ » .

وخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسَاً يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً » [٤٦] وخرج البزار نحوه من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي « تفسير ابن جرير » من رواية العوفي عن ابن عباس في قوله

---

(١) « ما يتبين ما فيها » : معناه لا يتدبرها ويتفكر في قبحها ، ولا يخاف ما يترتب عليها ، وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة ، وكالكلمة يقذف . أو معناه كالكلمة التي يترتب عليها اضرار مسلم ، ونحو ذلك .

---

٤٥) البخاري رقم (٦٤٧٧) في الرقاق : باب حفظ اللسان ، ومسلم رقم (٢٩٨٨) في الزهد : باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار .

٤٦) رواه أحمد في « المسند » ٢/٣٧٩ والترمذي رقم (٢٣١٥) في الزهد : باب فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس ؛ وابن ماجة رقم (٣٩٧٠) في الفتن : باب كف اللسان في الفتنة . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الاحاديث الصحيحة رقم (٥٤٠) .

تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَياماً مَعْدُودَة ﴾ [البقرة : ٨٠] قال : ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوباً أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة الى أن ينتهوا الى شجرة الزقوم ثابتة في أصل الجحيم .

وكان ابن عباس يقول : إن الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فزعم أعداء الله أنه إذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياماً معدودة ، وانما يعني بذلك السير الذي ينتهي الى أصل الجحيم ، فقالوا : إذا خلا العدد انقضى الأجل فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك ، فذلك قوله : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَاماً مَعْدُودَةً ﴾ يعنون بذلك الأجل ، فقال ابن عباس : لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب حتى انتهوا الى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة ، وهي أربعون سنة ، فلما أكلوا من شجرة الزقوم وملؤوا البطون آخر يوم من الأيام المعدودة قال لهم خزنة سقر : زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أياماً معدودة وقد خلا العدد وأنتم في الأبد ، فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون .

ففي هذه الرواية عن ابن عباس أن قعر جهنم ومسافة عمقها أربعون عاماً ، وان ذلك هو معنى ما في التوراة ، ولكن اليهود حرفوه فجعلوه مسافة ما بين طرفيها ، وزعموا أنه اذا انقضت هذه المدة أن جهنم تخرب وتهلك ، فان ذلك من كذبهم على الله وتحريفهم التوراة [1] .

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية : يقول تعالى إخباراً عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم من أنهم لن تمسهم النار إلّا أياماً معدودة ثم ينجون منها ؛ فرد الله عليهم ذلك بقوله تعالى ﴿ قُلْ أتخذتم عند الله عهداً ﴾ أي بذلك ، فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده ، ولكن هذا ما جرى ولا كان ، ولهذا أتى بأم التي بمعنى بل ، أي بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه ثم ساق ما ورد من الآثار في ذلك ا هـ « تفسير ابن كثير » ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

فصل
[سعة جهنم طولاً وعرضاً]

وأما سعة جهنم طولاً وعرضاً ، فروى مجاهد عن ابن عباس ، قال : أتدرون ما سعة جهنم ؟ قلنا : لا ، قال : أجل والله ما تدرون أن ما بين شحمة أُذن أحدهم وأنفه مسيرة سبعين خريفاً تجري فيه أودية القيح والدم ، قلنا : أنهار ؟ قال : لا ، بل أودية ، ثم قال : أتدرون ما سعة جهنم ؟ قلنا : لا ، قال : حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى : ﴿ والأَرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَة والسَّمَواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] فأين الناس يومئذ ؟ قال : « عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ » خرجه الامام احمد ، وخرج النسائي والترمذي منه المرفوع وصححه الترمذي ، وخرجه الحاكم وقال : صحيح الاسناد[٤٧] .

***

---

٤٧) رواه أحمد في « المسند » ٦/١٧١ الترمذي رقم (٣٢٤١) في تفسير القرآن : باب ومن سورة الزمر . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وصححه الحاكم ٢/٤٣٦ ووافقه الذهبي .

الباب الثامن

في ذكر سرادقها

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُم أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُل بَابٍ مِنْهُم جُزْءٌ مَقْسُومٌ [1] ﴾[الحجر : ٤٣ ـ ٤٤] .

وخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ لِجَهَنَّم سَبْعَةُ أَبْوابٍ ، بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَىٰ أُمَّتِي » [٤٨] .

وخرج الإمام أحمد من حديث عتبة بن عبد السلمي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ لِلْجَّنَةِ ثَمانِيَة أَبْوَابٍ وَلِجَهَنَّم سَبْعَةَ أَبْوَابٍ ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ » [٤٩] .

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع ابليس يدخلونه لا محيد لهم عنه ـ أجارنا الله منها ـ وكل يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر في درك بقدر عمله .

---

٤٨) رواه أحمد في « المسند » ٢/٩٤ ، والترمذي رقم (٣١٢٣) في تفسير القرآن : باب ومن سورة الحجر . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مِغْوَلٍ .

٤٩) رواه أحمد في « المسند » ٤/١٨٥ ـ ١٨٦ ، ولفظه : « القتل ثلاثة : رجل مؤمن قاتل بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدُّو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد المفتخر في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة

وفي حديث أبي رزين العقيلي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَعَمْرُ إلَهِكَ إنَّ لِلنَّارِ سَبْعَةَ أَبْوابٍ مَا مِنْهُنَّ بابان إلاَّ وَيَسيرُ الرَّاكِبُ بيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَاماً » . خَرَجه عبد الله بن الإمام أحمد وابن أبي عاصم والطبراني والحاكم وغيرهم [٥٠] .

وخرج البيهقي من حديث أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المرور على الصراط وقال فيه : « فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمَطْرُوحٌ فِيهَا » ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبواب لكلُ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٤] [٥١] .

وروى أبو اسحاق عن هبيرة بن مريم عن علي قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، وقال بإصبعه : وعقد خمسين وأضجع يده ، ثم يمتلىء الأول والثاني والثالث حتى عقدها كلها . خرجه ابن أبي حاتم وغيره، ورواه بعضهم عن أبي اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي بمعناه .

وخرج ابن أبي حاتم من طريق حطان الرقاشي ، قال : سمعت علياً يقول : هل تدرون كيف أبواب جهنم ، قلنا : هي مثل أبوابنا هذه ، قال : لا هي هكذا بعضها فوق بعض . وفي رواية له أيضاً : بعضها أسفل من بعض ، وخرجه البيهقي ولفظه : أبواب جهنم هكذا ، ووضع يده اليمنى على ظهر يده اليسرى .

النبوة ، ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى اذا لقي العدّو قاتل حتى يقتل ، محيت ذنوبه وخطاياه ، إن السيف محاء للخطايا ، وادخل من أي أبواب الجنة شاء ، فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب ، وبعضها أفضل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى اذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل ، فإن ذلك في النار لايمحو النفاق » . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥/٢٩١ : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الأملوكي وهو ثقة .

٥٠) رواه أحمد في « المسند » ٤/١٣ ـ ١٤ وقال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٣٣٨ ـ ٣٤٠ : رواه أحمد والطبراني بنحوه وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ، ورجالها ثقات ، والاسناد الآخر ـ اسناد الطبراني ـ مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً . . . ورواه أيضاً الحاكم ٤/٥٦٠ ـ ٥٦٤ .

٥١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٤/١٠٠ من حديث ابي هريرة رضي الله عنه فقط ونسبه لابن مرذويه والبيهقي في « البعث » .

وعن ابن جريج في قوله : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوابٍ ﴾ قال : أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ، ثم الجحيم وفيها أبو جهل ، ثم الهاوية ، خرجه ابن أبي الدنيا وغيرُه .

وقال جويبر عن الضحاك : سمى الله أبواب جهنم لكل باب منهم جزء مقسوم : باب لليهود وباب للنصارى وباب للمجوس وباب للصابئين وباب للمنافقين وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب وباب لأهل التوحيد ، وأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى للآخرين . خرجه الخلال .

وقال آدم بن أبي اياس : حدّثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي ميسرة في قوله : ﴿ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّم ﴾ [الزمر : ٧٢] قال : لجهنم سبعة أبواب بعضها أسفل من بعض .

وقال عطاء الخراساني : إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غماً وكرباً وحراً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ركبوه بعد العلم . خرجه أبو نعيم[1] .

وعن كعب قال : لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية .

وهذا كله من حديث ابن عمر المتقدم يدل على أن كل باب من الأبواب السبعة لعمل من الأعمال السيئة ، كما أن أبواب الجنة الثمانية كل باب منها لعمل من الأعمال الصالحة .

وعن وهب بن منبه قال : بين كل بابين مسيرة سبعين سنة ، كل باب أشد حراً من الذي فوقه .

وخرج الثعلبي في « تفسيره » باسناد مجهول الى منصور بن عبد الحميد بن أبي رباح ، عن أنس، عن بلال أن أعرابية صلت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُم جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٤] فخرت مغشياً عليها ، فلما

---

(١) «الحلية» ٥/١٦٨ .

أفاقت قالت : يا رسول الله كل عضو من أعضائي يعذب على كل باب منها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُم جُزءٌ مَقْسُومٌ يُعَذَّبُ عَلَىٰ كُلِّ بابٍ عَلَىٰ قَدَرِ أَعْمَالِهِم » ، فقالت: مالي إلا سبعة أعبد ، أشهدك أن كل عبد منهم لكل باب من أبواب جهنم حر لوجه الله عز وجل، فجاء جبريل فقال : بَشِّرْهَا أَنَّ الله قَدْ حَرَّمَهَا عَلَىٰ أَبْوابِ جَهَنَّم . وهذا حديث لا يصح مرفوعاً، ومنصور بن عبد الحميد، قال فيه ابن حبان: لا تحل الرواية عنه.

والصحيح ما روى مخلد بن الحسن عن هشام بن حسان ، قال : خرجنا حجاجاً فنزلنا منزلاً في بعض الطريق ، فقرأ رجل كان معنا هذه الآية ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوابٍ ﴾ فسمعته امرأة ، فقالت : أعد رحمك الله ، فأعادها : فقالت : خلفت في البيت سبعة أعبد أشهدكم أنهم أحرار لكل باب واحد منهم . خرجه ابن أبي الدنيا .

وخرج البيهقي من حديث الخليل بن مرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ﴿ تبارك ﴾ و﴿ حم السجدة ﴾ وقال : « الحَوَامِيمُ سَبْعٌ وَأَبْوَابُ جَهَنَّمَ سَبْعٌ: جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم » وقال : « تَجِيءُ كُلُّ حَامِيم مِنْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ ، أَحسبه قال : تَقِفُ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ هَذِهِ الأَبْوابِ فَتَقُولُ : اللَّهُمَّ لا تُدْخِلْ هَذَا البَابَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِي وَيَقْرَؤُني » وقال : هذا منقطع والخليل بن مرة فيه نظر.

وروى ابن أبي الدنيا من طريق عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : كان بالبادية رجل قد اتخذ مسجداً ، فجعل في قبلته سبعة أحجار ، فكان اذا قضى صلاته قال : يا أحجار أشهدكم أن لا إله إلا الله ، قال : فمرض الرجل فعرج بروحه ، قال : فرأيت في منامي أنه أمر بي إلى النار ، فرأيت حجراً من تلك الأحجار أعرفه بعينه وقد عظم فسد عني باباً من أبواب جهنم ، قال : حتى سد عني بقية الأحجار أبواب جهنم السبعة .

فصل

[أبواب جهنم مغلقة على أهلها]

وقد وصف الله أبوابها بأنها مغلقة على أهلها فقال : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة : ٨] وقال تعالى : ﴿ عليْهِمْ نَارٌ مؤْصَدَةٌ ﴾ [البلد : ٢٠] قال مجاهد : هي بلغة قريش : أصد الباب أغلقه يعني قوله : ﴿ مُؤْصَدَةٌ ﴾ ، وقال مقاتل : يعني أبوابها مطبقة عليهم فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع خرجه ابن مردويه من طريق شجاع بن أشرس ، حدّثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهم مُؤْصَدَةٌ ﴾ قال : مطبقة » ، ولكن رفعه لا يصح ، وقد خرجه آدم بن أبي اياس في « تفسيره » عن شريك بهذا الاسناد موقوفاً على أبي هريرة ، ورواه اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح من قوله ولم يذكر فيه أبا هريرة ، وكذا قال عطاء الخراساني وغيره في المؤ صدة أنها المطبقة .

وعن الضحاك قال : حائط لا باب له ، ومراده ـ والله أعلم ـ ان الأبواب أطبقت فصار الجدار كأنه لا باب له ، وقوله تعالى : ﴿ إنَّها عليهم مُؤْصَدَة * في عَمَدٍ مُمُدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ٨ ـ ٩] معناه أطبقت عليهم بعمد ، قال قتادة : وكذلك هو في قراءة عبد الله بعمد بالباء ، قال عطية : هي عمد من حديد في النار ، وقال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد حتى يرجع عليهم غمها وحرها .

وعلى هذا فقوله : ﴿ مُمَدَّدَةٍ ﴾ صفة للعمد يعني أن العمد التي أوثقت بها الأبواب ممددة مطولة ، والممدود الطويل أرسخ وأثبت من القصير .

وفي « تفسير العوفي » عن ابن عباس في قوله : ﴿ في عَمَدٍ مُمدَّدَةٍ ﴾

قال : هي عليهم مغلقة أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل فسدت به الأبواب ، وقيل : إن الممددة صفة لـلأبواب. رواه شبيب ابن بشير عن عكرمة عن ابن عباس ، وقيل : المراد بالعمد الممددة: القيود الطوال ، رواه اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح ، ورواه أبو خباب الكلبي عن زبيد عن ابراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ في عَمَدٍ مُمَّددةٍ ﴾ قال : هي الأدهم ، وقد تقدم أن عبد الله كان يقرؤ هابعمد، والأدهم : القيد .

وكذا قال ابن زيد في قوله : ﴿ في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ قال في ـــ من حديد مغلولين فيه ، وتلك العمد من نار قد احترقت من النار فهي ممددة لهم .

وقيل : إن المراد بالعمد الممددة : الزمان الذي لا انقطاع له : قاله أبو فاطمة .

وقال السدي : من قرأها ﴿ في عَمَدٍ ﴾ يعني بالفتح فهي عمد من نار ، ومن قرأها في ﴿ عُمُدٍ ﴾ يعني بالضم فهو أجل ممدود .

وقال سعيد بن بشير عن قتادة : ﴿مُؤْصَدَة ﴾ أي مطبقة أطبقها الله عليهم فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد .

وهذا الإطباق نوعان :

أحدهما : خاص لمن يدخل في النار أو من يريد الله التضييق عليه ، أجارنا الله من ذلك . قال أبو توبة اليزني : إن في النار أقواماً مؤصدة عليهم كما يطبق الحق على طبقه . خرجه ابن أبي حاتم .

والثاني : الإطباق العام وهو إطباق النار على أهلها المخلدين فيها .

وقد قال سفيان وغيره في قوله تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] قالوا : هو طبق النار على أهلها .

وفي حديث مسكين أبي فاطمة عن اليمان بن يزيد ، عن محمد بن حمير ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خروج الموحدين من النار ، قال : « ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلاَئِكَةً مَعَهُمْ مَسَامِيرَ مِنْ نَارٍ وَأَطْباقٍ مِنْ نَارٍ ، فَيُطْبِقُونَهَا عَلَىٰ مَنْ بَقِيَ فِيهَا ، وَيُسْمِرُونَهَا بِتِلْكَ المسامير ، يَتَنَاسَاهُمُ الجَبَّارُ عَلَىٰ عَرْشِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَشْتَغِلُ عَنْهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ بِنَعِيمِهِمْ وَلَذَاتِهِمْ » خرجه الأسماعيلي وغيره ، وهو حديث منكر ، قاله الدارقطني .

وروى ابن ابي حاتم باسناده عن سعيد بن جبير ، قال : ينادي رجل في شعب من شعاب النار مقدار ألف عام : يا حَنَانُ يَا مَنَانُ ، فيقول الله تعالى : يَا جِبْرِيلِ أَخْرِجْ عَبْدِي ، فيجدها مطبقة ، فيقول : يا رب إنها عليهم مطبقة مؤ صدة .

وقال قتادة عن أبي أيوب العتكي عن عبد الله بن عمرو : إذا أجاب الله أهل النار بقوله : ﴿ اخْسَؤوا فيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ[1] ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] أطبقت عليهم فيئس القوم بعد تلك الكلمة ، وإن كان إلا الزفير والشهيق .

وقال أبو الزعراء عن ابن مسعود : وإذا قيل لهم : ﴿ اَخْسَؤُوا فيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد .

وقال أبو عمران الجوني : إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار عنيد ، وكل شيطان مريد ، وبكل من يخاف في الدنيا شره العبيد ، فأوثقوا بالحديد ، ثم أمر بهم الى جهنم التي لا تبيد ، ثم أوصدها عليهم ملائكة رب العبيد ، قال : فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً ، ولا والله لا ينظرون فيها الى أديم سماء أبداً ، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً ، ولا

---

(١) ﴿ اخسؤ وا فيها ﴾ : أي انزجروا أو ابعدوا كالكلاب .

والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً .

وفي معنى إطباق النار على أهلها يقول بعض السلف رضي الله عنهم :

ألبسوا النضيج من النحاس ، ومنعوا خروج الأنفاس ، فالأنفاس في أجوافهم تتردد ، والنيران على أبدانهم توقد ، قد أطبقت عليه الأبواب وغضب عليهم رب الأرباب ، وأنشد بعضهم في هذا المعنى :

لَـوْ أَبْـصَـرَتْ عَـيْـنَـاكَ أَهْـلَ الشَّقَـا سِيقُوا الى النَّـار وَقَـدْ أُحْـرِقُـوا
تَـصْـلونَهَا حِـينَ عَـصَـوْا رَبَّهُـم وَخَـالَفُـوا الـرُّسـل وَمَـا صَـدَّقُـوا
تَـقُـول أُخْـراهُـم لِأَوْلاَهُـمُ في لُجَـجٍ المُـهْـل وَقَـدْ أُغْـرِقُـوا
قَـد كُـنْـتُـم حـذِّرتُـمْ حَـرَّهَـا لـكِـنْ مِـنَ الـنِّـيـران لَمْ تَـفْـرُقُـوا
وَجِـيء بِـالـنَّـيـرانِ مَـزْمُـومَـةً شِـرَارُهـا مِـنْ حَـوْلِها مُحْـرِقُ
وَقِـيـلَ لِـلْـنِـيـرانِ أنْ أَحْـرِقـي وَقِـيـلَ لِـلْخُـزَّان أَنْ أَطْـبِـقُـوا

وقد ورد في بعض أحاديث الشفاعة فتح باب النار ، فخرج الطبراني من رواية العباس بن عوسجة ، حدثني مطر أبو موسى مولى آل طلحة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إنِّي آتِي جَهَنَّمَ فَأَضْرِبُ بَابَها ، فَيُفْتَحُ لِي فَأَدْخُلَهَا ، فَأَحْمَدُ الله بِمَحَامِدَ مَا حَمَدَه بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي مِثْلَهَا وَلاَ يَحْمَدُهُ أَحَدٌ بَعْدِي ، ثُمَّ أُخْرِجُ مِنْهَا مِنْ قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ الله مُخْلِصَاً، فَيقُومُ إليَّ نَاسٌ من قُرَيْشٍ فَيَنْتَسِبُونَ إلَيَّ ، فَأَعْرِفُ نَسَبَهُمْ وَلاَ أَعْرِفُ وَجُوهَهُمْ فَأَتْرَكَهُمْ فِي النَّارِ » إسناده ضعيف[٥١] .

فصل

[إحاطة سرادق جهنم بالكافرين]

قال الله تعالى : ﴿ إنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادقُها ﴾

---

٥١) قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٣٧٩ : رواه الطبراني في « الأوسط » عن شيخه علي بن سعيد الرازي وفيه لين ، وفيه من لم أعرفه . اهـ .

[الكهف : ٢٩] قال الزجاج : السرادق : كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب والحائط المشتمل على الشيء ، وقال ابن قتيبة : السرادقات : الحجرة التي تكون حول الفسطاط، قيل : هو الدهليز معرب ، وأصله بالفارسية سرادار ، وقال ابن عباس : هو سرادق من نار .

وروى ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «سَرَادِق النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ ، كِثَفُ كُلِّ جِدَارٍ مَسِيرَة أَرْبَعِينَ سَنَةَ » خرجه الترمذي[٥١] .

وإحاطة السرادق بهم قريب من المعنى المذكور في غلق الأبواب ، وهو شبه قول من قال : إنه حائط لا باب له .

ولما كان إحاطة السرادق بهم موجب لهمهم وغمهم وكربهم وعطشهم لشدة وهج النار عليهم قال الله تعالى : ﴿ وإن يَسْتَغيثُوا يُغاثُوا بِمَاء كَالْمُهْل (١) يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ [الكهف : ٢٩] وقال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ (٢) مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا منها منْ غمٍّ أُعيدُوا فيهَا وَذُوقوا عَذَابَ الحَريقِ ﴾ [الحج : ٢١ ـ ٢٢] .

قال أبو معشر : كنا في جنازة مع أبي جعفر القاري فبكى أبو جعفر ، ثم قال : حدّثني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون ، فذلك الذي أبكاني . خرجه الجوزجاني .

وخرج ابن أبي حاتم من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن

---

(١) ﴿ كالمهل ﴾ : أي كدُرْدِيِّ الزيت ، أو كالمذاب من المعادن .
(٢) ﴿ مقامع ﴾ : أي مطارق أو سياط .

---

٥٢) رقم (٢٥٨٧) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ، وإسناده ضعيف .

عكرمة ، قال : عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ سَبْعُونَ أَلْفَ سُرَادِقَ مِنْ نَارٍ ، فِي كُلِّ سُرَادِق مِنْها سَبْعُونَ أَلْفَ قِبَّةٍ مِنْ نَارٍ ، فِي كُلِّ قِبَّةٍ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْف تَنُّورٍ مِنْ نَارٍ ، فِيْ كُلِّ تَنُّورٍ فيها سَبْعُوْنَ أَلْفَ كُوَّةٍ مِنْ نَارٍ ، فِيْ كُلِّ كُوّةٍ فيها سَبْعُونَ أَلْف صَخْرَةٍ مِنْ نَارٍ ،عَلَىٰ كُلِّ صَخْرَةٍ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ حَجَرٍ من نَارٍعَلَىٰ كُلِّ حَجَرٍ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْف عَقْرب مِنْ نارٍ ، لِكُلِّ عَقْرَبٍ مِنها سَبْعونَ أَلْفَ ذَنبٍ مِنْ نارٍ ، لِكُلِّ ذَنَبٍ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ فَقَارَةٍ مِنْ نَارٍ ، فِي كُلِّ فَقَارَةٍ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ قُلَّةٍ[1] مِنْ سُمٍّ وَسَبْعُونَ أَلْفَ مَوْقِدٍ مِنْ نَارٍ يُوقِدُون تِلْكَ النَّارِ » وَذَكر تمام الحديث ، وسيأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى ، وفيه « إِنَّهُمْ يهوون مِنْ بَابٍ إِلَىٰ بَابٍ خَمْسُمِائةٍ سنة » ، وهو غريب ومنكر ، وإبراهيم بن الحكم بن ابان ضعيف تركه الأئمة .

فصل

[أبواب جهنم مغلقة قبل دخولها]

وأبواب جهنم قبل دخول أهلها إليها يوم القيامة مغلقة ، كما دل عليه ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَروا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوابُهَا ﴾ الآية : [الزمر : ٧١] .

وفي حديث أبي هارون العبدي وهو ضعيف جداً عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قصة الإسراء ، قال : « ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فإِذَا فِيهَا غَضَبُ الله وَرَجْزُه وَنِقْمَتُهُ ، لَوْ طُرِحَ فِيهَا الحِجَارَة والحديد لأَكَلَتْهَا ، ثُمَّ أُغْلِقَتْ دُونِي » .

---

(١) القُلَّة : عود صغير ، غليظ الوسط ، دقيق الطرفين ، يُرْمَىٰ على الأرض تم يهمز بالمِقْلَىٰ ، فيرتفع في الهواء قليلاً ، فيضرب بالمقلى ضربة قوية ، فينطلق كالسهم ، ويجري الصبيان وراءه . «معجم الوسيط» .

وقد روي أن أبوابها تفتح كل يوم نصف النهار ، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وروى الإمام أحمد عن إسحاق الأزرقي عن شريك عن الركين عن أبيه ، قال : رأى خباب بن الأرت رجلاً يصلي نصف النهار فنهاه ، وقال : إنها ساعة تفتح فيها أبواب جهنم فلا تصل فيها .

وقد ورد ما يستدل به على أنها مفتحة ، ففي « الصحيحين » [٥٣] عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوابُ الجَنَّةِ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوابُ النَّارِ ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ » . وخرج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنَّ ، وَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَّنَةِ فَلَمْ يَغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ »[٥٣] .

ولكن قد قيل : إن إغلاق أبواب النار إنما هو عن الصائمين خاصة ، وكذلك فتح أبواب الجنة هو لهم خاصة .

وفي حديث القاسم العرني عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل رمضان قال فيه : « فَيُفْتَحُ فِيهَا » أي في أول ليلة منه « أَبْوَابُ الجَنَّةِ لِلْصَّائِمينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فَيَقُولُ الله : يَا رِضْوانُ افْتَحْ أَبْوابَ الجِنَانِ ، وَيَا مَالِكُ أَغْلِقْ أَبْوَابَ الجَحِيمِ عَنِ الصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم » وهذا منقطع ، فإن الضحاك لم يسمع من ابن عباس .

---

٥٣) البخاري (١٨٩٩) في الصوم : باب هل يقال : رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعاً ، وفي بدء الخلق : باب صفة ابليس وجنوده ، ومسلم رقم (١٠٧٩) في الصوم : باب فضل شهر رمضان و« الموطأ » ١/٣١٠ موقوفاً في الصيام : باب جامع الصيام ، والترمذي رقم (٦٨٢) في الصوم : باب ما جاء في فضل شهر رمضان ؛ والنسائي ٤/١٢٦ - ١٢٨ في الصوم : باب فضل شهر رمضان ، وباب ذكر الاختلاف على الزهري فيه ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٩٢ و٣٥٧ و٣٧٨ .

الباب التاسع

في ذكر ظلمتها وشدّة سوادها

روى شريك عن عاصم عن أبي صالح ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أُوقِدَ عَلَىٰ النَّارِ أَلْفُ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، ثُمَّ أُوقد عَلَيْهَا أَلْفُ سَنَةٍ حَتَّىٰ احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفُ سَنَةٍ حَتَّىٰ اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ كَاللَّيْلِ المُظْلِمِ » خرجه ابن ماجه والترمذي [٥٥] وقال : حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح ، ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي كثير عن شريك .

وروى معن عن مالك عن أبي سهيل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَتَرَوْنَهَا حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ لَهِيَ أَشَدُّ سَوَاداً مِنَ القَّارِ » خرجه البيهقي ، وخرجه البزار ولفظه « لَهِيَ أَشَدُّ مِنْ دُخَانِ نَارِكُمْ هَذِهِ سَبْعِينَ ضِعْفاً » وروي موقوفاً على أبي هريرة وهو أصح ، قاله الدارقطني .

وقال الجوزجاني : حدّثنا عبيد الله الحنفي ، حدّثنا فرقد بن الحجاج ، سمعت عقبة اليماني يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله

---

٥٥) رواه الترمذي رقم (٢٥٩٤) في صفة جهنم : باب رقم ٨ ، وابن ماجه رقم (٤٣٢٠) في الزهد : باب صفة النار ، واسناده ضعيف .

عليه وآله وسلم : « إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً مِنْ نَارِكُمْ هَذِهِ بِتِسْعَةٍ وتِسْعِيْنَ جُزْءاً ، وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ لاَ ضَوْءَ لَهَا ، لَهِيَ أَشَدُّ سَوَاداً مِنَ القَطِرانِ » غريب جداً .

وروى الكديمي عن سهل بن حماد عن مبارك بن فضالة عن ثابت ، عن أنس ، قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ نَاراً وُقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] قال : « أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ، ثُمَّ أُوقِّدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّىٰ احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أُوْقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّىٰ اسْوَّدَتْ ، فَهِي سَوْداءَ لاَ يُضِيءُ لَهَبُها » خرجه البيهقي ،والكديمي ليس بحجة .

وخرج البزار من حديث زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر ناركم هذه فقال : « إِنَّهَا لَجُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، وَمَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ - حَتَّىٰ أَحْسِبَهُ قَالَ : حَتَّىٰ نُضِحَتْ بِالمَاءِ مَرَّتَيْنِ لِتُضِيءَ لَكُمْ ، وَنَارُ جَهَنَّم سَوْداءُ مُظْلِمَةٌ » [٥٦] .

وفي حديث عدي بن عدي عن عمر مرفوعاً ذكر الإيقاد عليها ثلاثة آلاف عام أيضاً ، وقال : « فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ لاَ يُضِيءُ جَمْرُهَا وَلاَ لَهَبُهَا » خرجه ابن أبي الدنيا والطبراني ، وقد سبق اسناده والكلام عليه .

وروى ابن أبي الدنيا من طريق الحكم بن ظهير - وهو ضعيف - عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ﴿ وإذا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢] قال : سعرت ألف سنة حتى ابيضت ، ثم ألف سنة حتى احمرت ، ثم ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة ، الحكم بن ظهير ضعيف ، والصحيح رواية عاصم عن ابي صالح عن أبي هريرة كما سبق .

وروى الأعمش عن أبي ظبيان عن سلمان ، قال : النار سوداء مظلمة

---

٥٦) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/٣٨٨ : رواه البزار ورجاله ضعفاء على توثيق لين فيهم .

لا يطفأ جمرها ولا يضي لهبها، ثم قرأ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾[الأنفال: ٥٠] ، خرجه البيهقي من طريق أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية عن الأعمش مرفوعاً ، وقال : رفعه ضعيف .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : ضرب الله مثلاً للكافرين قال : ﴿ أَو كَظُلُمَاتٍ في بَحْرٍ لِّجي [(١)] ﴾ الآية [النور : ٤٠] فهو يتقلب في خمس من الظلم : كلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات إلى النار .

وقال أيضاً أبو جعفر عن الربيع بن أنس : إن الله جعل هذه النار - يعني نار الدنيا - نوراً وضياء ومتاعاً لأهل الأرض ، وإن النار الكبرى سوداء مظلمة مثل القير - نعوذ بالله منها .

وعن الضحاك قال :جهنم سوداءوماؤ ها أسود وشجرها أسود وأهلها سود

وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا أُغشيَتْ وُجُوهُهُم قِطَعاً مِنَ الليل مُظْلِماً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٧] وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبِيضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآية [آل عمران : ١٠٦] .

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن من عصاة الموحدين من يحترق في النار حتى يصير فحماً [٥٧] .

***

---

(١) ﴿ بحر لجي ﴾ : أي عميق كثير الماء .

---

٥٧) منها ما رواه البخاري ٦٨/١ في الإيمان : باب تفاضل اهل الإيمان ، وفي الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (١٨٤) في الإيمان : باب اثبات الشفاعة ، وإخراج الموحدين من النار ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ولفظه : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول : انظروا من وجدتهم في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا ، فيلقون في نهر الحياة - أو الحيا - فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية » هذا لفظ مسلم .

الباب العاشر

في ذكر شدة حرّها وزمهريرها

قال الله تعالى : ﴿ وَقالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨١] .

وفي « الصحيحين » [٥٧] عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا فَقالَتْ : يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً فَنَفِّسْنِي ، فَأَذَنَ لَهَا فِي نَفَسَيْنِ نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ مِنْ سُمُومِهَا [(١)] وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ البَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا » .

وفي « الصحيحين » [٥٨] أيضاً عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « نَارُكُمْ هٰذِهِ الَّتِي يُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً

---

(١) يقال للريح التي تهب حارة بالنهار : سُمُوم ، وبالليل : حرور .

---

٥٧) رواه البخاري رقم (٥٣٦ و ٥٣٧) في مواقيت الصلاة : باب الابراد بالظهر في شدة الحر ، ورقم (٣٢٦٠) في بدء الخلق : باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ومسلم رقم (٦١٧) في المساجد : باب استحباب الابراد بالظهر في شدة الحر ، والترمذي رقم (٢٥٩٥) في صفة جهنم : باب ما جاء أن للنار نفسين .

ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/٢٣٨ و٤٦٢ ، و « الموطأ » ١/١٥ في وقوت الصلاة : باب النهي عن الصلاة بالهاجرة من حديث عطاء بن يسار .

٥٨) البخاري رقم (٣٢٦٥) في بدء الخلق : باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ومسلم رقم (٢٨٤٣) في صفة الجنة : باب في شدة حر نار جهنم ، و « الموطأ » ٢/٩٩٤ في جهنم ، والترمذي رقم (٢٥٩٢) في صفة جهنم : باب ما جاء في أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٤٤ .

مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » قَالُوا : وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ : « إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا » وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه « ضُرِبَتْ بِالبَحْرِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَوْلَا ذَٰلِكَ مَا جَعَلَ اللهُ فِيهَا مَنْفَعَةً لِأَحَدٍ » وقد سبق من حديث أنس نحوه .

وعن عطية العوفي عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا مِثْلُ حَرِّهَا » خرجه الترمذي [59] .

وقال الإمام أحمد [60] : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا عبد العزيز ـ هو الدراوردي ـ عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ هَذِهِ النَّارُ جِزْءٌ مِنْ مِائَةِ جِزْءٍ مِنْ جَهَنَّمَ » .

وقال ابن مسعود : « إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ ضُرِبَ بِهَا البَحْرُ فَفَتُرَتْ ، وَلَوْلَا ذَٰلِكَ مَا انْتَفَعْتُمْ بِهَا ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّم » وخرجه البزار مرفوعاً والموقوف أصح .

وخرج الطبراني من طريق تمام بن نجيح ، عن الحسن ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلمَ قال : « لَوْ أَنَّ غَرْباً (١) مِنْ جَهَنَّمَ جُعِلَ فِي وَسَطِ الأَرْضِ لَأَذَىٰ نَتْنُ رِيحهِ وشِدَّةُ حَرِّه ما بَيْنَ المَشْرِق والمغْرِبِ ، وَلَوْ أَنَّ

---

(١) « غَرْباً » الغَرْب : ـ بسكون الراء ـ : الدَّلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثور ، فإذا ـ فتحت الراء ـ فهو الماء السائل بين البئر والحوض .

---

٥٩) رقم (٢٥٩٣) في صفة جهنم : باب ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٦١٩) .

٦٠) رواه أحمد في « المسند » ٣٧٩/٢ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣٨٧/١٠ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

شَرَارةً من شرار جَهَنَّمَ بِالمَشْرِق لَوُجِدَ حَرَّهَا مَنْ بِالمغْرِبِ » وتمام بن نجيح تكلم فيه.

وخرج أيضاً من طريق عدي بن عدي الكندي عن عمر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : وَالَّذي بَعَثَكِ بِالْحقِّ لَوْ أَنَّ قَدْرَ ثُقْبِ إبْرَةٍ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ لَمَاتَ مِنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً مِنْ حَرِّهِ . وقد سبق الكلام على اسناده ، وروي من وجه ضعيف عن الحسن مرسلاً نحوه أيضاً .

وخرج أبو يعلى الموصلي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَوْ كَانَ في هَذا المَسْجد مائة أَلْفٍ أَوْ يزيدُونْ، وَفيهِم رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَتَنَفَّسَ ، فَأَصَابَهُمْ نَفَسُهُ لأَحْرَقَ مَنْ فِي المَسْجِدِ ، أَوْ يَزِيدُونَ » لكن قال الإمام أحمد : هو حديث منكر .

وقال كعب لعمر بن الخطاب : لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حره .

وقال عبد الملك بن عمير : لو أن أهل النار كانوا في نار الدنيا لقالوا[1] فيها .

وقال عبد الله بن أحمد : أخبرت عن سيار عن ابن المعزى ـ وكان من خيار النـاس ـ قال : بلغني أن رجلاً لو خرج منها الى نار الدنيا لنام فيها ألفي سنة .

وقال معاوية بن صالح عن عبد الملك بن أبي بشير يرفع الحديث « ما من يوم إلا والنار تقول : اشتد حري وبعد قعري وعظم جمري عجل إلهي إليَّ بأهلي » .

وقال ابن عيينة عن بشير بن منصور ، قلت لعطاء السلمي : لو أن انساناً أوقدت له نار فقيل له : من دخل هذه النار نجا من النار ، فقال عطاء : لو قيل

---

(١) قوله : « لقالوا » من القيلولة وهي نومة نصف النهار والفعل منها قال يقيل والمصدر تقيُّل وقائله وقيلولة ومقيلاً الأخيرة عن سيبويه .

لي ذلك لخشيت أن تخرج نفسي فرحاً قبل أن أقع فيها .

فصل
[في زمهرير جهنم]

قد سبق في حديث مرفوع « إِنَّ زَمْهَرِيرَ جَهَنَّمَ بَيْتٌ يَتَمَّيَّزُ فِيهِ الكَافِرُ مِنْ بَرْدِهِ » ، يعني يتقطع ويتمزع .

وروى ابن أبي الدنيا من طريق الأعمش عن مجاهد ، قال : إن في النار لزمهريراً يغلون فيه فيهربون منها إلى ذلك الزمهرير ، فإذا وقعوا فيه حطم عظامهم حتى يسمع لها نقيض[1] .

وعن ليث عن مجاهد ، قال : الزمهرير الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده .

وعن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه ، عن ابن عباس، قال : يستغيث أهل النار من الحر فيغاثون بريح باردة يصدع العظام بردها فيسألون الحر .

وعن عبد الملك بن عمير قال : بلغني أن أهل النار يسألون خازنها ، أن يخرجهم الى جانبها ، فيخرجهم فيقتلهم البرد والزمهرير حتى يرجعوا اليها فيدخلوها مما وجدوا من البرد .

وروى أبو نعيم باسناده عن ابن عباس أن كعباً قال : إن في جهنم برداً هو الزمهرير يسقط اللحم [عن العظم][2] حتى يستغيثوا بحر جهنم .

وروي عن ابن مسعود قال : الزمهرير لون من العذاب .

وعن عكرمة قال : هو البرد الشديد .

---

(١) أي صوت ، ومنه نقيض المحامل : صوتها ، ونقيض السقف : تحريك خشبه .

(٢) الزيادة من « الحلية » ٥/ ٣٧٠ .

وروي عن زبيد اليامي أنه قام ليلة للتهجد ، فعمد الى مطهرة له قد كان يتوضأ فيها ، فغسل يده ثم أدخلها في المطهرة ، فوجد الماء الذي فيها بارداً برداً شديداً قد كاد أن يجمد ، فذكر الزمهرير ويده في المطهرة فلم يخرج يده من المطهرة حتى أصبح ، فجاءته الجارية وهو على تلك الحال ، فقالت : ما شأنك يا سيدي لم تصل الليلة كما كنت تصلي ، قال : ويحك إني أدخلت يدي في هذه المطهرة فاشتد عليَّ برد الماء فذكرت به الزمهرير ، فوالله ما شعرت بشدة برده حتى وقفت علي ، انظري لا تخبري بهذا أحداً ما دمت حياً ، فما علم بذلك أحد حتى مات رحمه الله .

***

الباب الحادي عشر

في ذكر سجر جهنم وتسعرها

قد سبق في غير حديث أنه أوقد عليها ثلاثة آلاف عام .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَمَّا خَلَقَ الله النَّارَ أَرْسَلَ إليْهَا جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إلَيْها وَإلىٰ مَا أَعْدَت لِأَهْلِهَا ، قَالَ : فَنظَرَ إلَيْهَا ، فَإذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، فَرَجَعَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ سَمِعَ بِهَا . فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بالشَّهَوَاتِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ فانْظُرْ إلىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فيهَا ، فَذَهَبَ فَنظَرَ إلَيْهَا وَرَجَعَ ، فقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيْتُ أَنْ لا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إلَّا دَخَلَهَا » خرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذي [٦١] .

وفي حديث سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن ملكين أتياه في المنام فذكر رؤيا طويلة وفيها « قال : فَانْطَلَقْتُ فَأَتَيْنَا عَلَىٰ

---

٦١) رواه أحمد في « المسند » ٢/٣٣٢ ـ ٣٣٣ و٣٥٤ و٣٧٣ وأبو داود رقم (٤٧٤٤) في السنة : باب في خلق الجنة والنار ، والترمذي رقم (٢٥٦٣) في صفة الجنة : باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، والنسائي ٣/٧ في الأيمان والنذور : باب الحلف بعزة الله تعالى ، والحاكم ٢/٧١ وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

رَجُلٍ كَرِيهِ المَرآةِ ، كأَكْرَهِ ما أَنْتَ رَاءٍ، فَإذَا هُوَ عَنْدَ نَارٍ يَحُشُّهَا وَيَسْعَىٰ حَوْلَهَا ، قال : قُلْتُ : مَا هٰذَا ؟ قالاَ لِي : انْطَلِقْ انْطَلِقْ » وفي آخر الحديث « قالاَ : فَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهِ المرآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّها وَيَسْعَىٰ حَوْلَهَا فَإنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ » وقد خرجه البخاري بتمامه ، وخرج مسلم أوله ولم يتمه [٦٢] .

وقوله : « كريه المرآة » أي المنظر ، وقوله : « يحشها » أي يوقدها .

وروى هذا الحديث أبو خلدة عن أبي رجاء عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الحديث بطوله، وفي حديثه قال : « فَرَأَيْتُ شَجَرَةً لَوِ اجْتَمَعَ تَحْتَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لأَظَلَّتْهُمْ ، وَتَحْتَهَا رَجُلَانِ أَحَدَهُما يُوقِدُ ناراً وَالآخَرَ يَحْتَطِبُ الحَطَبَ » وفي آخر الحديث « قُلْتُ : فَالرَّجُلانِ اللَّذَانِ رَأَيْتَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، قالَ : ذَلِكَ مَلَكَانِ مِنْ جَهَنَّمَ يُحْمُونَ جَهَنَّمَ لأَعْدَاءِ الله إلى يَوْمَ القِيَامَةِ» .

فصل
[جهنم تسجر]

وجهنم تسجر كل يوم نصف النهار، وفي « صحيح مسلم » [٦٣] عن عمرو بن عبسة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « صَلِّ صَلاَةَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلاَةِ حتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَتَرْتَفِعَ فَإنَّها تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطانٍ ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ ، ثُمَّ صَلِّ فَإنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ

---

٦٢) البخاري رقم (٨٤٥) في الأذان : باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، ورقم (١١٤٣) في التهجد : باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل ، ورقم (١٣٨٦) في الخباء : باب ما قيل في أولاد المشركين ، وفي كتب أخرى ، ومسلم رقم (٢٢٧٥) في الرؤيا : باب رؤيا النبي ﷺ ، والترمذي رقم (٢٢٩٥) فيه : باب رؤيا النبي ﷺ في الميزان والدلو ، وأحمد في « المسند » ٥/٨ .

٦٣) رقم (٨٣٢) في صلاة المسافرين : باب إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه .

[مَحْضُورَةٌ][1] حَتَّىٰ يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ ، فَإِذَا أَقْبَلَ الفَيْءُ فَصَلِّ » وذكر بقية الحديث.

وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير وجه من حديث أبي أمامة وغيره .

وفي حديث صفوان بن المعطل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَصَلِّ حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ رَأْسِكَ مِثْلَ الرُّمْحِ ، فَإِذا اعْتَدَلَتْ عَلَىٰ رَأْسِكَ فَإِنَّ تِلْكَ السَّاعَةِ تُسَجَّرُ فِيهَا جَهَنَّمُ وَتُفَتَّحُ فِيهَا أَبْوَابُهَا حَتَّى تَزُولَ عَنْ حَاجِبِكَ الأَيْمَنَ » خرجه عبد الله بن الإمام أحمد [٦٤] .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فَإِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ فَأَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَمِيلَ الشَّمْسُ ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تُسَعَّرُ جَهَنَّمَ ، وَشِدَّةُ الحَرِّ مِنْ فِيحِ[2] جَهَنَّمَ » [٦٥] .

وروى أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود ، قال : أن الشمس تطلع بين قرني شيطان ـ أو في قرني شيطان ـ فما ترتفع

---

(١) « مشهودة » يشهدها الملائكة ، « محضورة » : أي يحضرها أهل الطاعات .

(٢) الفيح : سطوع الحر وفورانه ، وفاحت القدر تفيح وتفوح إذا غلت . أي شدة غليانها وحرها .

---

٦٤) هو جزء من حديث طويل رواه عبد الله بن الإمام أحمد في « المسند» ٣١٢/٥ عن أبيه عن محمد بن أبي بكر المقدمي عن حميد الأسود عن الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن صفوان بن المعطّل رضي الله عنه ، وهو حديث مرسل لأن سعيد المقبري لم يدرك صفوان بن المعطّل ، وروايته عنه مرسلة، ورواه ابن ماجه رقم (١٢٥٤) من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة عن صفوان ، مسنداً . قال البوصيري في « الزوائد » : اسناده حسن .

٦٥) لعله يريد حديث أبي هريرة عن صفوان الذي رواه ابن ماجه رقم (١٢٥٤) المتقدم ، ولفظه : « اذا صليت الصبح فدع الصلاة حتى تطلع الشمس . . . » . الحديث .

قصمة [1] في السماء إلا فتح لها باب من أبواب النار ، فإذا كانت الظهيرة فتحت أبواب النار كلها ، فكنا ننهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ونصف النهار . خرجه يعقوب بن شيبة ، ورواه الإمام أحمد عن أبي بكر بن عياش أيضاً .

وفي « الصحيحين » [٦٦] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِذَا اشْتَد الحَرُّ فأَبْرِدُوا بالصلاة ، فَإِنَّ شِدَّة الحرِّ مِنْ فيحِ جَهَنَّم » وفي رواية خرجها أبو نعيم« مِنْ فِيحِ جَهَنَّمَ » و« مِنْ فِيحِ أَبْوابِ جَهَنَّم » .

وخرج أبو داود [٦٧] من حديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة وقال: « إنَّ جَهَنَّمَ تُسَجَّرُ مَدَىٰ الأَيَّامِ إِلَّا يَوْمَ الجُمْعَةِ » وفي إسناده انقطاع وضعف .

فصل

[تسجر جهنم في غير نصف النهار]

وتسجر أحياناً في غير نصف النهار كما خرجه الطبراني من حديث ابن أم مكتوم قال : خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات غداة ، فقال : « سُعِرَتِ النَّارُ وَجَاءَتِ الفِتَنُ » فذكر الحديث [٦٨] .

---

(١) « قصمة » : أي درجة ، سميت بها لأنها كسرة من القصم : الكسر .

---

٦٦) البخاري رقم (٥٣٣) في مواقيت الصلاة : باب الابراد بالظهر في شدة الحر ، ومسلم رقم (٦٤٥) في المساجد : باب استحباب الابراد بالظهر في شدة الحر ، و« الموطأ » ١/١٥ في وقوت الصلاة : باب النهي عن الصلاة بالهاجرة ، وأبو داود رقم (٤٠٢) في الصلاة : باب وقت صلاة الظهر ، والترمذي رقم (١٥٧) في الصلاة : باب ما جاء في تأخير الظهر في شدة الحر ، والنسائي ١/٢٤٨ و٢٤٩ في المواقيت : باب الابراد بالظهر اذا اشتد الحر .

٦٧) (١٠٨٣) في الصلاة : باب الصلاة يوم الجمعة قبل الزوال . وفي إسناده انقطاع وضعف كما قال المؤلف رحمه .

٦٨) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد » ١٠/٢٣٠ : رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » ورجالهما رجال =

ومن طريق عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يا أَهْلَ الحُجُرَاتِ سُعِرَتِ النَّارُ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » عبيد الله بن سعيد فيه ضعف ، والصحيح أن الأعمش رواه عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير مرسلاً ، وقيل : عن الأعمش عن أبي سفيان ، عن ابن عمر ولا يصح .

وفي حديث عدي بن عدي عن عمر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : « جِئْتُك حِينَ أَمَر الله عَزَّ وَجَلَّ بِمَنَافِيخِ النَّارِ فَوُضِعَت عَلَىٰ النَّارِ » الحديث . وروي أيضاً من حديث الحسن مرسلاً وفي الإسنادين ضعف .

فصل
[تسجر جهنم بخطايا بني آدم]

وتسجر أيضاً يوم القيامة . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرتْ * وإذا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير : ١٢ ـ ١٤] وقرىء ﴿ سُعِّرَتْ ﴾ و﴿ سُعِرَتْ ﴾ بالتشديد والتخفيف .

قال الزجاج : المعنى واحد إلا أن معنى المشدد أوقدت مرة بعد مرة .

قال قتادة : ﴿ وإذَا الجَحيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أوقدت ، وقال السدي : أحميت ، وقال سعيد بن بشير عن قتادة : يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم . خرجه ابن أبي حاتم .

وهذا يقتضي أن تسعير جهنم حيث سعرت إنما سعرت بخطايا بني آدم التي تقتضي غضب الله عليهم ، فتزداد جهنم حينئذ تلهباً وتسعراً ، وهذا كما

= الصحيح . ولفظه : « سعرت النار لأهل النار ، وجاءت الفتن كقطع الليل المظلم ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » .

أن بناء دور الجنة غرس الأشجار يحصل بأعمال بني آدم الصالحة من الذكر وغيره ، وكذلك حسن ما فيها من الزوجات وغيرهن يتزايد بتحسين الأعمال الصالحة ،فكذلك جهنم تسعر وتزداد آلات العذاب فيها بكثرة ذنوب بني آدم وخطاياهم وغضب الرب تعالى عليهم .

نعوذ بالله من غضب الله ومن النار وما قرب إليها من قول وعمل بمنه وكرمه .

وقد سبق في الباب الخامس صفة تسعر النار يوم القيامة ومزيدها بإيقاد البحر وإضافته إليها .

فصل

[تسجر جهنم بعد دخول أهلها]

وتسجر على أهلها بعد دخولهم إليها . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهوَ المُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُم أَولِيَاءَ من دُونِه وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىَ وُجُوهِهِم عُمْياً وَبُكْمَاً وَصُمَّاً مَأْوَاهُم جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُم سَعيراً[1] ﴾ [الأسراء : ٩٧] قال ابن عباس : كلما طفئت أوقدت ، وقال ابن عباس : خبت سكنت ، وقال ابن قتيبة : خبت النار إذا سكن لهبها ، فاللهب يسكن والجمر يعمل ، وقال غيره من المفسرين : تأكلهم .

فإذا صاروا فحماً ولم تجد النار شيئاً تأكله أعيد خلقهم خلقاً جديداً فتعود لأكلهم . وقوله : ﴿ زِدْنَاهُم سَعيراً ﴾ أي ناراً تتسعر وتتلهب .

(١) ﴿ البكم ﴾ : جمع أبكم ، وهو الذي خلق أخرس لا يتكلم . ﴿ الصم ﴾ : جمع الأصم ، وهو الذي لا يسمع . وأراد بهم الرعاع والجهال لأنهم لا ينتفعون بالسمع ولا بالنطق كبير منفعة ، فكأنهم قد سلبوهما . ﴿ خبت ﴾ : سكن لهبها . ﴿ سعيراً ﴾ : لهباً وتوقداً .

وقد روي عن عمرو بن عبسة ان في جهنم بئر يقال له : الفلق ، منه تسعر جهنم اذا سعرت ، وسنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى ، والمعنى أنه يكشف تلك البئر فيخرج منه نار تلهب جهنم وتوقدها ، وقال الله تعالى : ﴿ فأنْذَرْتُكُم ناراً تَلَظَّى ﴾ [الليل : ١٤] قال مجاهد وغيره : توهج .

قرأ عمر بن عبد العزيز ليلة في صلاته سورة ﴿واللَّيْلِ إذَا يَغْشَى ﴾ فلما بلغ قوله : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُم نَاراً تَلَظَّى ﴾ [الليل : ١٤] بكى فلم يستطع أن يجاوزها ثم عاد فتلا السورة حتى بلغ الآية ، فلم يستطع أن يجاوزها مرتين أو ثلاثاً ، ثم قرأ سورة أخرى غيرها .

***

الباب الثاني عشر

في ذكر تغيظها وزفيرها

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [الأنبياء : ١٠١ - ١٠٢] وقال تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً * إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً[١] ﴾ [الفرقان : ١١ - ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [الملك : ٦ - ٨] .

والشهيق : الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار ، قال الربيع بن أنس : الشهيق في الصدر ، وقال مجاهد في قوله ﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ قال : تغلي بهم كما يغلي القدر .

وقال ابن عباس : تميز: تفرق ، وعنه قال : يكاد يفارق بعضها بعضاً

---

(١) ﴿ تغيظاً ﴾ أي صوت غليان كصوت الغاضب .

وتتفطر ، وعن الضحاك تميز : تفطر ، وقال ابن زيد : التميز : التفرق من شدة الغيظ على أهل معاصي الله عزّ وجلّ غضباً له عزّ وجّل وانتقاماً له .

وخرج ابن أبي حاتم من حديث خالد بن دريك عن رجل من الصحابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّء بَيْنَ عَيْنَيْ جَهَنَّمَ مَقْعَداً » قيل : يا رسول الله ! وهل لها عينان ، قال : « نَعَمْ ، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾ [الفرقان : ١٢] .

وروى أبو يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قال : إن العبد ليجرُّ إلى النار فتشهق اليه شهقة البغلة إلى الشفير ، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف . خرجه ابن أبي حاتم .

وقال كعب : ما خلق الله من شيء إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية إلا الثقلين الذين عليهما الحساب والعذاب . خرجه الجوزجاني .

وفي « كتاب الزهد » لهناد بن السري عن مغيث بن سمي ، قال : إن لجهنم كل يوم زفرتين يسمعهما كل شيء إلا الثقلين اللذين عليهما الحساب والعذاب .

وعن الضحاك قال : إن لجهنم زفرة يوم القيامة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر ساجداً يقول : رب نفسي نفسي .

وعن عبيد بن عمير قال : تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك ولا نبي الا وقع لركبتيه ترعد فرائصه يقول : رب نفسي نفسي .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره عن الضحاك قال : ينزل الملك الأعلى في بهائه وملكه ، مجنبته اليسرى جهنم ، فيسمعون شهيقها وزفيرها فيندون .

وعن وهب بن منبه قال : اذا سيرت الجبال فسمعت حسيس النار وتغيظها وزفيرها وشهيقها ، صرخت الجبال كما تصرخ النساء، ثم يرجع أوائلها على أواخرها يدق بعضها بعضاً . خرجه الامام أحمد .

وفي « تفسير آدم بن أبي اياس » عن محمد بن الفضل عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبي الضحى عن ابن عباس ، قال : تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه حول جهنم ، فتطيش عقولهم فيقول الله عزّ وجّل : ماذا أجبتم المرسلين ؟ قالوا لا علم لنا ، ثم ترد عليهم عقولهم فينطقون بحجتهم وينطقون بعذرهم . محمد بن الفضل هو ابن عطية متروك .

قال آدم : وحدّثنا أبو صفوان عن عاصم بن سليمان الكوزي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾ المكان البعيد : مسيرة مائة عام ، وذلك أنه اذا أُتي بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك ، ولو تركت لأتت على كل بر وفاجر ، ثم تزفر زفرة لا يبقى قطرة من دمع إلا بدرت ، ثم تزفر الثانية فتنقطع القلوب من أماكنها تبلغ اللهوات والحناجر وهو قوله : ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ (١) ﴾ [الأحزاب : ١٠] وعاصم الكوزي ضعيف جداً .

وقال الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبي جعفر: إن جهنم لتزفر زفرة تنشق منها قلوب الظلمة ، ثم تزفر أخرى فيطيرون في الأرض حتى يقعوا على رؤوسهم ، خرجه عبد الله بن الامام أحمد .

وروى أسد بن موسى عن ابراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص مثله .

---

(١) كناية عن اضطراب القلوب لشدة الخوف ، وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة .

وخرج أبو نعيم وغيره من رواية عبد الرحمن بن حاطب ، قال : قال عمر رضي الله عنه لكعب : خَوِّفنا ، قال : والذي نفسي بيده إن النار لتقرب يوم القيامة لها زفير وشهيق حتى إذا دنت وقربت زفرت زفرة ما خلق الله من نبي ولا شهيد إلا وجب لركبتيه ساقطاً ، حتى يقول كل نبي وكل صديق وكل شهيد : اللهم لا أكلفك اليوم إلا نفسي ، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبياً لظننت أن لا تنجو ، قال عمر : والله إن الأمر لشديد(1) .

ومن رواية شريح بن عبيد قال : قال عمر لكعب : خوفنا ، قال : والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خر جاثياً على ركبتيه ، يقول : رب نفسي نفسي وحتى نبينا محمد وابراهيم واسحاق عليهم السلام ، قال : فأبكى القوم حتى نشجوا(2) .

وفي رواية مطرف بن الشخير عن كعب ، قال : كنت عند عمر ، فقال : يا كعب! خوفنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر ساجداً على ركبتيه ، حتى أن ابراهيم خليله عليه السلام ليخر جاثياً ويقول : نفسي نفسي ، لا أسألك اليوم إلا نفسي ، قال : فأطرق عمر ملياً ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين! أولستم تجدون هذا في كتاب الله عزّ وجلّ ؟! قال عمر : كيف ؟ قلت : يقول الله عزّ وجّل في هذه الآية : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل : ١١١](3) .

وكان سعيد الجرمي يقول في موعظته اذا وصف الخائفين :كأن زفير النار في آذانهم .

---

(1) « الحلية » ٥/٣٧١ .

(2) النشيج : صوت معه توجع وبكاء ، كما يردد الصبي بكاءه في صدره . « الحلية » ٢/٥٦٨ .

(3) « الحلية » ٥/٣٦٨ ـ ٣٦٩ .

وعن الحسن أنه قال في وصفهم : إذا مروا بآية فيها ذكر الجنة بكوا شوقاً ، وإذا مروا بآية فيها ذكر النار ضجوا صراخاً كأن زفير جهنم عند أصول آذانهم .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره عن أبي وائل ، قال : خرجنا مع ابن مسعود ومعنا الربيع بن خيثم ، فأتينا على تنور على شاطىء الفرات ، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾ إلى قوله ﴿ ثُبُوراً ﴾ [الفرقان : ١٢ - ١٣] فصعق الربيع بن خيثم فاحتملناه إلى أهله ، فرابطه عبد الله حتى صلى الناس الظهر فلم يفق ، ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ، ثم رابطه إلى المغرب فأفاق ، فرجع عبد الله الى أهله .

ومن رواية مسمع بن عاصم قال : بت أنا وعبد العزيز بن سليمان وكلَّاب بن جري وسلمان الأعرج على ساحل من بعض السواحل ، فبكى كلَّاب حتى خشيت أن يموت ، ثم بكى عبد العزيز لبكائه ثم بكى سلمان لبكائهما ، وبكيت والله لبكائهم لا أدري ما أبكاهم ، فلما كان بعد سألت عبد العزيز فقلت : يا أبا محمد ما الذي أبكاك ليلتئذ ، قال : إني والله نظرت الى أمواج البحر تموج وتجول فذكرت أطباق النيران وزفراتها فذلك الذي أبكاني ، ثم سألت كلّاباً أيضاً نحواً مما سألت عبد العزيز فوالله لكأنما سمع قصته ، فقال لي مثل ذلك ، ثم سألت سلمان الأعرج نحواً مما سألتهما ، فقال لي : ما كان في القوم شر مني ، ما كان بكائي إلا لبكائهم رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم رحمهم الله تعالى .

* * *

الباب الثالث عشر
في ذكر دخانها وشررها ولهبها

قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ *وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ *لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾[الواقعة : ٤١ ـ ٤٤]..

قال ابن عباس : ظل من دخان ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وغير واحد ، وعن مجاهد قال : ظل من دخان جهنم ، وهو السموم ، وقال أبو مالك : اليحموم: ظل من دخان جهنم ، قال الحسن وقتادة في قوله : ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ : لا بارد المدخل ، ولا كريم المنظر ، والسموم : هو الريح الحارة ، قاله قتادة وغيره .

وهذه الآية تضمنت ذكر ما يتبرد به في الدنيا من الكرب والحر ، وهو ثلاثة : الماء والهواء والظل ، فهواء جهنم : السموم وهو الريح الحارة الشديدة الحر ، وماؤها الحميم الذي قد اشتد حره ، وظلها اليحموم وهو قطع دخانها ، أجارنا الله من ذلك كله بكرمه ومنه .

وقال تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ [1]﴾[المرسلات: ٣٠]

(١) ﴿ ثلاث شعب ﴾ : أي يتشعب لعظمه ثلاث فرق .

قال مجاهد : هو دخان جهنم : اللهب الأخضر والأسود والأصفر الذي يعلو النار اذا أوقدت .

قال السدي في قوله : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ ﴾ [المرسلات : ٣٢] قال : زعموا أن شررها ترمي به كأصول الشجر ثم يرتفع فيمتد .

وقال القرظي : على جهنم سور فما خرج من وراء سورها يخرج منها في عظم القصور ولون القار .

وقال الحسن والضحاك في قوله ﴿ كالقَصْر ﴾ هو كأصول الشجر العظام .

وقال مجاهد: قطع الشجر والجبل .

وصح عن ابن مسعود قال : شرر كالقصور والمدائن . وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال :﴿بِشَرَرٍ كَالقصر﴾ يقول : كالقصر العظيم .

وفي « صحيح البخاري »[٦٩] عن ابن عباس ، قال : كنا نرفع من الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل نرفعه للشتاء نسميه القصر .

وقوله : ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ قال ابن عباس : حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض تكون كأوساط الرجال ، وقال مجاهد : هي حبال الجسور .
وقالت طائفة : هي الإبل ، منهم الحسن وقتادة والضحاك ، وقالوا : الصفر هي السود . وروي عن مجاهد أيضاً .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ قال : يقول قطع النحاس .

قال الله عز وجل : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ من نارٍ وَنُحاسٌ ﴾ . قال

---

٦٩) في التفسير : تفسير سورة المرسلات .

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ شُوَاظٌ من نارٍ ﴾ ويقول : لهب النار ﴿ وَنُحَاسٌ ﴾ يقول : دخان النار ، وكذا قال سعيد بن جبير وأبو صالح وغيرهما : إن النحاس: دخان النار . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ شواظٌ من نَارٍ ﴾ قال : دخان ، وقال أبو صالح : الشواظ : اللهب الذي فوق النار ودون الدخان . قال منصور عن مجاهد : الشواظ : هو اللهب الأخضر المتقطع . وعنه قال : الشواظ : قطعة من النار فيها خضرة .

قال الحسين بن منصور : أخرج الفضيل بن عياض رأسه من خوخة فقال منصور عن مجاهد : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ من نارٍ وَنُحاسٌ فَلَا تَنْتَصرانِ ﴾ ثم أدخل رأسه فانتحب ثم أخرج رأسه ، فقال : هو اللهب المنقطع ولم يستطع أن يجيز الحديث .

وخرج النسائي والترمذي [٧٠] من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَا يَجْتَمِعُ غُبارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ امْرِىءٍ أَبَداً » .

وخرج الامام أحمد من حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه .

* * *

٧٠) رواه النسائي ١٢/٦ في الجهاد : باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ، ورواه الترمذي بلفظ آخر ، كما تقدم ص ٥٥ .

الباب الرابع عشر

في ذكر أوديتها وجبالها وآبارها وجبابها وعيونها وأنهارها

وروى دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « وَيْلٌ : وَادٍ في جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الكَافِرُ أَرْبَعينَ خَرِيفاً قَبْل أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ » خرجه الإمام أحمد والترمذي ولفظه « وَاد بَيْنَ جَبَلَيْنِ يَهْوِي فِيهِ الكَافِرِ سَبْعِينَ خَرِيفاً قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ » وذكر أنه لا يعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج ، ولكن خرجه ابن حبان والحاكم في « صحيحيهما » من حديث عمرو بن الحارث عن دراج به [٧١] .

وخرج ابن جرير الطبري باسناد فيه نظر عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الوَيْلُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ في جَهَنَّمَ » .

وخرج البزار باسناد مجهول عن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إنَّ في النَّارِ حَجَراً يُقَالُ لَهُ : وَيْلٌ يَصْعَدُ عَلَيْهِ العُرَفَاءُ وَيَنْزِلُونَ مِنْهُ » .

روى ابن أبي حاتم من طريق الحماني ، حدّثنا خلف بن خليفة عن

---

٧١) رواه الترمذي رقم (٣٣٢٣) في التفسير : باب ومن سورة المدثر ، واسناده ضعيف ، ومع ذلك فقد صححه ابن حبان رقم (٢٦١٠) « موارد » والحاكم في « المستدرك » ٥٠٧/٢ ووافقه الذهبي . وانظر بقية الكلام عليه في «جامع الأصول » رقم ٨٦٤ .

العلاء بن المسيب عن أبيه عن أبي عبيدة عن عبد الله ، قال : ويل واد في جهنم من قيح .

ومن طريق المحاربي عن العلاء بن المسيب عن أبيه وعاصم بن أبي النجود ، قالا : وادٍ في جهنم يقال له ويل ، ينصب فيه صديد أهل النار .

ومن طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، قال : الويل وادٍ في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره .

وعن مالك بن دينار قال : الويل : واد في جهنم فيه ألوان العذاب .

وعن أبي عياض قال : ويل وادٍ يسيل من صديد .

وخرج ابن جرير باسناده عن أبي عياض ، قال : ويل صهريج في أصل جهنم يسيل فيه صديد أهل النار . وعن سفيان نحوه .

وروى الأعمش عن زر عن وائل بن مهانة قال : الويل وادٍ في جهنم من قيح .

فصل
[في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صُعُوداً ﴾]

وروى دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في قوله تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾ [المدثر : ١٧] قال : « جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُكَلَّفُ أَنْ يَصْعَدَهُ ، فَإذا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ ، وَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ ، وَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ ، فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ يَصْعَدُ سَبْعِينَ خَرِيفاً ، ثُمَّ يهوى مِثْلَها كَذَلِكَ » وهذا الحديث خرجه الامام أحمد وغيره بمعناه ، وخرجه الترمذي مختصراً ولفظه « الصَّعُودُ عقبة في نارٍ يتصعَّدُ فِيهِ الكَافِرُ سَبْعِينَ خَرِيفاً ويَهْوِي فِيهِ كذَلِكَ أبداً » وقال : حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً

إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج ، ولكن رواه أيضاً عمرو بن الحارث عن دراج به خرجه من طريقه الحاكم ، وقال : صحيح الاسناد [٧٢] .

وروى هذا الحديث أيضاً شريك عن عمار الدهني عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . خرجه من طريقه البزار ، وقال : تفرد برفعه شريك ، ووقفه سفيان على عمار - يعني أنه وقفه على أبي سعيد - ولم يرفعه ، ورواه أيضاً عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وروى سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ سأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾ قال : جبل في النار ، ورويناه من طريق فيه ضعف عن الضحاك عن ابن عباس قال : هو جبل في النار زلق كلما صدعه الفاجر زلق فهوى في النار .

وعن ابن السائب قال : هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها حتى إذا بلغ أعلاها رد الى أسفلها ، ثم يكلف أيضاً أن يصعدها ، فذلك دأبه أبداً ، ويجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في أربعين سنة .

وقال أيوب بن بشير عن شفي بن ماتع قال : في جهنم جبل يدعى صعوداً يطلع فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يرقاه : خرجه ابن أبي الدنيا .

فصل
[في أودية جهنم]

وروى عطية عن ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ العَقَبة [١] ﴾

---

(١) أي فهلا جاهد نفسه في أعمال البر ، من فك الرقاب أو إطعام اليتامى والمساكين ، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة ، وأساس كل خير .

---

٧٢) سبق تخرجه ص ١١٣ .

[البلد : ١١] قال : جبل زلزال في جهنم ، وقد سبق ذكره في الباب السادس ، وذكرنا فيه عن أبي رجاء ، قال : بلغني أن مطلعها سبعة آلاف سنة ، وأن مهبطها سبعة آلاف سنة .

وروى لقمان بن عامر عن أبي أمامة مرفوعاً « غَيٌّ وَأَثامٌ نَهْرَانِ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِمَا صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ » ، وقد سبق ذكره مرفوعاً وموقوفاً بلفظ آخر وهما بئران .

وروي أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً « الغَيُّ وَادٍ في جَهَنَّمَ » ولا يصح رفعه .

وعن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ﴿ فَسَوْفَ يَلْقون غَيّاً ﴾ [مريم : ٥٩] قال : واد في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر ، خرجه ابن أبي الدنيا وغيره .

وخرجه البيهقي ولفظه « الغَيُّ نَهْرٌ حَمِيمٌ في النَّارِ يُقْذَفُ فِيهِ الَّذينَ يَتَبِعُونَ الشَّهواتِ » .

وخرجه أيضاً من وجه آخر عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب بنحوه ،

ورواه عمرو بن قيس عن عطية عن أبي عبيدة قال : « هُوَ نَهْرٌ في جَهنَّم » .

وقال همام عن قتادة قال : « أَثَامٌ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ » وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد .

وقال شفي بن ماتع : إن في جهنم قصراً يقال له : هوى يرمى الكافر من أعلاه أربعين عاماً قبل أن يبلغ أصله قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوىٰ ﴾ [طه : ٨١] وإن في جهنم وادياً يدعى أثاماً فيه حيات وعقارب فقار احداهن مقدار سبعين قلة سم ، والعقرب منهم مثل البغلة المؤكفة تلدغ الرجل

فلا يلهبه ما يجد من حر جهنم حمو لدغتها ، فهو لمن خلق له ، وإن في جهنم وادياً يدعى غياً يسيل قيحاً ودماً ، وإن في جهنم سبعين داءً كل داءٍ مثل جزءٍ من أجزاء جهنم . خرجه ابن أبي الدنيا .

وروى يزيد بن درهم عن أنس في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقاً ﴾ [الكهف : ٥٢] قال : هو وادٍ من قيح في جهنم ، وفي رواية : نهر في جهنم من قيح ودم ، خرجه عبد الله بن الامام أحمد .

وعن عبد الله بن عمرو ، قال : هو وادٍ في النار عميق .

وروى النعمان بن عبد السلام ، حدّثنا أبو مغلس بن علي عن أيوب بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير ، عن رجل عن عمرو بن عبسة ، قال : الفلق بئر في جهنم فإذا سعرت فيه تسعر ، وإن جهنم لتتأذى منه كما يتأذى بنو آدم من جهنم . خرجه ابن أبي الدنيا ، وخرجه ابن أبي حاتم ، وعنده عن أيوب وغيره ، وعبيدة وأيوب بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير عن رجل عن عمرو بن عبسة .

وخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن زيد بن علي عن آبائه ، قالوا : الفلق جب في قعر جهنم عليه غطاء ، فاذا كشف عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه .

ومن طريق ابن لهيعة عن ابن عجلان ، عن أبي عبيد أن كعب الأحبار دخل كنيسة فأعجبه حسنها ، فقال : أحسن عملاً وأضل قوماً رضيت لهم الفلق ، قالوا : وما الفلق ؟ قال : بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره .

وفي « تفسير ابن جرير » من طريق عبد الجبار الخولاني ، قال : قدم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشام فنظر الى دور أهل الذمة وما هم فيه من العيش والنضارة وما وسع عليهم في دنياهم ،

فقال : لا أبالي أليس من ورائهم الفلق ، قيل : وما الفلق ؟ قال : بيت في جهنم إذا فتح هوى أهل النار .

وفيه أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً « الفَلقُ جُبٌّ [1] في جَهَنَّمَ مُغطًّى » .

وروي عن ابن عباس أَنَّ الفَلَقُ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ .

وروى يحيى بن يمان عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير ، قال : السَّعِيرُ وَادٍ مِنْ قِيحٍ فِي جَهَنَّمَ ، خرجه ابن أبي حاتم .

وقال خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه : إن في جهنم لآباراً من أُلقي فيها تردى سبعين عاماً ثم ينزع بهذه الآية ﴿ اليَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُم لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ [الجاثية : ٣٤] خرجه ابن أبي الدنيا .

فصل

[في جهنم وادٍ هو جِبُّ الحَزَنِ]

وروى عمار بن سيف ، عن أبي معان عن ابن سيرين عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ جُبِّ الحَزَنِ » . قالوا : وَمَا جُبُّ الحَزَنِ ؟ قال : وَادٍ في جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مَائَةَ مَرَّةٍ » ، قيل : يا رسول الله مَنْ يَدْخُلُهُ ؟ قال : « القُرَّاءُ المُرَاؤُونَ بِأَعمالِهِمْ » خرجه الترمذي وقال : غريب ، وخرجه ابن ماجه بمعناه ،[73] وفي رواية

---

(١) « جب » : البئر غير المطوي ، أي لم تبن بالحجارة .

---

(٧٣) رواه الترمذي رقم (٢٣٨٤) : في العلم : باب في طلب العلم لغير الله ، وابن ماجه رقم (٢٥٢) في المقدمة : باب الانتفاع بالعلم والعمل بـه . وفي سنده عمـار بن سيف الضبي وهو ضعيف ، وأبو معـان أو أبو معـاذ البصـري واسمه سليمـان بن الأرقم وهو متـروك ، فالحـديث ضعيف كما قـال الألباني في « تخـريج المشكـاة » رقم (٢٧٥) .

« أربع مائة مرة ». وزاد في آخره « وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَّاءِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ يَزُورُونَ الأُمَرَاءَ الجَورَةَ » وفي هذا الاسناد ضعف .

وخرج الطبراني نحوه من حديث الحسن عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٧٣] .

وخرج العقيلي نحوه من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طريق أبي بكر الداهري وهو ضعيف جداً .

وروى الإمام أحمد في « الزهد » بإسناده عن عمران القصير ، قال : بلغني أن في جهنم وادياً تستعيذ منه جهنم كل يوم أربع مائة مرة مخافة أن يرسل عليها فيأكلها ، أعد الله ذلك الوادي للمرائين من القراء .

وقال بكر بن محمد العابد عن سفيان الثوري : إن في جهنم لوادياً تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة يسكنه القراءة الزائرون للملوك .

وروينا من حديث معروف الكرخي رحمه الله تعالى قال بكر بن خنيس : إن في جهنم لوادياً تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات ، وإن في الوادي لجباً يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات ، وإن في الجب لحية يتعوذ الوادي والجب وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات ، يبدأ بفسقة القراء فيقولون : أي ربنا بدىء بنا قبل عبدة الأوثان ، قيل لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم .

وروى هناد بن السري بإسناده عن حميد بن هلال ، قال : نبئت أن كعباً

---

٧٣) قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٢٢٢ : رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد الله بن عبدويه عن أبيه ، ولم أعرفهما ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

قال : إن في أسفل درك جهنم تنانير ضيقها كضيق زج[1] أحدكم في الأرض ، يقال له : جب الحزن يدخلها قوم بأعمالهم فيطبق عليهم ، وخرجه ابن أبي حاتم إلا أن عنده عن حميد بن هلال ، قال : لا أعلمه إلا عن بشير بن كعب ، قال : إن في النار لجباً يقال له : جب الحزن ، لهو أضيق على من دخل فيه من زج أحدكم على رمحه يطبقها الله على من يشاء من عباده ، أو قال : يضيقها على من يشاء من عباده سخطاً عليهم ثم لا يخرجهم منها آخر الأبد .

وروى ابن المبارك عن يحيى بن عبيد الله ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إِنَّ في جَهَنَّمَ لَوَادِياً يُقَالُ لَهُ : لَمْلَمْ ، وإِنَّ أَوْدِيَةَ جَهَنَّمَ تَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ حَرِّهِ » خرجه ابن أبي الدنيا وغيره ، ويحيى ضعفوه[٧٤] .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره من رواية الأزهر بن سنان القرشي عن محمد بن واسع عن أبي بردة ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادياً ، وَلِذَلِكَ الوَادِي بِئْرٌ يُقالُ لَهُ : هَبْهَبْ ، حَقٌّ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُسْكِنُهَا كُلَّ جَبَّار » أزهر بن سنان ضعفوه[٧٤] .

والصحيح ما خرجه الإمام أحمد وغيره من طريق هشام بن حسان عن محمد بن واسع ، قال : قلت لبلال بن أبي بردة وأرسل إليّ : إنه بلغني أن في النار بئراً يقال له : جب الحزن ، يؤخذ المتكبرون فيجعلون في توابيت من حديد من نار ، ثم يجعلون في تلك البئر ، ثم تطبق عليهم جهنم من فوقهم ، فبكى هلال .

---

(١) « التنانير » : جمع تنور ، وهو الذي يخبز فيه .
و« زج » : قال ابن سيده : « الزج الحديدة تركب في أسفل الرمح ، والسنان يركب عاليته » .

---

٧٤) وزوراه الطبراني من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال الهيثمي في « المجمع » ١٩٧/٥ : رواه الطبراني في « الأوسط » وإسناده حسن .

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُورَةِ النَّاسِ يَعْلُوهُمْ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الصغار [1] حَتَّى يُدْخَلوا سِجْناً في جَهَنَّمَ يُقالُ لهُ : بُولُس تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيار ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينِ الخَبَالِ عُصَارَةَ أَهْلِ النار » خرجه الإمام أحمد والنسائي والترمذي [74] وقال : حسن . وروي موقوفاً على عبد الله بن عمرو .

وروي من وجه آخر قال : « في النَّارِ قَصْرٌ يُقَالُ لَهُ : بُولُسُ يَدْخلُهُ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرونَ فيهِ نَارُ الأَنْيارِ ، وَشَرُّ الأَشْرَارِ ، وَحُزْنُ الأَحْزَانِ ، وَمَوْتُ الأَمْواتِ ، وَالشَّرُّ ، وَأَبْيارُ الشَّرِّ » .

وقال ابن لهيعة : حدّثنا أبو قبيل قال : سمعت رجلاً يقول : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إن في النار سجناً لا يدخله إلا من كان شر الأشرار قراره نار ، وسقفه نار ، وجدرانه نار ، وتلفح منه نار . خرجه عبد الله بن الإمام أحمد ، وخرجه ابن أبي الدنيا وعنده : فإذا دخلوا قيل بالنار على أفواههم .

وروى إبراهيم بن الفضل المدني ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة أن بشر بن عاصم الجشمي حدثه عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لَا يَلِي أَحَدٌ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئاً إِلَّا أَوْقَفَهُ الله عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فَزَلْزَلَ بِهِ الجِسْرَ زَلْزَلَةً ، فَنَاجٍ أَوْ غَيْرَ نَاجٍ لا يَبْقَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ إِلَّا فَارَقَ صَاحِبَهُ ، فَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْجُ ذَهَبَ بِهِ فِي جُبٍّ مُظْلِمٍ كَالقِيرِ ، فِي جَهَنَّمَ لَا يَبْلُغُ قَعْرَهُ سَبْعِينَ خَرِيفاً » وإن عمر سأل سلمان وأبا ذر هل سمعتما ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالا : نعم . خرجه ابن أبي الدنيا ،

---

(١) « الصغار » : أي الذل والهوان .

---

٧٤) رواه أحمد في « المسند » ٢/١٧٩ ، والترمذي رقم (٢٤٩٤) في صفة القيامة : باب رقم ٤٨ ، والنسائي في « الكبرى » وإسناده حسن .

وإبراهيم بن الفضل ضعيف .

وروى إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن الحجاج بن عبد الله الثمالي ـ وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحج معه حجة الوداع ـ قال : إن سفيان بن مجيب حدثه ـ وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقدمائهم ـ قال : إنَّ في جَهَنَّم سَبْعِينَ أَلْفَ وَادٍ ، في كُلِّ وَادٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شِعْبٍ ، في كُلِّ شِعْبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ثُعْبانٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ عَقْربٍ ، لا يَنْتَهِي الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ حَتَّىٰ يُواقِعَ ذٰلِكَ كُلَّهُ » قال أبو عمر بن عبد البر : هذا حديث منكر لا يصح .

وحرج ابن أبي الدنيا من طريق اسماعيل بن عياش عن محمد بن عمرو بن طلحة عن عطاء بن يسار ، قال : إن في النار سبعين ألف وادٍ ، في كل واد سبعون ألف شعب ، في كل شعب سبعون ألف جحر[1] ، في كل جحر حية تأكل وجوه أهل النار .

وقال ابن المبارك : أنبأنا عوف ، عن أبي المنهال الرياحي أنه بلغه أن في النار أودية في ضحضاح [1] من النار في تلك الأودية حيات أمثال أجواز الإبل [2] وعقارب كالبغال الحبش ، فإذا سقط إليهن شيء من أهل النار أنشأن به لسعاً ونشطاً حتى يستغيثوا بالنار فراراً منهن وهرباً منهن . خرجه ابن أبي الدنيا .

---

(١) في الأصل : حجر ، والصواب جحر ، وهو ما يقتضيه السياق .

(١) « ضحضاح » : في الأصل ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار .

(٢) « أجواز الإبل » : أي أوساطها . وجوز الليل : معظمه .

وخرج الجوزجاني من رواية الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير ، قال : إن لجهنم جباً فيه هوام فيه حيات أمثال البخت[1] وعقارب أمثال البغال الدلم[2] . يستغيث أهل النار الى تلك الحيات أو الساحل ، فتثب إليهم فتأخذهم بأشعارهم وشفاههم فتكشطهم حتى تبلغ أقدامهم ، فيستغيثون بالرجوع إلى النار فيقولون : النار النار ، وتتبعهم حتى تجد حرها فترجع وهي في أسراب .

وقال مطهر بن الهيثم بن الحجاج عن أبيه : إن طاووساً قال لسليمان بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جب في جهنم هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت قرارها ، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال : لا ، قال : ويلك لمن أعدها الله ، قال : لمن أشركه الله في حكمه فجار ، قال : فبكى لها . خرجه أبو نعيم في «الحلية»[3] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدّثني الطيب أبو الحسن علي عن الحسن بن يحيى في « الحلية » عن الحسن بن يحيى الخشني ، قال : ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة إلا اسم صاحبها عليها مكتوب ، قال أحمد : فحدثت به أبا سليمان فبكى ثم قال : ويحك فكيف به أن لو جمع هذا كله عليه ، فجعل الغل في عنقه والقيد في رجله والسلسلة في عنقه ، ثم أدخل النار وأدخل المغار[4] ، نعوذ بالله من ذلك .

* * *

---

(١) « البخت » : وهي جمال طوال الأعناق .
(٢) «الدلم» والدهم بمعنى الشديد السواد من الرجال والأسد والحمير والجبال والصخر .
(٣) « الحلية» ٤ / ١٥ .
(٤) « الحلية » ٣١٨/٨ .

الباب الخامس عشر

في ذكر سلاسلها وأغلالها وأنكالها

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً ﴾ [الإنسان : ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنا الأَغْلالَ في أَعْنَاقِ الَّذِين كَفَرُوا﴾ [سبأ : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إذ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسلُ يُسْحَبُونَ * في الحَميمِ ثُمَّ في النَّار يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر : ٧١ - ٧٢] .

وقال : ﴿ خُذُوه فَغلُّوه * ثُمَّ الجَحيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠ - ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنا أَنْكَالاً [1] وَجَحيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ [2] وَعَذَاباً أليماً ﴾ [المزمل : ١٢ - ١٣] .

وقرأ ابن عباس ﴿ وَالسَّلاسِلَ يَسْحَبُون ﴾ [غافر : ٧١] بنصب

---

(١) ﴿أنكالاً﴾ : أي قيود شديدة ثقال .

(٢) ﴿ طعاماً ذا غصة ﴾ : أي ذا نشوب في الحلق فلا يستاغ .

السلاسل وفتح ياء يسحبون ، قال : هو أشد عليهم هم يسحبون السلاسل . خرجه ابن أبي حاتم .

فهذه ثلاثة أنواع :

أحدها : **الأغلال** : وهي في الأعناق ، كما ذكر سبحانه .

قال الحسن بن صالح : الغل تغل اليد الواحدة إلى العنق ، والصفد : اليدان جميعاً إلى العنق . خرجه ابن أبي الدنيا .

وقال أسباط عن السدي : الأصفاد تجمع اليدين إلى العنق .

وقال معمر عن قتادة في قوله : ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم : ٤٩] قال : مقرنين في القيود والأغلال .

قال عيينة بن الغصن عن الحسن : إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب عزّ وجلّ ، ولكنها إذا طفى[1] بهم اللهب أرستهم ، قال : قم خر الحسن مغشياً عليه .

وقال سيار بن حاتم : حدّثنا مسكين عن حوشب عن الحسن أنه ذكر النار فقال : لو أن غلاً منها وضع على الجبال لقصمها الى الماء الأسود ، ولو أن ذراعاً من السلسلة وضع على جبل لرضه .

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن موسى بن أبي عائشة أنه قرأ قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ يَوْمَ القِيامَةِ ﴾ [الزمر : ٢٤] قال : تشد أيديهم بالأغلال في النار فيستقبلون العذاب بوجوههم قد شدت أيديهم ، فلا يقدرون على أن يتقوا بها ، كلما جاء نوع من العذاب يستقبلون بوجوههم .

وبإسناده عن فيض بن إسحاق عن فضيل بن عياض : إذا قال الرب

---

(١) في الأصل : (طفىء) وهو تصحيف، لان « طفا » مضارعة يطفو ، والصواب ما أثبتناه ، والله أعلم .

تبارك وتعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغلُّوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠] تبدره سبعون ألف ملك كلهم يتبذر أيهم يجعل الغل في عنقه .

النوع الثاني الأنكال : وهي القيود

قال مجاهد والحسن وعكرمة وغيرهم ، قال الحسن : قيود من نار ، قال أبو عمران الجوني : قيود لا تحل والله أبداً ، وواحد الأنكال : نكل ، وسميت القيود أنكالاً لأنه ينكل بها ، أي يمنع .

وروى أبو سنان عن الحسن : أما وعزته ما قيدهم مخافة أن يعجزوه ، ولكن قيدهم لترسي في النار .

وقال الأعمش : الصفد : القيود: وقوله تعالى : ﴿ مُقرَّنينَ في الأَصْفاد ﴾ [إبراهيم : ٤٩] القيود ، وقد سبق عن أبي صالح في قوله : ﴿ في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة : ٩] قال : القيود الطوال .

النوع الثالث السلاسل .

خرج الإمام أحمد [٧٥] وغيره من طريق أبي السمح عن عيسى بن هلال الصدفي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لَوْ أَنَّ رُضَاضَةً(١) مِثْلَ هَـذه ـ وَأُشَارَ إلىٰ مِثْـلِ الجُمْجُمَةِ ـ أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إلىٰ الأَرْض ، وَهِيَ مَسِيرةُ خَمْسِمَائَةِ عام لَبلَغَتِ الأرْضَ قَبْلَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ أَنَّهَا أُرْسلتْ مِنْ رَأسِ السِّلْسِلةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً اللَّيْلَ والنَّهار قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصُولَهَا » غريب ، وفي رفعه نظر ، والله أعلم .

---

(١) كذا في « المسند » وفي « الترمذي » : قال الليث : الرط دقك الشيء ، ورضاضة قطعة . والرصاصة : حجارة لازمة لما حوالي العين الجارية ، انظر « اللسان » مادة « رصص ، رضض » .

---

٧٥) رواه احمد في « المسند » ١٩٧/٢ ، والترمذي رقم (٢٥٨١) في صفة جهنم : باب رقم ٦ ، وهو حديث ضعيف، كما قال الالباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٨٠٨) .

وفي حديث عدي الكندي عن عمر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ سِلْسلَةِ أَهْلِ النَّارِ الَّتي نَعَتَ الله في كِتَابِهِ وُضِعَتْ عَلَىٰ جِبَالِ الدُّنْيَا لانْقَضتْ ، وَلَمْ يَرُدَّها شَيْءٌ ، حَتَّىٰ تَنْتَهِي إلىٰ الأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلىٰ » خرجه الطبراني وسبق الكلام على إسناده .

وروى سفيان عن بشير عن نوف الشامي في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٢] إن الذراع سبعون باعاً ، والباع من ها هنا الى مكة ـ وهو يومئذ بالكوفة .

وقال ابن المبارك : أنبأنا بكار عن عبد الله سمع ابن أبي مليكة يحدث أن كعباً قال : إن حلقة من السلسلة التي قال الله : ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِراعَاً ﴾ إن حلقة منها أكثر من حديد الدنيا .

وقال ابن جريج في قوله : ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُون ذِراعاً ﴾ قال : بذراع الملك .

وقال ابن المنكدر : لو جمع حديد الدنيا كله ما خلا منها وما بقي ما عدل حلقة من الحلق التي ذكر الله في كتابه تعالى فقال : ﴿ في سِلْسِلة ذَرْعُها سَبْعُون ذِرَاعاً ﴾ أخرجه أبو نعيم .

قال ابن المبارك عن سفيان في قوله : ﴿ فاسْلُكُوهُ ﴾ . قال : بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه .

وقال ابن جريج : قال ابن عباس : السلسلة تدخل في استه ثم تخرج من فيه ، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حتى يشوى . خرجه ابن أبي حاتم .

وخرج أيضاً من رواية العوفي عن ابن عباس ، قال : تسلك في دبره حتى تخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه .

وخرج ابن أبي الدنيا من طريق خلف بن خليفة عن أبي هاشم قال : يجعل لهم أوتاد في جهنم فيها سلاسل فتلقى في أعناقهم ، فتزفر جهنم زفرة فتذهب بهم مسيرة خمسمائة سنة ، ثم تجيء بهم في يوم ، فذلك قوله : ﴿ وإن يَوْماً عِنْدَ رَبِّك كَألْفِ سَنَةٍ ممَّا تَعُدُّون ﴾ [الحج : ٤٧] .

ومن طريق أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير : قال : لو انفلت رجل من أهل النار بسلسلة لزالت الجبال .

وقال جويبر عن الضحاك في قوله : ﴿ فَيؤْخَذُ بالنَّواصي وَالأقْدام ﴾ [الرحمن : ٤١] قال : يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره .

وقال السدي في هذه الآية : يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه وظهره ويفتل .

وذكر الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : يؤخذ بناصيته وقدميه ويكسر ظهره كما يكسر الحطب في التنور .

وقال سيار بن حاتم : حدّثنا مسكين عن حوشب عن الحسن ، قال : إن جهنم ليغلى عليها من الدهر الى يوم القيامة يحمي طعامها وشرابها وأغلالها ، ولو أن غلاً منها وضع على الجبال لقصمها إلى الماء الأسود ، ولو أن ذراعاً من السلسلة وضع على جبل لرضه ، ولو أن جبلاً كان بينه وبين عذاب الله عزّ وجلّ مسيرة خمسمائة عام لذاب ذلك الجبل ، وإنهم ليجمعون في السلسلة من آخرهم فتأكلهم النار وتبقى الأرواح .

ورواه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمر الجشمي ، عن المنهال بن عيسى العبدي ، عن حوشب ، عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكره بمعناه ، وزاد في آخره : « تبقى الأرواح في الحناجر تصرخ » والموقوف أشبه .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : أخبرت عن سيار عن ابن المعزى - وكان من خيار الناس - قال : بلغني أن الأبدان تذهب وتبقى الأرواح في السلاسل .

وخرج الطبراني وابن أبي حاتم من طريق منصور بن عمار ، حدثنا بشير بن طلحة ، عن خالد بن الدريك ، عن يعلى بن مُنْيَةَ رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يُنْشِيءُ الله سَبْحَانَهُ لِأَهْلِ النَّارِ سَحَابَةً سوداءَ مُظْلِمةً، فيُقَالُ : يا أَهْلَ ا لنَّارِ ! أَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُونَ ، فَيَذْكُرُونَ بِهَا سَحَابَةَ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا الشَّرَابُ ، فَتَمْطُرُهُمْ أَغْلالاً تَزِيدُ فِي أَغْلالِهِم ، وَسَلاسِلَ تَزِيدُ في سَلاَسِلِهِمْ ، وَجمراً يَلْتَهِبُ عَلَيْهِمْ » .

وخرجه ابن ابي الدنيا موقوفاً لم يرفعه .

وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة فذكر قصة الإسراء بطولها وفيها قال : ثم أتى على وادٍ - يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم - فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً منتنة ، فقال : « مَا هَذٰا يَا جِبْرِيلُ » ؟ فقال : هَذٰا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ : رَبِّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي ، فَقَدْ كَثُرَتْ سَلاَسِلِي وَأَغْلاَلي وَسَعِيري وَحَمِيمِي وَغِسَّاقِي وَعَذابي ، وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي وَاشْتَدَّ حَرِّي فَآتِنِي مَا وَعَدْتَنِي ، قال : لَكِ كُلَّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ ، وَكَافِرٍ وَكَافِرَةٍ ، وَكُلَّ خَبِيثٍ وَخَبِيثَةٍ ، وَكُلَّ جَبَّارٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْم الحِسَابِ »[٧٥] .

---

٧٥) قال الذهبي في « الميزان » في ترجمة أبو جعفر الرازي عيسى بن أبي عيسى هو ماهان : روى حديثاً طويلاً في المعراج فيه ألفاظ منكرة جداً .

فصل

[في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾]

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ من حَدِيدٍ * كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعيدُوا فِيهَا ﴾ [الحج : ٢١ - ٢٢] قال جويبر عن الضحاك : ﴿ مَقَامِعُ منْ حَدِيدٍ ﴾ أي مطارق .

وروى ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَوْ أنَّ مَقْمَعاً مِنْ حَدِيدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ فاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقلانَ لَما أَقَلُّوهُ [(١)] مِنَ الأَرْضِ » خرجه الإمام أحمد [٧٦] .

وخرج أيضاً بهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لَوْ ضُرِبَ الجَبَلُ بِمَقَامِعَ مِنْ حَدِيدٍ لَتفتَّتَ ثُمَّ عَادَ » .

قال الإمام أحمد في « كتاب الزهد » : حدّثنا سيار ، حدّثنا جعفر ، سمعت مالك بن دينار قال : إذا أحس أهل النار في النار بضرب المقامع انغمسوا في حياض الحميم فيذهبون سفالاً ، كما يغرق الرجل في الماء في الدنيا ، ويذهب سفالاً سفالاً

قال سعيد عن قتادة قال عمر بن الخطاب : ذكروهم النار لعلهم يفرقون فإن حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وشرابها الصديد ، ومقامعها الحديد .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن صالح المري أنه قرأ على بعض العباد

---

(١) « ما أقلوه » : ما حملوه وزحزحوه .

---

٧٦) رواه أحمد في « المسند » ٣/٢٩ ، قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٣٨٨ : رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه ضعفاء وثقوا . قلت : رواية دراج عن أبي الهيثم عن ابي سعيد ضعيفة .

﴿ إِذْ الأَغْلالُ في أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الحَمِيمِ ثُمَّ في النَّارِ يُسْجَرُون ﴾ [غافـر : ٧١ - ٧٢] قال : فشهق الرجل شهقة فإذا هو قد يبس مغشياً عليه ، قال : فخرجنا من عنده وتركناه .

وقرأ رجل على يزيد الضبي ﴿ وَتَرَى المُجْرمينَ يَوْمِئذٍ مُقَرَّنينَ [1] في الأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم : ٤٩] فجعل يزيد يبكي حتى غشي عليه ، خرجه عبد الله بن الامام أحمد .

وقد سبق عن مالك بن دينار أنه قام ليلة في وسط الدار الى الصباح ، فقال : ما زال أهل النار يعرضون عليَّ في سلاسلهم وأغلالهم حتى الصباح .

* * *

---

(١) ﴿ مقرنين ﴾ : أي مقروناً بعضهم مع بعض . ﴿ الأصفاد ﴾ : القيود أو الأغلال .

الباب السادس عشر

في ذكر حجارتها

قال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْليكُم ناراً وَقُودُها النَّاسُ وَالحِجارَةُ ﴾ [التحريم : ٦].

وقال : ﴿ فإن لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فاتَّقُوا النَّار التي وَقُودُوهَا النَّاسُ ، والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرين ﴾ [البقرة : ٢٤] .

واختلف المفسرون في هذه الحجارة ، فقالت طائفة منهم الربيع بن أنس : الحجارة هي الأصنام التي عبدت من دون الله ، واستشهد بعضهم لهذا بقوله تعالى : ﴿ إنَّكُم وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أنتم لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كانَ هَؤُلاء آلِهَةً ما وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء : ٩٨ ـ ٩٩] .

قال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبو صالح ، حدّثنا معاوية بن أبي صالح ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في قوله : ﴿ إذَا الشَّمْسُ كُوِرَّتْ ﴾ [التكوير : ١] قال : « كُوِرَتْ في جَهَنَّم ﴿ وإذا النُجومُ انْكَدَرَتْ ﴾ [التكوير : ٢] قال : انْكَدرَتْ في جَهَنَّمَ ، وَكُلُّ مَنْ عُبِدَ منْ دُونِ الله فَهُوَ في جَهَنَّمَ ، إلَّا مَا كَانَ مِنْ عِيسىٰ وَأُمِّهِ وَلَوْ رَضِيا لَدَخلاَهَا » غريب جداً ، وأبو بكر بن أبي مريم فيه ضعف .

وقد روي أن الشمس والقمر يكوران في النار . ورواه عبد العزيز بن المختار عن عبد الله هو ابن فيروز الداناج ـ قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الشَّمْسُ وَالقَمَرُ ثُوْرَانِ يُكَوِّرانِ في النَّار يَوْمَ القِيامَةِ » خرجه البزار وغيره [77] .

وخرجه البخاري مختصراً ولفظه « الشَّمْسُ والقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ » [78] .

وخرج أبو يعلى من رواية درست بن زياد ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « الشَّمْسُ وَالقَمَرُ ثوْرانِ عَقِيرانِ (١) فِي النَّار » وهذا إسناد ضعيف جداً .

وقد قيل : إن المعنى في ذلك أن الكفار لما عبدوا الآلهة من دون الله واعتقدوا أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم اليه عوقبوا بأن جعلت معهم في النار إهانة لها وإذلالاً ، ونكاية لهم وإبلاغاً في حسرتهم وندامتهم ، فإن الانسان إذا قرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرته .

ولهذا المعنى يقرن الكفار بشياطينهم التي أضلتهم . قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ (٢) عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وإِنَّهُمْ

---

(١) قال في « النهاية » : قيل لما وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله : ﴿ كل في فلك يسبحون ﴾ ، ثم أخبر أنه يجعلهما في النار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحانها صارا كأنهما زمنان عقيران ، حكى ذلك أبو موسى ، وهو كما تراه .

(٢) ﴿ يعش ﴾ : أي من يقام ويعرض ويتغافل . ﴿ نقيض ﴾ : أي نسبب ، أو نتح له .

---

٧٧) أخرجه الإمام الطحاوي في « مشكل الآثار » ١/٦٦ و٦٧ وهو حديث صحيح ، وله شاهد من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه عند الطحاوي ١ / ٦٧ بلفظ « الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » وهو كذلك عند الطيالسي وأبي يعلى الموصلي . والمعنى انهما يلقيانه في النار تبكيتاً لمن عبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهم كانت باطلة . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (١٢٤) .

٧٨) البخاري رقم (٣٢٠٠) في بدء الخلق : باب صفة الشمس والقمر .

لَيصُدُّونَهُم عَنِ السَّبِيلِ وَيحسَبُونَ أنهم مُهْتَدُون * حَتَّى إذا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَك بُعْدَ المَشْرِقين فَبِئْسَ القَرينُ * وَلَنْ يَنْفَعَكُم اليومَ إذ ظَلَمْتُم أَنَّكُمْ في العذابِ مشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٦ ـ ٣٩] .

قال معمر عن سعيد الجريري في هذه الآيات : بلغنا أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره شفع بشيطانه فلم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار ، فذلك حين يقول : ﴿ يَا لَيتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئسَ القَرِينُ ﴾ [الزخرف : ٣٨] .

وقال أبو الأشهب عن سعيد الجريري عن عباس الجشمي : إن الكافر إذا خرج من قبره وجد عند رأسه مثل السرحة المحترقة شيطانة فتأخذ بيده ، فتقول : أنا قرينتك ادخل أنا وأنت جهنم ، فذلك قوله : ﴿ يَا لَيْتَ بينِي وَبَيْنَكْ بُعْدَ المَشْرِقَينِ فَبِئْسَ القَرينُ ﴾ خرجهما ابن أبي حاتم وغيره ، والسرحة : شجرة كبيرة .

وقد أخبر الله تعالى عن حنق الكفار على من أضلهم بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذينَ أَضلَّانا مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلين ﴾ [فصلت : ٢٩] فإذا قرن أحدهم بمن أضله في العذاب كان أشد لعذابه ، فان المكان المتسع يضيق على المتباغضين فكيف باقترانهما في المكان الضيق .

وأخبر الله تعالى عن اختصام الكفار مع من كان معهم من الشياطين ومن عبدوه من دون الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبدُونَ * مِنْ دُونِ الله هَلْ يَنْصُرُونَكُم أَوْ يَنْتَصرُونَ * فَكُبْكبُوا فِيهَا هُمْ والغَاوونَ[1] * وَجُنُودُ ابْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمونَ * تالله إنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِين * إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِين * وَمَا

---

(١) ﴿ فكبكبوا ﴾ : فألقي الأصنام على وجوههم مراراً . ﴿ الغاوون ﴾ : الضَّالون عن طريق الحق .

أَضَلَّنا إلاَّ المُجْرِمُون ﴾ الآيات كلها [الشعراء : ٩١ - ٩٩] .

ومن جملة أنواع عذاب أهل النار فيها تلاعنهم وتباغضهم ، وتبرء بعضهم من بعض ، ودعاء بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب كما قال الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخلَتْ أُمَّةٌ لَعنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إذَا إدَّاركُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْراهُمْ لِأولاهُمْ رَبَّنا هَؤلاء أضَلُّونا فَآتهم عذاباً ضِعفاً مِنَ النَّارِ ﴾ الآيات [الأعراف : ٣٨] وقال الله تعالى : ﴿ وَإذْ يَتَحاجُّونَ في النَّارِ فَيقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذينَ اسْتكْبَرُوا ﴾ الآيات [غافر : ٤٧] وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لاَ مَرْحَباً بهم ﴾ إلى قوله : ﴿إنَّ ذلَكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْل النَّارِ ﴾ [ص : ٥٩ - ٦٤] وحينئذ فلا يبعد أن يقرن كل كافر بشيطانه الذي أضله وبصورة من عبده من دون الله من الحجارة .

وقال ابن أبي الدنيا : حدّثنا عبد الله بن وضاح ، حدّثنا عباءة بن كليب عن محمد بن هاشم ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ نَاراً وَقُودُها النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] وقرأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمعها شاب إلى جنبه فصعق ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه في حجره رحمة له ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم فتح عينيه ، فقال : بأبي أنت وأمي مثل أي شيء الحجر ؟ قال : « أَمَا يَكْفِيكَ مَا أَصابُكَ ، عَلَىٰ أَنَّ الحَجَرَ الواحد مِنْهَا لَوْ وُضِعَ على جِبَالِ الدُّنْيَا كُلِّهَا لَذَابَت مِنْهُ ، وَإنَّ مَعَ كُلِّ إنْسانٍ مِنْهُمْ حَجَراً وَشَيْطَاناً »[٧٩] .

وقال الحسن في موعظته : اذكرك الله إلا ما رحمت نفسك ، فإنك قد حذرت ناراً لا تطفأ ، يهوي فيها من صار إليها ، ويتردد بين أطباقها قرين

---

٧٩) وفيه ضعف وانقطاع وذكره ابن كثير في « التفسير » بنحوه من رواية ابن أبي حاتم عن عبد العزيز بن أبي روَّاد بلاغاً ، وقال في آخره : هذا حديث مرسل غريب .

شيطان ، ولزيق حجر يتلهب في وجهه شعلها ﴿ لا يُقْضَى عَلَيْهِم فَيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم من عَذَابِهَا ﴾ [فاطر : ٣٦] .

وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت توقد بها النار ، ويقال : إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة : سرعة الإيقاد ، ونتن الرائحة ، وكثرة الدخان ، وشدة الالتصاق بالأبدان ، وقوة حرها اذا أحميت .

قال عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] قال : هي حجارة من الكبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين ، خرجه ابن أبي حاتم والحاكم في « المستدرك » وقال : صحيح على شرط الشيخين[1] .

وقال السدي في « تفسيره » عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة ﴿ فاتَّقُوا النَّار التَّي وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارةُ ﴾ [البقرة : ٢٤] اما الحجارة حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار . وقال مجاهد : حجارة من كبريت أنتن من الجيفة ، وهكذا قال أبو جعفر وابن جريج وعمرو بن دينار وغيرهم .

وقال ابن وهب : أخبرني عبد الله بن عباش ، أخبرني عبد الله بن سليمان عن دراج عن أبي الهيثم ، عن عيسى بن هلال الصدفي ، عن عبد الله ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ الأَرْضَيْنِ بَيْنَ كُلِّ أَرْضٍ إلَىٰ التَّي تَلِيهَا مَسِيرَةَ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ ، فَالعُلْيَا مِنْهَا عَلَىٰ

---

(١) « المستدرك » ٢/٤٩٤ ، وأوله : « إن الحجارة التي سمى الله في القرآن وقودها الناس والحجارة . . . » الحديث .

ظَهْرِ حُوتٍ قَدِ التقى طَرَفَاهُ في السَّماء، وَالحُوت عَلَىٰ صَخْرَةٍ، وَالصَّخْرةُ بِيَدِ مَلَك ، والثَّانِيَةُ سِجْنُ الرِّيحِ ، فلما أَرَادَ الله هَلاَكَ عادٍ أَمَرَ خَازِنَ الرِّيح أَنْ يُرْسِل عَلَيْهِمْ رِيحاً تَهْلِكُ عَاداً ، قَالَ : يا رَبِّ ! أُرْسِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيح قَدْر مَنْخَرِ ثَوْر ، قالَ لَهُ الجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعالىٰ : إذَنْ يَكْفِي الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ أُرْسِلُ عَلَيْهِمْ بقدر خَاتِمٍ ، فَهِيَ الَّتِي قال الله في كِتَابِهِ : ﴿ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات : ٤٢] ، وَالثَّالثَةُ فيهَا حَجَارَةُ جَهَنَّمَ ، والرَّابِعَةُ فِيهَا كِبْرِيتُ جَهَنَّمَ ، قالوا : يا رَسُولَ الله ! أَللنَّارِ كَبْرِيتٌ ؟! قالَ : نَعَمْ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ فيهَا لأَوْدِية مِنْ كِبْرِيتٍ لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهَا الجِبَالُ الرَّواسِي لَمَاعَتْ ، والخَامِسَةُ فِيهَا حَيَّاتُ جهَنَّم ، وَإنَّ أَفْواهَهَا كَالأَوْدِيَةِ تَلْسَعُ الكَافِرَ اللَّسْعَةَ فَلا يَبْقَىٰ مِنْهُ لَحْمٌ عَلَىٰ وَضَمٍ [1] ، والسَّادِسَةُ فِيهَا عَقَارِبُ جَهَنَّم ، وإنَّ أَدْنىٰ عَقْرَبَةٍ مِنْهَا كَالبِغالِ المُوكَفَةِ تَضْرِبُ الكَافِرَ ضَرْبَةً تُنْسِيهُ ضَرْبَتَها حَرَّ جَهَنَّمَ ، والسَّابِعَةُ سَقَرٌ وَفِيهَا إبْلِيسُ مُصَفَدٌ بِالحَدِيدِ أَمَامَهُ وَيَدهُ مِنْ خَلْفِهِ ، فَإذا أراد الله أَنْ يُطْلِقَه لِما يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ أَطْلَقَهُ » . خرجه الحاكم في آخر « المستدرك »[2] وقال : تفرد به أبو السمح ، [عن عيسى بن هلال] وقد ذكرت عدالته بنص الامام يحيى بن معين ، والحديث صحيح ولم يخرجاه. اهـ . وقال بعض الحفاظ المتأخرين[3] : هو حديث منكر ، وعبد الله ابن عياش القتباني ضعفه أبو داود، وعند مسلم أنه ثقة ، ودراج كثير المناكير ، والله أعلم .

قلت : رفعه منكر جداً ، ولعله موقوف ، وغلط بعضهم فرفعه ، وروى عطاء بن

---

(١) « الوضم » الخشبة أو البارية التي يوضع عليها اللحم ، تقية من الأرض .

(٢) « المستدرك » ٥٩٤/٤ .

(٣) يعني الإمام الذهبي في « التلخيص » .

يسار عن كعب من قوله له نحو هذا الكلام أيضاً .

وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية ﴿قُوا أَنْفُسَكُم وَأَهْليكُم نَاراً وقُودُهَا النَّاسُ والحجَارَةُ﴾ [التحريم : ٦] وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ ، فقال الشيخ :يا رسول الله ، ! حجارة جهنم كحجارة الدنيا ،فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وَالذّي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ صَخْرَة مِنْ صَخْرِ جهنم أَعْظَم مِن جبالِ الدُّنْيا كُلِّها » فوقع الشيخ مغشياً عليه ، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على فؤاده ، فإذا هو حي فناداه قل : « لا إلهَ إلاَّ الله » فقالها ، فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا ؟ قال : « نَعَمْ يَقُولُ الله تَبارَكَ وَتَعَالىٰ : ﴿ذَلِكَ لمَنْ خافَ مَقامي وَخَافَ وعيد﴾ [ابراهيم : ١٤] خرجه ابن أبي الدنيا .

* * *

الباب السابع عشر
في ذكر حياتها وعقاربها

وقد تقدم في الباب الثامن والرابع عشر والسادس عشر بعض ذكر حيات جهنم وعقاربها .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ، عن دراج ، سمعت عبد الله بن الحارث بن جزء الزُّبَيْدي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ في النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَعْنَاقِ البُخَاتِي تَلْسَعُ إحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا(١) إلىٰ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً ، وَإِنَّ في النَّارِ عَقَارِبَ كأَمْثَالِ البِغَالِ المُؤْكفةِ(٢) تَلْسَعُ إحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ سَنَة » وخرجه الحاكم من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن دراج به [٨٠] .

وروى الأعمش عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن ابن مسعود في

---

(١) أي سمها .

(٢) أي التي وضع عليها إكافها .

---

٨٠) قال الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » ٤٧٦/٤ : رواه أحمد [في « المسند » ١٩١/٤] والطبراني من طريق بن لهيعة عن دارج عنه ، ورواه ابن حبان في « صحيحه » والحاكم من طريق عمرو بن الحارث عن دارج عنه ، وقال الحاكم ٥٩٣/٤ : صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

وقال الهيثمي في « المجمع » ٣٩٠/١٠ : رواه أحمد والطبراني وفيه جماعة قد وثقوا .

قوله تعالى : ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابَاً فَوْقَ العَذَابِ ﴾ [النحل : ٨٨] قال : عقارب لها أنياب كالنحل الطوال ، وخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين[١] . وفي رواية عنه ، قال : زيدوا عقارب من نار كالبغال الدهم[٢] أنيابهما كالنخل ، خرجه آدم بن أبي اياس في « تفسيره » عن المسعودي عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود ، وقول من قال عن عبد الله بن مرة عن مسروق أصح .

وخرج ابن أبي حاتم من رواية سفيان عن رجل عن مرة عن عبد الله في قوله : ﴿ عَذَابَاً ضعفاً في النَّارِ ﴾ [ص : ٦١] قال : حيات وأفاعي .

وروى السدي عن مرة عن عبد الله في هذه الآية قال : أفاعي في النار .

وروى ابن وهب عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن لجهنم لسواحل فيها حيات وعقارب أعناقها كأعناق البخت .

وخرج ابن أبي الدنيا وغيره من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة ، قال : إن لجهنم جباباً في سواحل كسواحل البحر فيه هوام وحيات كالبخاتي وعقارب كالبغال الذل ، فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل لهم : اخرجوا الى السواحل فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك فتكشطها ، فيرجعون فيبادرون الى معظم النيران ، ويسلط عليهم الجرب حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم ، فيقال : يا فلان هل يؤذيك هذا ؟ فيقول : نعم ، فيقال له : ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين .

---

(١) المستدرك ٢ / ٣٥٦ ووافقه الذهبي .

(٢) أي السود والدهم والدلم بمعنى .

وروى عبيد الله بن موسى عن عثمان بن الأسود عن مجاهد ، قال : في جهنم عقارب كأمثال الدلم لها أنياب كالرماح إذا ضربت إحداهن الكافر على رأسه ضربة تساقط لحمه على قدميه .

وروى حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي عثمان ، قال : على الصراط حيات يلسعن أهل النار فيقولون : حس حس ، فذلك قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [الأنبياء : ١٠٢] .

وكان إبراهيم العجلي رحمه الله يقع البعوض على كتفيه وظهره فيتأذى به ، فيقول لنفسه :

وَأَنْتَ تَـأَذَّىٰ مِنْ حَسِيسِ بَعُوضَـةٍ ... فَـلِلنَّـارُ أَشْقَىٰ سَـاكِنِيـنَ وَأَوْجَـعُ

* * *

الباب الثامن عشر

في ذكر طعام أهل النار وشرابهم فيها

قال الله تعالى : ﴿ إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ * كَغَلْي الحَميمِ ﴾ [الدخان : ٤٣ - ٤٦] .

وقال : ﴿ أَذَلِكَ خَيرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إنَّا جَعلْنَاهَا فِتْنَةً لِلَّظالِمينَ * إنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ في أَصْلِ الجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (١) * فإنَّهُم لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالئُونَ مِنْهَا البُطُونَ * ثُمَّ إنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ (٢) * ثُمَّ إنَّ مَرْجِعَهُم لإِلَى الجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٢ - ٦٨] .

وقال : ﴿ ثُمَّ إنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُونَ المُكَذبونَ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا البُطونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيهِ مِنَ الحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ (٣) * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ * نَحْنُ خَلَقْنَاكُم فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ﴾

---

(١) ﴿ طلعها ﴾ : أي ثمرها الشبيه بطلع النخل . ﴿ كأنه رؤوس الشياطين ﴾ : تمثيل لتناهيه في البشاعة والقبح .

(٢) ﴿ لشوباً ﴾ : لخلطاً ومزاجاً . ﴿ حميم ﴾ : أي ماء بالغ غاية الحرارة .

(٣) ﴿ شرب الهيم ﴾ : الإبل العطاش التي لا تروى . انظر ص ١٤٤ .

[الواقعة : ٥١ - ٥٧] .

وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنا الرُّؤْيا الَّتي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاس وَالشَّجَرَةَ المَلْعونَةَ(١) في القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُم فَمَا يزيدُهُم إلاَّ طُغْياناً كبيراً ﴾[الاسراء: ٦٠] .

وخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » [٨١] من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية ﴿ اتَّقُوا الله حَقَّ تُقاتهِ وَلاَ تموتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُوم قَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لأَفْسَدَتْ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَكُونُ طَعَامَهُ ؟ » وقال الترمذي : صحيح ، وروي موقوفاً على ابن عباس .

وقال ابن اسحاق : حدّثني حكيم بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : قال أبو جهل لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شجرة الزقوم : يخوفنا بها محمد ، يا معشر قريش أتدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ، قالوا : لا ، قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها تزقماً ، فأنزل الله فيه ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُوم * طَعَامُ الأثيم ﴾ الآية [الدخان: ٤٣ - ٤٤][٨٢] ، أي ليس كما تقول: وأنزل الله ﴿ والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهم فَمَا يَزِيدُهُم إلاَّ طُغْياناً كَبيراً ﴾ [الاسراء: ٦٠] .

---

(١) ﴿ الشجرة الملعونة ﴾ : أي شجرة الزقوم .

---

٨١) رواه الترمذي رقم (٢٥٨٨) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ، وابن ماجه رقم (٤٣٢٥) في الزهد : باب في صفة النار ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٦١١) « موارد » ، وأحمد في « المسند » ١/ ٣٠١ و٣٣٨ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ،

٨٢) ورواه أحمد من طريق آخر في « المسند» ١/ ٣٧٤ ، قال الهيثمي في « المجمع » ١/ ٦٦ - ٦٧ : رواه أحمد ، ورجاله ثقات إلا أن هلال بن خباب قال يحيى بن القطان : إنه تغير قبل موته ، وقال يحيى بن معين: لم يتغير ولم يختلط ثقة مأمون .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله : ﴿ فِتنَةً للظالِمين ﴾ [الصافات : ٦٣] قال : زادتهم تكذيباً حين أخبرهم أن في النار شجرة ، قال : يخبرهم أن في النار شجرة والنار تحرق الشجر ، فأخبرهم أن غذاءها من النار .

وقد تقدم عن ابن عباس أن شجرة الزقوم نابتة في أصل سقر .

وروي عن الحسن أن أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها .

وقال سلام بن مسكين : سمعت الحسن تلا هذه الآية ﴿ إنَّ شَجَرَةَ الزَّقومِ * طَعَامُ الأثِيمِ * كَالمُهُلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ * كَغَلي الحَمِيم ﴾ قال : إنها هناك قد حميت عليها جهنم .

وقال مغيرة عن ابراهيم وأبي رزين ﴿ كَالمُهْلِ يَغْلي فِي البُطُونِ ﴾ [الدخان : ٤٥] قال : الشجر يغلي .

قال جعفر بن سليمان : سمعت أبا عمران الجوني يقول : بلغنا أنه لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها .

وقد دل القرآن على أنهم يأكلون منها حتى تمتلىء منها بطونهم فتغلي في بطونهم كما يغلي الحميم ، وهو الماء الذي قد انتهى حره ، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليه من الحميم شرب الهيم .

قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة : الهيم : الابل العطاش .

وقال السدي : هو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً . وعن مجاهد نحوه .

وعن الضحاك في قوله : ﴿ شُرْبَ الهِيمِ ﴾ [الواقعة : ٥٥] قال : من العرب مَنْ يقول : هو الرمل، ومنهم من يقول : الإبل العطاش .

وقد روي عن ابن عباس كلا القولين ، ودل قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ إنَّ لَهُم

عَلَيها لَشوْباً من حَمِيمٍ ﴾ [الصافات : ٦٧] على أن الحميم يشاب به ما في بطونهم من الزقوم فيصير شوباً له .

وقال عطاء الخراساني في هذه الآية يقال : يخلط طعامهم ويشاب بالحميم .

وقال قتادة : لشوباً من حميم : مزاجاً من حميم .

وعن سعيد بن جبير قال : إذا جاع أهل النار استغاثوا من الجوع فأغيثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فانسلخت وجوههم حتى لو أن ماراً مر عليهم يعرفهم لعرف [١] جلود وجوههم ، فاذا أكلوا منها ألقي عليهم العطش ، فاستغاثوا من العطش فأغيثوا بماء كالمهل ، والمهل : الذي قد انتهى حره ، فاذا أدنوه من أفواههم أنضج حره الوجوه فيصهر به ما في بطونهم ، ويضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إنَّ مَرْجِعَهُمْ لإلَى الجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٨] أي بعد أكل الزقوم وشرب الحميم عليه ، ويدل هذا على أن الحميم خارج من الجحيم فهم يردونه كما ترد الإبل الماء ، ثم يردون الى الجحيم ، ويدل على هذا أيضاً قوله تعالى : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتي يُكَذِّبُ بِها المُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ [الرحمن : ٤٣ - ٤٤] والمعنى أنهم يترددون بين جهنم والحميم ، فمرة الى هذا ، ومرة الى هذا ، قاله قتادة وابن جريج وغيرهما .

وقال القرظي في قوله : ﴿ يَطُوفُون بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ قال : إن الحميم دون النار ، فيؤخذ العبد بناصيته فيجر في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس ، وهذا الذي يقول الله عزّ وجلّ :

---

(١) « عَرْف » : أي الريح ، طيبة كانت أو نتنة .

(٢) « الثبور » : أي الهلاك .

﴿ فِي الحَمِيم ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر : ٧٢] .

فصل

[في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ ﴾]

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابَاً أليماً ﴾ [المزمل : ١٢ - ١٣] وقال ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ [الغاشية : ٦ - ٧] .

روى الإمام أحمد باسناده عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ طَعَاماً ذَا غُصَّةٍ ﴾ قال : شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج .

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ قال : شجر في جهنم .

وقال مجاهد : الضريع : الشبرق اليابس .

وروى أيضاً عن عكرمة وقتادة ، ورواه العوفي عن ابن عباس الشبرق : نبت ذو شوك لاطىء بالأرض فاذا هاج سمي ضريعاً . وقال قتادة : من أضرع الطعام وأبشعه .

وعن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ من ضريع ﴾ قال : من حجارة ، وعنه قال : الزقوم . وعن أبي الجوزاء قال : الضريع : السلي شوك النخل ، وكيف يسمن شوك النخل .

وخرج الترمذي [٨٢] من حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله

---

٨٢) رقم (٢٥٨٩) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة طعام أهل النار ، وإسناده ضعيف ، قال الترمذي : قال عبد الله بن عبد الرحمن ـ يعني الدارمي ـ : والناس لا يعرفون هذا الحديث ، قال : إنما روي هذا الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله ، وليس بمرفوع أقول : وإسناده ضعيف مرفوعاً وموقوفاً

وسلم «يُلْقَى عَلَىٰ أَهْلِ النَّارِ الجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فيهِ مِنَ العَذَابِ، فيستغيثون، فَيُغاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ فَيُغاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجيزُونَ الغَصَصَ في الدُّنْيَا بِالشَّرابِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ ، فَيُدْفَعُ إِلَيْهِمْ الحَمِيمُ بِكَلالِيبِ الحَدِيدِ ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وُجُوهَهُمْ ، فإذا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَعَتْ مَا في بُطُونِهِمْ». وذكر بقية الحديث، وقد روي هذا موقوفاً على أبي الدرداء، وقيل : وقفه أشبه .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الخَاطِئُونَ [1] ﴾ [الحاقة : ٣٥ - ٣٧] روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ من غسلين ﴾ قال : هو صديد أهل النار .

وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: الغسلين : الدم والماء يسيل من لحومهم ، وهو طعامهم .

وعن مقاتل ، قال : إذا سال القيح والدم بادروا الى أكله قبل أن تأكله النار .

وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس : الغسلين : شجرة في جهنم ، وعن الضحاك مثله .

وروى خصيف عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : ما أدري ما الغسلين ، ولكني أظنه الزقوم .

وقال أبو هلال عن قتادة : هو طعام من طعام جهنم من شر طعامهم .

---

(١) ﴿ الخاطئون ﴾ : أي الكافرون .

وقال يحيى بن سلام : هو غسالة أَجْوَافهم .

قال ابن قتيبة : هو فعلين من غسلت كأنه الغسالة .

قال شريح بن عبيد ، قال كعب : يقول : لو دلي من غسلين دلو واحد في مطلع الشمس لغلت منه جماجم قوم في مغربها . خرجه أبو نعيم .

وقد روي أن بعض أهل النار يأكل لحمه ، وسنذكر الحديث في ذلك فيما بعد إن شاء الله .

وقال الله تعالى ﴿ إنَّ الَّذين يَأْكُلُونَ أَمْوالَ اليَتَامَى ظُلْماً إنَّمَا يَأْكُلونَ في بُطُونهم نَاراً وَسَيَصلُونَ سَعيراً ﴾ [النساء : ١٠] .

وقد روي في حديث « إنَّ أَكَلَةَ الرِّبا يُبْعَثُونَ تَتَأَجَّجْ أَفْوَاهُهُمْ ناراً » ثم تلا هذه الآية : خرجه ابن حبان في « صحيحه » من حديث أبي برزة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٨٣] .

فصل
[في شراب أهل النار]

وأما شرابهم فقال الله تعالى : ﴿ فَشَارِبُون عَلَيهِ مِنَ الحَمِيم ﴾ [الواقعة : ٥٤].

وقال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً * إلَّا حَمِيماً وغَساقاً (١) ﴾ [النبأ : ٢٤ ـ ٢٥] .

---

(١) ﴿ غساقاً ﴾ : أي صديداً يسيل من جلودهم .

---

٨٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٥٨٠) « موارد » .

وقال تعالى : ﴿ هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص : ٥٧ - ٥٨] .

وقال تعالى :﴿ وَيُسْقَىٰ مِنَ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ[1] ﴾ [إبراهيم : ١٦ - ١٧].

وقال تعالى : ﴿ وإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَسَاءَت مُرْتَفقاً[2] ﴾ [الكهف : ٢٩] .

فهذه أربعة أنواع ذكرناها من شرابهم ، وقد ذكرها الله في كتابه :

النوع الأول : الحميم .

قال عبد الله بن عيسى الخراز ، عن داود عن عكرمة عن ابن عباس : الحميم الحار الذي يحرق .

وقال الحسن والسدي : الحميم الذي قد انتهى حره .

وقال جويبر عن الضحاك : يسقى من حميم يغلي من يوم خلق الله السموات الأرض الى يوم يسقونه ويصب على رؤ وسهم .

وقال ابن وهب عن ابن زيد : الحميم : دموع أعينهم في النار يجتمع في حياض النار فيسقونه : وقال تعالى : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ [الرحمن : ٤٤] قاله محمد بن كعب ، حميم آن : حاضر ، وخالفه الجمهور فقالوا : بل المراد بالآن : ما انتهى حره .

---

(١) ﴿ يتجرعه ﴾ : أي يتكلف بلعه لحرارته ومرارته . ﴿ لا يكاد يسيغه ﴾ : أي يبتلعه لشدة كراهته ونتنه .

(٢) ﴿ مرتفقاً ﴾ : أي متكأً أو مقراً .

وقال شبيب عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ حميمآن﴾ :الذي قد انتهى غليه .

وقال سعيد بن بشير عن قتادة : قد آن طبخه منذ خلق الله السموات والأرض . وقال تعالى : ﴿ تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ [الغاشية : ٥] قال مجاهد : قد بلغ حرها وحان شربها .

وعن الحسن قال : كانت العرب تقول للشيء اذا انتهى حره حتى لا يكون شيء أحر منه: قد آن حره ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ يقول : قد أوقد الله عليها جهنم منذ خلقت ، وآن : حرها . وعنه قال : إن طبخها منذ خلق الله السموات والأرض .

وقال السدي : انتهى حرها فليس بعده حر ، وقد سبق حديث أبي الدرداء في دفع الحميم إليهم بكلاليب الحديد .

النوع الثاني : الغساق .

قال ابن عباس : الغساق : ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه ، وعنه قال : الغساق : الزمهرير البارد الذي يحرق من برده .

وعن عبد الله بن عمرو قال : الغساق : القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهرق في المغرب لأنتنت أهل المشرق ، ولو أهرقت في المشرق لأنتنت أهل المغرب .

وقال مجاهد : غسَّاق : الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده .

وقال عطية : هو ما يغسق من جلودهم ـ يعني يسيل من جلودهم .

وقال كعب : غساق : عين في جهنم يسيل إليها حمة [١] كل ذات

---

(١) « الحُمَة » : بالتخفيف : السم ، وقد يُشَدّد .

حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع ، فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام . ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه ، ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه .

وقال السدي : الغساق الذي يسيل من أعينهم من دموعهم يسقونه مع الحميم .

وروى دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَوْ أَنَّ دلواً مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ في الدُّنْيَا لأَنْتَنَ أَهَلَ الدُّنْيا » خرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه [٨٤] .

وقال بلال بن سعد : لو أن دلواً من الغساق وضع على الأرض لمات من عليها . وعنه قال : لو أن قطرة منه وقعت على الأرض لأنتن من فيها . خرجه أبو نعيم .

وقد صرح ابن عباس في رواية عنه ومجاهد بأن الغساق ها هنا هو البارد الشديد البرد ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ لا يذُوقُون فيهَا بَرْداً ولا شرَاباً ❁ إلَّا حَميماً وغسَّاقاً ﴾ [النبأ : ٢٤ ـ ٢٥] فاستثنى من البرد الغساق ومن الشراب الحميم .

وقد قيل : إن الغساق هو البارد المنتن وليس بعربي ، وقيل : إنه عربي ، وإنه فعال من غسق يغسق ، والغاسق : الليل ، وسمي غاسقاً لبرده .

النوع الثالث : الصديد .

قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَيسقى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾[ابراهيم : ١٦] قال : يعني القيح والدم ، وقال قتادة : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَديدٍ ﴾

---

٨٤) رواه أحمد في « المسند » ٣/٢٨ و٨٣ والترمذي رقم (٢٥٨٧) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ، والحاكم ٤/٦٠٢ ، ورواية دراج أبو السمح عن أبي الهيثم ضعيفة .

قال : ما يسيل من بين لحمه وجلده ، قال : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ قال قتادة : هل لكم بهذا يدان أم لكم على هذا صبر ، طاعة الله أهون عليكم يا قوم فأطيعوا الله ورسوله .

وخرج الإمام أحمد والترمذي [٨٥] من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ ﴾ [إبراهيم : ١٦ - ١٧] قال : يُقَرَّبُ إِلَىٰ فِيهِ فَيَكْرَهُهُ ، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ ، يقول الله تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُم ﴾ [محمد : ١٥] وقال : ﴿وإن يَسْتغيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالمُهْلِ يشْوي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ﴾[الكهف : ٢٩] .

وروى أبو يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قال : في جهنم أودية من قيح تكتاز (١) ثم تصب في فيه .

وفي « صحيح مسلم » [٨٦] عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ عَلَىٰ الله عَهْداً لِمَنْ شَرِبَ المُسْكِرَاتِ لَيَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ! وَمَا طِينَةُ الخَبَالِ ؟ قالَ : عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ » .

---

(١) « تكتاز » : أي يغترف بالكوز . ولعل المعنى تجتمع .

---

٨٥) رواه أحمد في « المسند » ٥/٢٦٥ والترمذي رقم (٢٥٨٦) في أبواب صفة جهنم : باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ، من حديث صفوان بن عمرو وعن عبيد الله بن بسر عن أبي أمامة ، وقال : هذا حديث غريب ، وهكذا قال محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - عن عبيد الله بن بسر ، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث ، وقد روى صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث .

٨٦) رقم (٢٠٠٢) في الأشربة : باب بيان أن كل مسكر خمر ، والنسائي ٨/٣٢٧ في الأشربة : باب ذكر ما أعد الله عز وجل لشارب الخمر . وأحمد في « المسند » ٣/٣١١ .

ورواه أحمد في « المسند » ٢/١٧٨ و١٧٩ وابن ماجه رقم (٣٣٧٧) في الأطعمة : باب من شرب الخمر لم يقبل له صلاة ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (١٣٧٨) « موارد » من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

وخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه ، إلا أنه ذكر ذلك في المرة الرابعة ، وفي بعض الروايات « مِنْ عَيْنِ الخَبَالِ » .

وخرج الترمذي [87] من حديث عبد الله بن عمر نحوه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه قال: « مِنْ نَهْرِ الخَبَالِ » ، قيل : يا أبا عبد الرحمن ما نهر الخبال ؟ قال : نهر من صديد أهل النار ، وقال : حديث حسن .

وخرج أبو داود [88] من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه ، وقال : « مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ » قيل : يا رَسول الله ! ما طينة الخبال قال : « صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ » وفي رواية أخرى قال : « مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهُومَةِ (١) أَهْلِ النَّارِ وَصَدِيدَهُمْ » .

وخرج الإمام أحمد بمعناه أيضاً من حديث أبي ذر وأسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وخرج الإمام أحمد وابن حبان في «صحيحه»[89] من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ مُدْمِنُ خَمْرٍ سَقَاهُ الله مِنْ نَهْرِ الغُوطَةِ » ، قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : « نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ

---

(١) « زُهومة » : الريح المنتنة .

---

٨٧) رواه الترمذي رقم (١٨٦٣) في الأشربة : باب ما جاء في شارب الخمر ، ولفظه : « من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً . . . . . » .

قال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد روي نحو هذا عن عبد الله بن عمرو ، وابن عباس عن النبي ﷺ . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦١٨٨) : صحيح .

٨٨) رقم (٣٦٨٠) في الأشربة : باب النهي عن المسكر . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٤٢٤) .

فُرُوجِ المُومِسَاتِ يُؤْذي أَهْلَ النَّارِ نَتَنُ فُرُوجِهِمْ » .

وقد سبق حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المتكبرين وفيه « يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ » .

النوع الرابع : الماء الذي كالمهل .

خرج الإمام أحمد والترمذي من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : ﴿ كَالمُهْلِ ﴾ قال : « كَعَكَرِ الزَّيْتِ ، فَإِذَا قُرِّبَ إلى وَجْهِهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ »[90] .

قال عطية : سئل ابن عباس عن قوله : ﴿ كَالمُهْلِ ﴾ قال : غليظ كدردي الزيت .

قال علي بن أبي طالب عن ابن عباس : أسود كمهل الزيت ، وكذا قال سعيد بن جبير وغيره .

قال الضحاك : أذاب ابن مسعود فضة من بيت المال ثم أرسل إلى أهل المسجد ، فقال : من أحب أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا .

وقال مجاهد : ﴿بماء كالمهل﴾ : مثل القيح والدم أسود كعكر الزيت .

وخرج الطبراني من طريق تمام بن نجيح عن الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لَوْ أَنَّ غَرْباً جُعِلَ مِنْ حَمِيمِ جَهَنَّمَ وَجُعِلَ وَسَطَ الأَرْضِ لآذَىٰ نَتْنَ رِيحِهِ وَشِدَّةَ حَرِّهِ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ »[91] .

---

٩٠) رواه أحمد في « المسند » ٧١/٣ ، والترمذي رقم (٢٥٨٤) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة شراب أهل النار . وإسناده ضعيف .

٩١) قال الهيثمي في « المجمع » ٣٨٧/١٠ : رواه الطبراني في « الأوسط » ، وفيه تمام بن نجيع وهو ضعيف ، وقد وثق ، وبقية رجاله أحسن حالاً من تمام .

وفي «موعظة الأوزاعي» للمنصور قال: بلغني أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : لَوْ أَنَّ ذَنُوباً مِنْ شَرَابِ جَهَنَّمَ صُبَّ فِي مَاءِ الأَرْضِ جَمِيعاً لَقَتَلَ مَنْ ذَاقَهُ .

خرج بعض المتقدمين فمر بكروم بقرية يقال لها : طيزناباذ ، وكأنه كان يعصر فيها الخمر ، فأنشد يقول :

بِطِيزَنابَاذَ[1] كَرْمٌ مَا مَرَرْتُ بِهِ ... إلَّا تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ المَاءَ

فهتف به هاتف يقول :

وَفِي جَهَنَّم مَاءٌ مَا تَجَرَّعُهُ ... حَلْقٌ فَأَبْقَىٰ لَهُ فِي البَطْنِ أَمْعَاءَ

فصل
[في تنغص السلف على طعامهم عند ذكر طعام أهل النار]

وكان كثير من الخائفين من السلف ينغص عليهم ذكر طعام أهل النار وشرابهم طعام الدنيا وشرابها حتى يمتنعوا من تناوله أحياناً لذلك ، فكان الإمام أحمد يقول : الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فلا أشتهيه .

روى شعبة عن سعد بن ابراهيم ، قال : أتي عبد الرحمن بن عوف بعشائه وهو صائم فقرأ ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ﴾ [المزمل : ١٢ ـ ١٣] فلم يزل يبكي حتى رفع طعامه وما تعشى وإنه لصائم . خرجه الجوزجاني .

وروى ابن أبي الدنيا من طريق يونس عن الحسن ، قال : لقي رجل

---

(١) طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية ، بينها وبين القادسية ميل ، وهي كلمة عجمية والشعر لأبي نواس الحسن بن هانىء .

رجلاً فقال له : يا هذا أراك قد تغير لونك ونحل جسمك فمم هو؟ فقال آخر : وإني لأرى ذلك فممّ هو؟ قال : أصبحت منذ ثلاثة أيام صائماً فلما أتيت بعشائي عرضت لي هذه الآية ﴿ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكاد يُسيغُه وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذابٌ غَليظٌ﴾ [ابراهيم : ١٦ - ١٧] . فلم أستطع أن أتعشاه فأصبحت صائماً ، فلما أتيت بعشائي أيضاً عرضت لي فلم أستطع أن أتعشاه ، فلي ثلاث منذ أنا صائم ، قال يقول الرجل الآخر : وهي التي عملت بي هذا العمل .

ومن طريق خليد بن حسان الهجري ، قال : أمسى الحسن صائماً فأتي بعشائه فعرضت له هذه الآية ﴿ إنَّ لَدَيْنا أَنْكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ﴾ فقلصت يده ، وقال : ارفعوه فأصبح صائماً ، فلما أمسى أتي بإفطاره عرضت له الآية فقال : ارفعوه : فقلنا : يا أبا سعيد تهلك وتضعف ، فأصبح اليوم الثالث صائماً ، فذهب ابنه الى يحيى البكاء وثابت البناني ويزيد الضبي فقال : أدركوا أبي فانه هالك ، فلم يزالوا به حتى سقوه شربة ماءٍ من سويق .

ومن طريق صالح المري قال : كان عطاء السلمي قد أضر بنفسه حتى ضعف ، فقلت له : إنك قد أضريتَ بنفسك وأنا متكلف لك بشيء فلا ترد كرامتي ، قال : أفعل ، قال : فاشتريت سويقاً من أجود ما وجدت وسمناً ، قال : فجعلت له شربية فلتيتها وحليتها وأرسلت بها مع ابني وكوزاً من ماء فقلت له : لا تبرح حتى يشربها ، فرجع ، فقال : قد شربها ، فلما كان من الغد جعلت له نحوها ثم سرحت بها مع ابني فرجع بها لم يشربها ، قال : فأتيته فلمته وقلت : سبحان الله أرددت عليَّ كرامتي إن هذا مما يعينك ويقويك على الصلاة وعلى ذكر الله تعالى ، فلما رآني قد وجدت[1] من

---

(١) أي غضبت .

ذلك ، قال : يا أبا بشر! لا يسؤوك والله لقد شربتها أول ما بعثت بها ، فلما كان الغد راودت نفسي على أن أسيغها فما قدرت على ذلك ، إذا أردت شربه ذكرت هذه الآية ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيأتيه المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [ابراهيم : ١٧] فبكى صالح عند هذا ، وقال : قلت لنفسي : ألا أراني في وادٍ وأنت في آخر .

وروى الإمام أحمد بإسناده عن صالح المري عن عطاء السلمي ، قال : إنني اذا ذكرت جهنم ما يسيغني طعام ولا شراب .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد من طريق مرجىً بن وداعة قال: انطلقت مع صالح المري ، فدخلنا على عطاء السلمي ، فقلنا له : يا عطاء تركت الطعام والشراب قال : إني إذا ذكرت صديد أهل النار لم أسغه .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عبد المؤمن الصائغ قال : دعوت رباحاً القيسي ذات ليلة الى منزلي ، فجاءني في السحر ، فقربت إليه طعاماً فأصاب منه شيئاً ، فقلت : ازدد فما أراك شبعت ، قال : فصاح صيحة أفزعتني ، فقال : كيف أشبع أيام الدنيا وشجرة الزقوم بين يدي طعام الأثيم ، قال : فرفعت الطعام من بين يديه ، وقلت : أنت في شيء ونحن في شيء .

وبإسناده عن أبي سعيد ، قال : دخل عبيد الله بن الوليد التيمي على حبابة التيمية فقدمت إليه سمناً وخبزاً وعسلاً فقال : يا حبابة أما تخافين أن يكون بعد هذا الضريع ، قال : فما زال يبكي وتبكي حتى قام ولم يأكل شيئاً .

وبإسناده عن سوار بن عبد الله القريعي ، قال : كنا مع عمر بن درهم في بعض السواحل ، قال : وكان لا يأكل إلا من السحر إلى السحر ، فجئنا ، بطعام فلما رفع الطعام الى فيه سمع بعض المتهجدين يقرأ هذه الآية ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأثيم * كَالمُهْلِ يَغْلي في البُطُونِ * كَغَلْي الحَميمِ ﴾

[الدخان : ٤٣ ـ ٤٦] فغشي عليه وسقطت اللقمة من يده فلم يفق الا بعد طلوع الفجر ، فمكث بذلك سبعاً لا يطعم شيئاً ، كلما قرب اليه طعام عرضت له الآية ، فيقوم ولا يطعم شيئاً ، فاجتمع إليه أصحابه ، فقالوا : سبحان الله تقتل نفسك ، فلم يزالوا به حتى أصاب شيئاً .

وبإسناده عن محمد بن سويد ، قال : كان لطاووس طريقان إذا رجع من المسجد أحدهما فيه رواس ، وكان يرجع اذا صلى المغرب ، فإذا أخذ الطريق الذي فيه الرواس لم يتعش، فقيل له، فقال: اذا رأيت تلك الرؤوس كالحة لم أستطع الأكل ، وذكر مالك بن أنس هذه الحكاية عن طاووس قال مالك : يعني لقول الله تعالى ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] .

وروى ابن أبي الدنيا أيضاً بإسناده عن عبد الله بن عمر أنه شرب ماء بارداً فبكى واشتد بكاؤه ، فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : ذكرت آية من كتاب الله قوله : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُون ﴾ [سبأ : ٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً ، شهوتهم الماء البارد ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أَو مِمَّا رَزَقَكُمُ الله ﴾ [الأعراف : ٥٠] .

عن سلام بن أبي مطيع ، قال : أتي الحسن بكوز من ماء ليفطر عليه فلما أدناه الى فيه بكى ، وقال : ذكرت أمنية أهل النار وقولهم : ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمْ الله ﴾ وذكرت ما أجيبوا به ﴿ إنَّ الله حَرَّمَهُما عَلَى الكافِرين ﴾ [الأعراف : ٥٠] .

وعن عبد الملك بن مروان أنه شرب ماء بارداً فقطعه وبكى ، فقيل : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرت شدة العطش يوم القيامة ، وذكرت أهل النار وما منعوا من بارد الشراب ثم قرأ ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسيغُهُ ﴾ [ابراهيم : ١٧] .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عن ابراهيم النخعي ، قال : ما

قرأت هذه الآية إلا ذكرت برد الشراب وقرأ ﴿ وحِيل بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ : ٥٤] .

واستسقى محمد بن مصعب العابد ماء فسمع صوت البرادة فصاح ، وقال لنفسه : من أين لك في النار برادة ثم قرأ ﴿ وإن يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كالمُهْلِ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

* * *

الباب التاسع عشر

في ذكر كسوة أهل النار ولباسهم

قال الله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ [الحج : ١٩] وكان ابراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول : سبحان من خلق من النار ثياباً .

وروينا من طريق يحيى بن معين ، حدّثنا أبو عبيدة الحداد ، حدّثنا عبد الله بن بحير ، عن عباس الجريري ـ أحسبه عن ابن عباس ـ قال : يقطع للكافر ثياب من نار حتى ذكر القباء والقميص والكمة .

وخرج أبو داود وغيره من حديث المستورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ أَكَلَ بِرِجْلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً فِي الدُّنْيَا ، أَطْعَمَهُ اللهُ مِثْلَهَا فِي جَهَنَّمَ ، وَمَنْ كَسَى أَوْ اكْتَسَى بِرِجْلٍ مُسْلِمٍ ثَوْباً كَسَاهُ اللهُ مِثْلَهُ فِي جَهَنَّمَ »[٩٢] .

وفي « مسند الإمام أحمد »[٩٣] عن هبيب بن المغفل ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ وَطِىءَ إِزَارَهُ خَيْلَاءَ وَطِئَهُ فِي النَّارِ » .

---

٩٢) رواه أبو داود رقم (٤٨٨١) في الأدب : باب في الغيبة ، وأحمد في « المسند » ٤/٢٢٩ ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٩٣٤) .

٩٣) رواه أحمد في « المسند» ٣/٤٣٧ و٤/٢٣٧ و٢٣٨ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥/١٢٥ : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح ، خلا أسلم أبا عمران ، وهو ثقة قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٤٦٨) : صحيح .

وهو يبين معنى ما في « صحيح البخاري »[94] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَا تَحْتَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزارِ فَفِي النَّارِ » أن المراد ما تحت الكعب من البدن والثوب معاً، وأنه يسحب ثوبه في النار كما يسحبه في الدنيا خيلاء .

وسيأتي حديث « أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ فِي قَدَمَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي فيهـا دِمَاغُهُ » فيما بعد إن شاء الله تعالى (*) .

وفي كتاب أبي داود والنسائي والترمذي عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى على رجل خاتماً من حديد فقال : « مَالِي أَرَىٰ عَلَيْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ النَّارِ »[95] .

وروى حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَىٰ حِلَّةً مِنَ النَّارِ إِبْلِيسَ ، يَضَعُهَا عَلَىٰ حَاجِبَهُ وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ ذرِيَّتُهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا ثُبُوره ، وَهُمْ يُنَادُونَ : يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّىٰ يَقِفُوا عَلَىٰ النَّارِ ، فَيَقُولُ : يَا ثُبُوره وَيَقُولُونَ : يَا ثُبُورَهُمْ » فيقال ﴿ لَا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُوراً واحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كثيراً ﴾ [الفرقان : ١٤] خرجه الإمام أحمد[96] .

وفي حديث عدي الكندي عن عمر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَوْ أَنَّ ثَوْباً مِنْ ثِيَابِ النَّارِ عَلِقَ بَيْنَ السَّمَاءِ

---

٩٤) البخاري رقم (٥٧٨٧) في اللباس : باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار ، والنسائي ٢٠٧/٨ في الزينة : باب ما تحت الكعبين من الإزار ، وأحمد في « المسند » ٢٥٥/٢ و ٢٨٧ و ٤١٠ و ٤٦١ و ٤٩٨ و ٥٠٤ .

(*) انظر أحاديث الباب الحادي والعشرون ص١٧٨ ومابعدها .

٩٥) رواه أبو داود رقم (٤٢٢٣) في الخاتم : باب في خاتم الحديد ، والترمذي رقم (١٧٨٦) في اللباس : باب في الخاتم الحديد ، والنسائي ١٧٢/٨ في الزينة : باب مقدار مايحبل في الخاتم من الفضة . وهو حديث صحيح ، كما قال الالباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥٤٠) .

٩٦) رواه أحمد في « المسند » ١٥٢/٣ و١٥٣ و١٥٤ قال الهيثمي في « المجمع » ٣٩٢/١٠ : رواه أحمد والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وقد وثق .

وَالأَرْضِ لَمَاتَ منْ في الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً مِنْ حَرِّهِ » وخرجه الطبراني ، وسبق ذكر إسناده .

وفي « موعظة الأوزاعي » للمنصور قال : بلغني أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر بنحوه .

فصــل
[في أن سرابيل أهل النار من قطران]

قال الله عز وجل : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابيلُهُم[1] مِنْ قَطِرانٍ وَتَغْشى وُجُوهَهُم النَّارُ ﴾ [ابراهيم : ٤٩ - ٥٠] .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ قَطِرَانٍ ﴾ قال : هو النحاس المذاب .

وروى حصين عن عكرمة في قوله : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِن قَطِرَانٍ ﴾ من صفر يحمى عليها .

قال معمر عن قتادة في قوله : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِنْ قَطِرانٍ ﴾ قال : من النحاس .

قال معمر : وقال الحسن : قطران الإبل .

وفي « صحيح مسلم »[97] عن أبي مالك الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا

(١) ﴿ سرابيلهم ﴾ : أي قمصانهم ، أو ثيابهم . ﴿ تغش ﴾ : تغطيها وتجللها .

٩٧) رقم (٩٣٤) في الجنائز : باب التشديد في النياحة ؛ وأحمد في « المسند » ٣٤٢/٥ و٣٤٣ و ٣٤٤ .

سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » وخرجه ابن ماجه ولفظه « النِّيَاحَةُ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ ، وَإِنَّ النَّائِحَةَ إِذَا مَاتَتْ وَلَمْ تَتُبْ قَطَعَ اللهُ لَهَا ثِيَاباً مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعاً مِنْ لَهَبِ النَّارِ » .

وخرج ابن ماجه[98] أيضاً من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « النَائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ فَإِنَّهَا تُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سَرَابِيلُ مِنْ قَطِرَانٍ يُغْلَى عَلَيْهَا بِدُرُوعٍ مِن لَهَبِ النَّارِ » .

فصـــل

[في تفسير قوله تعالى :

﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾]

قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِم غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف : ٤١] .

قال محمد بن كعب والضحاك والسدي وغيرهم : المهاد : الفراش ، والغواش : اللحف .

وقال الحسن في قوله : ﴿ وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ للكَافرينَ حَصيراً ﴾ [الاسراء : ٨] قال : فراشاً ومهاداً .

وقال قتادة : محبساً حصروا فيها .

٩٨) رقم (١٥٨٢) في الجنائز : باب النهي عن النياحة ، قال البوصيري في « الزوائد » : في اسناده عمر ابن راشد ، قال فيه الإمام أحمد : حديثه ضعيف ليس بمستقيم ، وقال ابن معين : ضعيف . وقال البخاري : حديثه عن يحيى بن أبي كثير مضطرب ليس بالقائم ، وقال ابن حبان : يصنع الحديث لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه ، وقال الدارقطني في «العلل » : متروك . قول : ولكن يشهد له الحديث السابق .

وروى مسكين عن حوشب عن الحسن أنه كان إذا ذكر أهل النار قال في وصفهم : قد حذيت لهم نعال من نار وسرابيل من قطران ، وطعامهم من نار وشرابهم من نار وفرش من نار ولحف من نار ومساكن من نار ، في شر دار وأسوء عذاب في الأجساد أكلاً أكلاً ، وصهراً صهراً ، وحطماً حطماً .

وروى داود بن المحبر عن الحسن بن واصل ، وعبد الواحد بن زيد عن الحسن ، قال : إن رجلاً من صدر هذه الأمة كان إذا دخل المقابر نادى : يا أهل القبور بعد الرفاهية والنعيم معالجة الاغلال في النار ، وبعد القطن والكتان لباس القطران ومقطعات النيران ، وبعد تلطف الخدم والحشم ، ومعانقة الأزواج ، مقارنة الشيطان في نار جهنم مقرنين في الأصفاد .

وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن وهب بن منبه ، قال : أما أهل النار الذين هم أهلها فهم في النار لا يهدؤ ون ولا ينامون ولا يموتون ، ويمشون على النار ، ويجلسون على النار ، ويشربون من صديد أهل النار ، ويأكلون من زقوم النار ، فرشهم نار ولحفهم نار وقمصهم نار وقطران ، وتغشى وجوههم النار ، وجميع أهل النار في سلاسل بأيدي الخزنة أطرافها يجذبونهم مقبلين ومدبرين ، فيسيل صديديهم الى حفر في النار ، فذلك شرابهم ، قال : ثم بكى وهب حتى سقط مغشياً عليه ؛ وغلب بكر بن خنيس عند روايته هذا الحديث البكاء حتى قام فلم يقدر أن يتكلم ، وبكى محمد بن جعفر بكاء شديداً .

وباسناده عن هداب ، قال أقبلت أم يحيى بن زكريا على يحيى في ثوب تعالجه له ليلبسه ، فقال لها : أفعل ، فقالت : من أي شيء ؟ قال : من شعر ، قالت : يا بني إذاً يأكل لحمك ، قال ، يا أمه! إذا ذكرت مقطعات أهل النار لان علي جلدي .

وكان عطاء الخراساني ينادي أصحابه في السفر : يا فلان ويا فلان !

قيام هذا الليلِ وصيام هذا النهار أيسر من شراب الصديد ومقطعات الحديد ألوَحَاثم ألوَحَاثم ألوَحَا[1] ثم يقبل على صلاته .

ولما ماتت النوار امرأة الفرزدق ودفنت وقف الفرزدق على قبرها وأنشد بحضور الحسن رحمه الله هذه الأبيات قال [1] .

أَخَــافُ وراء الْقَبْــرِ إنْ لَــم يُعــافِنِي ... أَشَــدَّ مِنَ الْقَبْــرِ الْتِهَــابَــاً وَأَضْيَقَــا

إذَا جَــاءَنِي يَــوْمَ القيــامــةِ قَــائِــدٌ ... عَنِيفٌ وَسَــوَّاقٌ يَسُــوقُ الْـفَــرَزْدَقَــا

لَقَــدْ خَــابَ مِنْ أولادِ آدم مَنْ مَشَى ... إلى النَّــارِ مَـغْلُولَ الْـقِــلاَدَةِ أَزْرَقَــا

يُسَــاقُ إلىٰ الْـجَحِيمِ مُـسَــرْبَــلاً ... سَــرَابِيـلَ قَــطْرَانٍ لِبَاسَــاً مُحَــرَّقَــاً

إذا شَــرِبُــوا فِيهــا الصَّــدِيــدَ رَأَيْتَهُمْ ... يَـذُوبُـونَ مِنْ حَرِّ الصَّـدِيـدِ تَمزُّقَــا

فبكى الحسن رحمة الله عليه .

* * *

---

(١) أي النجاة .

(٢) ديوان الفرزدق ص (٥٧٨) ط الصاوي .

قال المنبجي في « تسلية أهل المصائب » ص ٣١٩ ط دار البيان بدمشق : عن عبيد بن عياش : لما ماتت النوار امرأة الفرزدق ، شهدها الحسن البصري ، فلما سوى عليها التراب : وثب الفرزدق لينصرف ، فقال للحسن : يا أبا سعيد أما تسمع ما يقول الناس ؟ قال : وما يقول الناس ؟ قال : يقولون اجتمع في هذه الجنازة خير الناس ، وشر الناس ، يعنونك ويعنوني ، فقال الحسن : ما أنا بخيرهم وما أنت بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : يا أبا سعيد شهادة أن لا إله إلاّ الله فبكى الحسن ثم التزم الفرزدق فقال : لقد كنت من أبغض الناس إلي وإنك اليوم من أحب الناس الي .

البَابُ العِشْرُون

في ذكر عظم خلق أهل النار فيها وقبح صورهم وهيآتهم

خرج البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَا بَيْنَ مِنْكَبَيِ الكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ السَّرِيعِ » وخرجه مسلم ولفظه عن أبي هريرة يرفعه قال : « مَا بَيْنَ مِنْكَبَيِ الكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ »[٩٩] .

وخرج مسلم[١٠٠] أيضاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ضِرْسُ الكَافِرِ - أَوْ نَابُ الكَافِرِ - مِثْلُ أُحُدٍ ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ » .

وخرج الحاكم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ضِرْسُ الكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً ، وَعَضُدُهُ

---

٩٩) البخاري رقم (٦٥٥١) في الرقاق : صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢٥٨٢) في صفة الجنة : باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

١٠٠) رقم (٢٨٥١) في صفة الجنة : باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، والترمذي رقم (٢٥٨٠) و (٢٥٨١) و (٢٥٨٢) في صفة جهنم : باب ما جاء في عظم أهل النار .

مِثْلُ البَيْضَاءِ ، وَفَخْذُهُ مِثْلُ وَرْقَانَ(١) ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مِثْلُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبَذَةِ »(٢) خرجه الإمام أحمد ولم يذكر فيه عضده ، وخرجه الحاكم موقوفاً على أبي هريرة وزاد فيه قال أبو هريرة : وَكَانَ يَقُولُ بَطْنُهُ مِثْلُ بَطْنِ إِضَمٍ[١٠١] .

وخرج الامام أحمد[١٠٢] عن أبي هريرة أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ضِرْسُ الكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَفَخْذُهُ مِثْلُ البَيْضَاءِ ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ كَمَا بَيْنَ قُدَيدٍ(٣) وَمَكَّةَ ، وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ الجَبَّارِ » .

وخرج الترمذي[١٠٣] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ضِرْسُ الكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَفَخْذُهُ مِثْلُ البَيْضَاءِ ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِثْلُ الرَّبَذَةِ » وقال قوله : مثل الربذة يعني كما بين المدينة والربذة ، والبيضاء جبل .

وخرج[١٠٤] أيضاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « غِلَظُ جِلْدِ الكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعاً ، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَإِنَّ

---

(١) « البيضاء » : موضع بقرب حِمَى الربذة . و « ورقان » : جبل اسود بين العرج والروثية ، على يمين المار من المدينة إلى مكة .

(٢) « الربذة » : قرية من قرى المدينة المنورة على ثلاثة أيام ، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة ، وبها قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

(٣) « قديد » : موضع بين مكة والمدينة .

---

١٠١) الحكم ٤ / ٥٩٥ قال الهيثمي في «المجمع» ١٠ / ٣٩١ : قلت : رواه الترمذي غير أنه قال : « وغلظ جلده أربعون ذراعاً » وهنا « سبعون » ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ربعي بن ابراهيم وهو ثقة . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٧٨٥) : صحيح . قوله : (إضم) واد بجبال تهامة ، ولعله موضع ماء « معجم البلدان ١ / ٢١٤» .

١٠٢) رواه أحمد في « المسند » ٢ / ٣٣٤ و٥٣٧ والحاكم ٤ / ٥٩٥ وهو حديث صحيح .

١٠٣) رقم (٢٥٨١) في صفة جهنم : باب ما جاء في عظم أهل النار والحاكم ٤ /٥٩٥ ـ ٥٩٦ وهو حديث صحيح .

١٠٤) رقم (٢٥٨٠) في صفة جهنم : باب ما جاء في عظم أهل النار والحاكم ٤ /٥٩٥ ـ ٥٩٦ وهو حديث صحيح .

مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ » .

وخرج الامام أحمد[105] من حديث ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ حَتَّىٰ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمَائَةِ عَامٍ ، وَإِنَّ غِلَظَ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً ، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ » .

وخرج الامام أحمد والحاكم[106] من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إِنَّ مَقْعَدَ الكَافِرِ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَكُلُّ ضِرْسٍ مِثْلَ أُحُدٍ ، وَفَخِذُهُ وَرْقَانَ ، وَجِلْدُهُ سِوَىٰ لَحْمِهِ وَعِظَامِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً » .

وخرج ابن ماجه[107] عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ الكَافِرَ لَيَعْظُمُ حَتَّىٰ إِنَّ ضِرْسَهُ لَأَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ ، وَفَضِيلَةُ جَسَدِهِ عَلَىٰ ضِرْسِهِ كَفَضِيلَةِ جَسَدِ أَحَدِكُمْ عَلَىٰ ضِرْسِهِ » .

وخرج البزار[108] من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ضِرْسُ الكَافِرِ مِثْلَ أُحُدٍ ، وغِلَظُ جِلْدِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ الجَبَّار » .

وخرج الطبراني[109] وغيره من حديث المقدام بن معد يكرب عن النبي

---

١٠٥ رواه أحمد في « المسند» ٢/ ٢٦ ، وذكره الهيثمي في « المجمع » ونسبه لأحمد والطبراني في « الكبير » ، وفي سنده أبو يحيى القتات ، وهو لين الحديث ، كما قال الحافظ في « التقريب » .

١٠٦) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ٢٩ ، والحاكم ٤/ ٥٩٨ وأبو يعلى كلهم من رواية ابن لهيعة ، وهو ضعيف ورواية دراج أبي السمح عن أبي الهيثم ضعيفة .

١٠٧) رقم (٤٣٢٢) في الزهد : باب . صفة النار ، قال البوصيري في « الزوائد » : عطية العوفي والراوي عنه ضعيفان . **وقد روى مسلم في « صحيحه » والترمذي ، بعضه من حديث أبي هريرة أقول : لكن له شاهد يقوى به . انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (١٦٠١) . قوله : « فضيلة » أي الزيادة .**

١٠٨) قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/ ٣٩٢ : رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف ، وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات . **قال الألباني في «صحيح الجامع » رقم (٣٧٨٣) : صحيح .**

١٠٩)

صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَعْظُمُ الكَافِرُ لِلنَّارِ حَتَّىٰ يَصِيرُ غِلَظَ جِلْدِهِ أَرْبعُينَ بَاعاً ، وَحَتَّىٰ يَصِير النَّابُ مِنْهُ مِثْلَ أُحُدٍ » .

وخرج الطبراني أيضاً عن المقدام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عُظِمُوا وَفُخِّمُوا كَالجِبَالِ » .

وقال زيد بن أرقم : إنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَيَعْظُمُ لِلْنَّارِ حَتَّىٰ يَكُونَ الضِرْسَ مِنْ أَضْرَاسِهِ كَأُحُدٍ . خرجه الإمام أحمد موقوفاً [١١٠] .

وعن ابن عباس ، قال : إنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ ـ يعني أهل النار ـ وَبَيْنَ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفاً ، وَأَوْدَيَةٌ قيحٍ وَدَمٍ ، قيل له : أنهار ؟ قال : بَلْ أَوْدِيَةٌ . خرجه الإمام أحمد ، وقد سبق بتمامه .

وعن عمرو بن ميمون قال : إنه ليسمع بين جلد الكافر ولحمه جلبة الدود كجلبة الوحش .

وخرج الامام أحمد والترمذي من حديث ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ الكَافِرَ يَجُرُّ لِسَانَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ وَرَائِهِ تَدْرَ فَرْسَخَيْنِ يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ » [١١١] .

وقد ورد نحو ذلك في حق عصاة الموحدين أيضاً ، فخرج الامام أحمد وابن ماجه والحاكم من حديث الحارث بن قيس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّىٰ كُونَ أَحَدُ زَوَايَاهَا » [١١٢] .

---

١١٠) رواه أحمد في « المسند» ٤ / ٣٦٧ قال الهيثمي في « المجمع » ١٠ / ٣٩٢ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عنبسة بن سعيد وهو ثقة . قال الألباني في « الاحاديث الصحيحة » رقم (١٦٠١) : صحيح .

١١١) رواه أحمد في « المسند » ٢ /٩٢ والترمذي رقم (٢٥٨٣) في صفة جهنم : باب ما جاء في عظم أهل النار ، وفي سنده أبو المخارق مغراء العبدي وهو مجهول .

١١٢) رواه أحمد في « المسند » ٤ /٢١٢ و ٣١٣ ، وابن ماجه رقم (٤٣٢٣) في الزهد : باب صفة النار ، والحاكم ١ / ٧١ قال البوصيري في « الزوائد » : في إسناده عبد الله بن أقيش النخعي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : أحسبه الذي روى عنها بو اسحاق عن ابن عباس ، وقال : لم يرو عنه غير داود بن هند ، وليس إسناده بالصافي .

وخرج الطبراني[113] من حديث أبي غنم الكلاعي عن أبي غسان الضبي ، قال : قال لي أبو هريرة ـ بظهر الحيرة تعرف عبد الله بن خداش ـ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « فَخِذُهُ في جَهَنَّمَ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَضِرْسُهُ مِثْلُ البَيْضَاءِ ، قُلْتُ : لِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله ؟ ! قَالَ : كَانَ عَاقّاً بِوَالِدَيْهِ » .

وروى أغلب بن تميم وفيه ضعف عن ثابت عن أنس مرفوعاً « يُجَاءُ بالأَمِيرِ الجَائِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَتُخَاصِمُهُ الرَّعِيَّةُ ، فَيُفْلِجُوا[1] عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : سِدَّ عَنَّا رِكْناً مِنْ أَرْكَانِ جَهَنَّمَ » .

وخرج الخلال في « كتاب السنة » من حديث الحكم بن الأعرج عن أبي هريرة ، قال : يُعَظَّمُ الرَّجُلُ فِي النَّارِ حَتَّىٰ يَكُونَ مَسِيرَةَ سَبْعِ لَيَالٍ وَضِرْسُهُ مِثْلَ أُحُدٍ ، شِفَاهُهُمْ عَلَىٰ صُدُورِهِم مَقْبُوحِينَ ، يَتهافَتُونَ فِي النَّارِ .

وروى مسكين عن حوشب عن الحسن أنه ذكر أهل النار ، فقال : قد عظموا لجهنم مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن للراكب المسرع ، وإن ناب أحدهم مثل النخل الطوال ، وإن دبره لمثل الشعب ، مغلولة أيديهم الى أعناقهم ، قد جمع بين نواصيهم وأقدامهم ، والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم يسوقونهم الى جهنم ، فيقول الرجل منهم للملك : ارحمني ، فيقول : كيف أرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين .

---

(١) « فيفلجوا عليه » : أي فيغلبوه .

---

١١٣) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد» ١٤٨/٨ : رواه الطبراني في « الأوسط» وأبو غسان وأبو غنم الراوي عنه لم أعرفهما ، وبقية رجاله ثقات .

فصل

[في تفسير قوله تعالى :

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾]

قال الله تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُم فِيهَا كَالِحونُ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] .

روى دراج عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ﴿ وَهُم فيهَا كَالحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] قال : « تَشْوِيهِ النَّارُ فَتَقْلِصُ شَفَتَهُ العُلْيا حَتَّىٰ تَبْلُغَ وَسطَ رَأْسِهِ وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفلىٰ حَتَّىٰ تَضْربَ سُرَتَهُ » خرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وقالا : صحيح [١١٤]

وعن ابن مسعود أنه قال في قوله : ﴿ وَهُم فِيهَا كَالِحون ﴾ قال : ككلوح الرأس النضيج ، وعنه ككلوح الرأس المشيط بالنار قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم ، وعنه قال : ألم تر الى الرأس المشيط بالنار وقد تقلصت شفتاه وبدت أسنانه .

وخرج الخلال في « كتاب السنة » من حديث الحكم بن الأعرج عن أبي هريرة قال : يَعْظُمُ الرَّجُلَ فِي النَّارِ حَتَّىٰ يَكُونَ مَسِيرَةَ سَبْعِ لَيَالٍ ، ضِرْسُهُ مِثْلَ أُحُدٍ ، شِفَاهُهُمْ عَلَىٰ صُدُورِهِمْ مَقْبُوحِينَ ، يَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ .

قال أبو بكر بن عياش عن محمد بن سويد : كان لطاووس طريقان إذا رجع من المسجد احدهما فيه رواس ، وكان يرجع اذا صلى المغرب ، فاذا أخذ الطريق الذي فيه الرواس لم يستطع أن يتعشى ، فقيل له : فقال : إذا

---

١١٤) رواه الترمذي رقم (٣١٧٥) في التفسير : باب ومن سورة المؤمنين ، وقال : حيث حسن غريب ، وأخرجه أحمد في « المسند » ٨٨/٣ ، والحاكم ٣٩٥/٢ وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

أقول : وفي سنده دراج أبو السمح وهو وإن كان صدوقاً إلا أنه في روايته عن أبي الهيثم ضعيف ، وهذا منها ، وقد أورده السيوطي في « الدر المنثور » ١٦/٥ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة النار ، وأبي يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وأبي نعيم في « الحلية » .

رأيت الرؤوس كالحة لم أستطع آكل ، قال أبو بكر فذكرته لسريع المكي ، فقال : قد رأيته يقف عليها .

وقال أبو غندر الدمشقي : كان أويس إذا نظر الى الرؤوس المشوية يذكر هذه الآية ﴿ تَلْفَحُ وَجوهُهُم النَّارُ وَهُم فِيها كَالِحُون ﴾ فيقع مغشياً عليه حتى يظن الناظرون اليه أنه مجنون . خرجهما ابن أبي الدنيا وغيره .

وقال الأصمعي : حدّثنا الصقر بن حبيب قال : مر ابن سيرين برواس قد أخرج رأساً فغشي عليه .

فصل

[في تفسير قوله تعالى

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَها ﴾]

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِم نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقوا العذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] .

روى نافع مولى يوسف السلمي عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قرأ رجل عند عمر هذه الآية ﴿ كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرها ﴾ فقال عمر : أعد عليَّ فأعادها عليه ، فقال معاذ بن جبل : عندي تفسيرها تبدل في الساعة الواحدة مائة مرة ، فقال عمر : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . خرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه .

وخرجه ابن مردويه أيضاً من طريق نافع أبي هرمز أنبأنا نافع ، عن ابن عمر ، قال : تلا رجل عند عمر هذه الآية ﴿ كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا العَذَابَ ﴾ فقال عمر : أعده عليَّ ، وثم كعب فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا عندي تفسير هذه الآية قرأتها قبل الإسلام ، قال : فقال :

هاتها يا كعب ، فان جئت بها كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم صدقناك ، وإلا لم ننظر إليها ، قال : إني قرأتها قبل الإسلام ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتِ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَها ﴾ في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرة ، فقال عمر : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . نافع أبو هرمز ضعيف جداً ، وهو نافع مولى يوسف السلمي أيضاً عند طائفة من الحفاظ منهم ابن عدي ، ومنهم من قال : هما اثنان وكلاهما ضعيف .

وروى الربيع بن برة عن الفضل الرقاشي أن عمر سأل كعباً عن هذه الآية فقال : إن جلده يحرق ويجدد في ساعة أو في مقدار ساعة مائة ألف مرة ، قال عمر : صدقت ، وهذا منقطع .

وروى ثوير بن أبي فاختة ـ وهو ضعيف ـ عن ابن عمر أنه قال في هذه الآية : إذا أحرقت جلودهم بدلوا جلوداً بيضاء أمثال القراطيس . خرجه ابن أبي حاتم .

وخرج أيضاً باسناده عن يحيى بن يزيد الحضرمي أنه بلغه في هذه الآية قال : يجعل الله للكافر مائة جلد بين كل جلدين لون من العذاب .

وعن هشام عن الحسن في هذه الآية قال : تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم : عودوا ، فيعودون كما كانوا .

وعن الربيع بن أنس قال : مكتوب في الكتاب الأول أن جلد أحدهم أربعون ذراعاً ، وسنه تسعون ذراعاً ، وبطنه لو وضع فيه جبل لوسعه ، فإذا أكلت النار جلودهم بدلوا جلوداً غيرها .

فصل

[في تسويد وجوههم ومد جسومهم]

خرج الترمذي [115] من حديث السدي عن أبيه عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِم ﴾ [الاسراء : ٧١] قال : « يُدْعَىٰ أَحَدُهُمْ فَيُعْطَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعاً ، وَيَبْيَضُّ وَجْهُهُ ، وَيُجْعَلُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ نُورٍ يَتَلأْلأُ ، فَيَنْطَلِقُ إِلَىٰ أَصْحابِهِ فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعِيدٍ ، فَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ آتِنَا بِهَذَا وَبَارِكْ لَنَا فِي هَذَا ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ فَيَقُولُ لَهُمْ : أَبْشِرُوا لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلُ هَذَا ، قَالَ : وَأَمَّا الكَافِرُ فَيَسْوَدُّ وَجْهُهُ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي صُورَةِ آدَمَ ، وَيُلْبَسُ تَاجاً مِنْ نَارٍ فَيَراهُ أَصْحَابُهُ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذا ، اللَّهُمَّ لَا تَأْتِنَا بِهَذَا ، فَيَأْتِيهِم فَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ أَخِّرْهُ عَنَّا ، فَيَقُولُ : أَبْعَدَكُمْ اللهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا » وقال : حسن غريب .

وروى عطاء بن يسار عن كعب قال : يؤتى بالرئيس في الشر فيقال له : أجب ربك ، فينطلق به الى ربه ، فيحتجب عنه ويؤمر به الى النار ، فيرى منزله ومنزل أصحابه ، فيقال ، هذه منزلة فلان ، هذه منزلة فلان ، فيرى ما أعد الله لهم فيها من الهوان ، ويرى منزلته أشر من منازلهم ، قال : فيسود وجهه وتزرق عيناه ويوضع على رأسه قلنسوة من نار ، فيخرج فلا يراه أهل ملإٍ إلا تعوذوا بالله منه ، فيأتي أصحابه الذين كانوا يجتمعون به على الشر ويعينونه عليه ، فما يزال يخبرهم بما أعد الله لهم في النار حتى يعلو وجوههم من السواد مثل ما علا وجهه ، فيعرفهم الناس بسواد وجوههم ، فيقولون : هؤلاء

---

١١٥) رقم (٣١٣٥) في التفسير : باب ومن سورة بني إسرائيل ، وفي سنده عبد الرحمن بن أبي كريمة والد السدي الكبير ، وهو مجهول الحال لم يوثقه غير ابن حبان ، ومع ذلك فقد حسن الترمذي حديثه هذا . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٦٤٤١) : ضعيف .

أهل النار . خرجه أبو نعيم وغيره ، وهذا إنما هو قبل دخولهم إلى النار ، فإذا دخلوا النار عظم خلقهم على ما تقدم في الأحاديث السابقة .

وأما سنهم فعلى سن أهل الجنة لا يزادون عليه ، وروى دراج عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُرَدُّونَ بَنِي ثَلَاثِين في الجَنَّةِ لَا يَزِيدُونَ عَلَيْها أَبَداً ، وكَذٰلك أَهْلُ النَّارِ » خرجه الترمذي ، وفي رواية غير الترمذي « بني ثلاث وثلاثين » [116] .

وخرج الطبراني[117] من طريق سليم بن عامر عن المقدام بن معد يكرب ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ سَقْطاً (١) أَوْ هَرَماً وإنَّما النَّاسُ بَيْنَ ذَلِكَ ، إلاَّ بُعِثَ ابنَ ثَلاَثِينَ سَنةٍ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ كَانَ عَلَىٰ مَسْحَةِ آدَمَ وَصُورَةِ يُوسُفَ وَقَلْبِ أَيُوبَ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عُظِّمُوا وَفُخِّموا كَالجِبالِ » ورواه غير الطبراني وقال : « أَبْناء ثَلَاث وَثَلاثِينَ سَنةٍ » .

فصل

[ذو الوجهين في الدنيا له وجهان من نار]

وقد ورد أن بعضهم له لسانان من نار ووجهان من نار ، ففي « سنن

---

(١) « السقط » ـ الكسر والفتح والضم ، والكسر أكثرها ـ : الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه .

---

١١٦) رواه الترمذي رقم (٢٥٦٥) في صفة الجنة : باب ما جاء لأدنى أهل الجنة من الكرامة وإسناده ضعيف ولكن جملة « يردون بني ثلاثين في الجنة » لها شواهد .

١١٧) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/ ٣٣٤ : رواه الطبراني باسنادين ، وأحدهما حسن .

أبي داود »[118] عن عمار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ » ويروى نحوه من حديث أنس وأبي هريرة أيضاً .

وخرج الطبراني [119] من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ذُو الوَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا يَأْتِي يومَ القِيَامَةِ وَلهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ » .

فصل

[فيمن تمسخ صورهم الى صورة قبيحة]

ومنهم من تمسخ صورته على صورة قبيحة .

وفي« الصحيح »[120] أَنَّ إِبْرَاهيم عليه السلام إذَا شَفِعَ فِي أَبِيهِ ، قِيلَ لَهُ : يا ابْرَاهِيمُ ! انْظُرْ مَا وَرَاءكَ ، فَإذا هُوَ بِذيخٍ مُلَطَّخٍ ، فَيُؤْخَذُ بِقَوائِمِهِ وَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ » . والذيخ : الضبع الذكر .

وقال أبو العالية في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافلينَ ﴾ [التين : ٥] قال : في النار في صورة خنزير ، خرجه ابن أبي حاتم .

قال ابن مسعود : إذا أراد الله تعالى أن لا يخرج منها أحداً غير صورهم وألوانهم فلا يعرف منهم أحد . وسنذكر كلامه بتمامه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

---

١١٨) رقم (٤٨٧٣) في الأدب : باب في ذي الوجهين ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٨٩٢) .

١١٩) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥٩/٨ : رواه الطبراني في « الأوسط» من حديث سعد بن أبي وقاص ، وفيه خالد بن يزيد العمري ، وهو كاذب .

١٢٠) البخاري رقم (٣٣٥٠) في الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلاً ﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هذا الحديث إشكالات أوردها الحافظ في « الفتح » رقم (٤٧٦٨ - ٤٧٦٩) في تفسير سورة الشعراء : باب ﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴾ .

فصل

[في نتن ريح أهل النار]

قال الأوزاعي في موعظته للمنصور : بلغني أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : لَوْ أَنَّ رَجُلاً أُدْخِلَ النَّارَ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا لَمَاتَ أَهْلُ الأَرْضِ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِ وَتَشْوِيهِ خَلْقِهِ .

وقد رواه أيضاً بكر بن خنيس عن عبد الملك الجسري ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسلاً .

وروى ابن لهيعة ، عن أبي قبيل ، عن عبد الله بن عمرو ، وقال : لَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ النَّارِ أُخْرِجَ إِلىٰ الدُّنْيَا لَمَاتَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ وَحْشَةِ مَنْظَرِهِ وَنَتْنَ رِيحِهِ ، قال : ثم بكى عبد الله بكاء شديداً ، خرجه ابن أبي الدنيا .

وخرج أيضاً من طريق النضر بن اسماعيل قال : مَرّ الربيع بن أبي راشد برجل به زمانة [1] فجلس يحمد الله ويبكي ، فمر به رجل ، فقال : ما يبكيك رحمك الله ؟، قال : ذكرت أهل الجنة وأهل النار ، فشبهت أهل الجنة بأهل العافية ، وأهل البلاء بأهل النار ، فذلك الذي أبكاني .

***

(١) « زمانة » : عاهة ، والجمع زَمْنَىٰ لأنه جنس للبلايا التي يصابون بها ، ويدخلون فيها وهم لها كارِهوْن .

الباب الحادي والعشرون

في ذكر أنواع عذاب أهل النار، وتفاوتهم في العذاب بحسب أعمالهم

خرج مسلم [121] من حديث سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « مِنهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إلىٰ كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إلىٰ رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إلىٰ حُجْزَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إلىٰ تَرْقُوتِهِ (١) » .

وخرج الإمام أحمد [122] من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذاباً رَجُلٌ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْن مِنْ نَارٍ يَغْلي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ مَعَ إجزاءِ العَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي النَّارِ إلىٰ رُكْبَتَيْهِ مَعَ إجْزَاءِ العَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ فِي النَّارِ إلى أَرْنَبَتِهِ (٢) مَعَ إجْزَاءِ العَذَابِ ، وَمِنْهُم مَنْ فِي النَّارِ إلىٰ صَدْرِهِ مَعَ إجْزَاءِ العَذَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدِ اغْتَمَرَ » .

---

(١) « حجزته » : هي معقد ازار والسراويل ، أي إلى وسطه . « ترقوته » : هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق .

(٢) « أرنبته » : أي طرف أنفه .

---

١٢١) رقم (٢٨٤٥) في صفة الجنة : باب في شدة حر نار جهنم .

١٢٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/٧٨ ، واسناده صحيح .

وفي « الصحيحين »[123] من حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذاباً رَجُلٌ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَما يَغْلِي المِرْجَلُ بِالقُمْقُمِ » ولفظ مسلم « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّار عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلاَنِ وَشراكَانَ مِنْ نارٍ يَغْلي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، كَمَا يَغْلي المِرْجَلُ مَا يُرىٰ أَنَّ أَحداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذاباً وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً » .

ولمسلم[124] من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه واله وسلم : « إِنَّ أَدْنىٰ أَهْلِ النَّارِ عَذاباً يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دمَاغُهُ مِنْ حَرِّ نَعْلَيْه » .

وفي « الصحيحين »[125] عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ (١) مِنْ نَارٍ ، تَبْلُغُ كَعْبَيْهِ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغَهُ » .

وفيهما[126] أيضاً عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله ! هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْلاَ ذَلْكَ ، كَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » .

---

(١) « ضحضاح » : الضحضاح في الأصل : ما رقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار . وقد تقدم .

---

١٢٣) رقم (٦٥٦٦) في الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢١٣) في الايمان : باب أهون أهل النار عذاباً ، والترمذي رقم (٢٦٠٧) في صفة جهنم : باب رقم (١٢) .

١٢٤) رقم (٢١١) في الإيمان : باب أهون أهل النار عذاباً .

١٢٥) رواه البخاري رقم (٣٨٨٥) في مناقب الأنصار : باب قصة أبي طالب ، ورقم (٦٥٦٤) في الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢١٠) في الإيمان : باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه .

١٢٦) رواه البخاري رقم (٣٨٨٣) في مناقب الأنصار : باب قصة أبي طالب ، وفي الأدب : باب كنية المشرك ، وفي الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢٠٩) (٣٥٧) و (٣٥٨) و (٣٥٩) في الإيمان : باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسبه .

وفي رواية لمسلم قال : « قال : وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ ، فَأَخْرَجْتُهُ إلىٰ ضحضاحٍ » .

ولمسلم[127] أيضاً من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أنَّ أَهْوَنَ أَهْلَ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ ، وَهُو مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » .

وروى الحكم بن ظهير وهو ضعيف عن السدي عن مرة ، عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إنَّ أَشَدَّ[أهل النار](1) عَذَاباً رَجُلٌ يُرْمَىٰ بِهِ فِيهَا ، فَيَهْوي فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفاً ، وَإنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً رَجُلٌ ، فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَغْلِي مِنْهُ دِماغُهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ مَنْخرِهِ » .

وروى مسكين أبو فاطمة عن اليمان بن يزيد عن محمد بن حمير ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر أهل الكبائر من الموحدين فقال : « مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إلىٰ رِكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إلىٰ حجْزَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ النَّارُ الىٰ عُنُقِهِ عَلَىٰ قَدَرِ ذُنُوبِهِمَ وَأَعْمالِهِمْ » وذكر الحديث ، وهو منكر ، قاله الدارقطني وغيره .

وقال عبيد بن عمير قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً لَرَجُلٌ عَلَيْهِ نَعْلاَنِ مِنْ نَارٍ يَغْلي مِنْهُمَا دِماغُهُ كَأَنَهُ مِرْجَلٌ ، مَسَامِعَهُ جَمْرٌ ، وَأَضراسُهُ جَمْرٌ ، وَشِفاهُهُ لَهَبُ النَّارِ ، وَتَخْرُجُ احْشاءُ جَنْبَيْهِ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وَسَائِرَهُمْ كالحَبِّ القَلِيلِ فِي المَاءِ الكَثِير ، فَهُوَ يَفُورُ » خرجه هناد بن السري في « كتاب الزهد » بإسناد صحيح إلى عبيد وهو مرسل ، وقد روي عن عبيد موقوفاً غير مرفوع .

---

(1) في الأصل الناس .

---

127) رقم (213) في الإيمان : باب أهون أهل النار عذاباً .

وروي أيضاً بإسناده عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ فاطَّلَعَ فَرَآه فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٥٥] قال عبد الله : اطلع ثم اطلع إلى أصحابه ، فقال : لقد رأيت جماجم القوم تغلي .

وبإسناده عن مجاهد في قوله : ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ ﴾ [الملك : ٧] قال : تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير .

وعن سفيان الثوري قال في هذه الآية : تغلي بهم كالحب القليل في الماء الكثير .

وفي « مصنف عبد الرزاق »[١٢٨] عن معمر عن إسماعيل بن أبي سعيد أن عكرمة مولى ابن عباس أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً لَرَجُلٌ يَطَأُ جَمْرَةً يَغْلي مِنْهَا دِمَاغُهُ » فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وما كان جرمه يا رسول الله ؟ قال : « كانَتْ لَهُ مَاشِيَةٌ يَغْشَىٰ بِهَا الزَّرْعَ وَيُؤْذِيهُ » .

وفي « صحيح مسلم »[١٢٩] عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يُؤْتىٰ بِأَنْعم أَهْلِ الدُّنْيا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فيُصْبَغُ في النَّار صِبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قطُّ ؟ فيقُولُ : لا والله يَا رَبِّ » .

وأعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ ممَّا عَملُوا ﴾ [الأنعام : ١٣٢] . وقال تعالى : ﴿جَزَاءً وِفَاقاً ﴾ [النبأ : ٢٦] قال ابن عباس : وافق

١٢٨) رقم (١٨٤٤٧) ، واسماعيل بن أبي سعيد هو اسماعيل بن سروش ، ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً .

١٢٩) رقم (٢٨٠٧) في المنافقين : باب صبغة أنعم أهل الدنيا في النار ، صبغة أشدهم بؤساً في الجنة ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٢٠٣ و ٢٥٣ .

أعمالهم ، فليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد في الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك ، قال تعالى : ﴿ الَّذِين كَفَروا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيل الله زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانوا يُفْسِدُون ﴾ [النخل : ٨٨] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخلُوا آلَ فَرْعَوْنَ أشدَّ العَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] .

وكذلك تفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار بحسب أعمالهم ، فليس عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أصحاب الصغائر ، وقد يخفف عن بعضهم العذاب بحسنات أخر له أو بما شاء الله من الأسباب ، ولهذا يموت بعضهم في النار ، كما سيأتي ذكره فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

وأما الكفار إذا كان لهم حسنات في الدنيا من العدل والإحسان الى الخلق فهل يخفف عنهم بذلك من العذاب في النار أم لا ؟

هذا فيه قولان للسلف وغيرهم .

احدهما ـ أنه يخفف عنهم بذلك أيضاً .

وروى ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير معنى هذا القول ، واختاره ابن جرير الطبري وغيره .

وروى الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال : قالت عائشة : يا رسول الله أين عبد الله بن جدعان ؟ قال : « فِي النَّارِ » فجزعت عائشة واشتد عليها ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قال : « يا عَائِشَةُ مَا يَشْتَدُّ عَلَيْكِ مِنْ هَذا ؟» قالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله !! إنه كان يطعم الطعام ويصل الرحم ، قال : إنه يُهَوَّنُ عَلَيْهِ بِمَا قُلْتِ » خرجه الخرائطي في « كتاب مكارم الاخلاق» وهو مرسل .

وروى عامر بن مدرك الحارثي عن عتبة بن اليقظان عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا أَحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ كَافِرٍ أَوْ مُسْلِم إلاَّ أَثَابَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا أَوْ ادَّخر له في الآخِرةِ » قلنا : يا رسول الله! ما إثابة الكافر في الدنيا ؟ قالَ : « إنْ كَانَ قَدْ وَصَلَ رَحِماً أَوْ تَصَدَّق بصدَقَةٍ أَوْ عَمِلَ حَسَنَةً أَثَابَهِ اللهُ المالَ والوَلَدَ والصَّحَةَ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ » قلنا : فما إثابةُ الكافر في الآخرة؟ قال : « عَذاباً دُونَ العَذَابِ » ثم تلا : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] خرجه ابن ابي حاتم والخرائطي والبزار في « مسنده » والحاكم في «المستدرَك»[١] وقال: صحيح الاسناد، وخرجه البيهقي في «كتاب البعث والنشور » وقال : في إسناده نظر انتهى ؛ وعتبة بن يقظان تكلم فيه بعضهم .

وقد سبقت الأحاديث في تخفيف العذاب عن أبي طالب بإحسانه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وخرج الطبراني بإسناد ضعيف عن أم سلمة ان الحارث بن هشام أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم حجة الوداع ، فقال إنك تحث على صلة الرحم والاحسان وإيواء اليتيم واطعام الضعيف المسكين ، وكل هذا كان يفعله هشام ابن المغيرة فما ظنك به يا رسول الله ؟ قال : « كُلُّ قَبْرٍ لاَ يَشْهَدُ صَاحِبَهُ أَنْ لاَ إِلَه إلاَّ اللهُ فَهُوَ حفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ عَمِّي أَبَا طَالِبٍ فِي طَمْطَامٍ[٢] مِنَ النَّارِ ، فَأَخْرَجَهُ اللهُ بِمَكَانِهِ مِنيِّ وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ فَجَعَلَهُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ » .

والقول الثاني ـ أن الكافر لا ينتفع في الآخرة بشيء من الحسنات بحال.

ومن حجة أهل هذا القول قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ

---

(١) « المستدرك » ٢/٢٥٣ .

(٢) « الطمطم » : الطمطام في الأصل : معظم ماء البحر ، فاستعاره هاهنا لمعظم النار ، حيث استعار ليسيرها الضحضاح وهو الماء القليل الذي يبلغ الكعبين .

عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ [الفرقان : ٢٣] وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدُرونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ [إبراهيم : ١٨] ونحو هذه الآيات .

وفي « صحيح مسلم »[١٣٠] عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً ، يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الآخِرَةِ ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ الآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا » .

وفي رواية له أيضاً « إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَمَّا المُؤْمِنُ فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ في الآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ » .

وفيه[١٣١] أيضاً عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال : « لَا يَنْفَعُهُ ، لأَنَهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً : رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ » .

وهؤلاء جعلوا تخفيف العذاب عن أبي طالب من خصائصه بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له ، وجعلوا هذه الشفاعة من خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يشركه فيها غيره .

فصل
[من عذاب أهل النار : الصهر]

ومن أنواع عذابهم الصهر ، قال الله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَروا قُطِّعتْ

---

١٣٠) رقم (٢٨٠٨) (٥٦) و (٥٧) في صفات المنافقين : باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة .
١٣١) رقم (٢١٤) في الإيمان : باب أهون أهل النار عذاباً ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٩٣ .

لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج : ١٩ - ٢١] .

قال مجاهد ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾ يذاب به إذابة . وقال عطاء الخراساني : يذاب به ما في بطونهم ، كما يذاب الشحم .

وخرج الترمذي ١٣٢ من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إِنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الحَمِيمُ حَتَّىٰ يَخْلُصَ إِلَىٰ جَوْفِهِ ، فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّىٰ يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ » وقال : حسن غريب صحيح .

وقال الله عز وجل: ﴿ خُذُوه فَاعْتُلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٧ - ٤٩] قال كثير من السلف : نزلت هذه الآية في أبي جهل .

قال الأوزاعي : يؤخذ أبو جهل يوم القيامة فيخرق في رأسه خرق ، ثم يؤتى بسجل(١) من الحميم فيصب في ذلك الخرق ، ثم يقال له : ذق إنك أنت العزيز الكريم .

قال مجاهد في قوله : ﴿ يُرْسَل عَليكُمَا شُوَاظٌ منْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرانِ ﴾ [الرحمن : ٣٥] قال : النحاس : الصفر يذاب فيصب على رؤ وسهم يعذبون به .

وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى : ﴿ وَنُحاسٌ ﴾ قال : الصفر

---

(١) « سجل » : الدلو الملأى ماء ، ويجمع على سجال .

---

١٣٢) رقم (٢٥٨٥) في صفة جهنم : باب ما جاء في شراب أهل النار وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٧٤ ، وهو حديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٤٣٣) .

يذاب فيصب على رؤوسهم فيعذبون به .

وقد سبق في الباب الثامن عشر آثار متعددة تتعلق بهذا الفصل أيضاً .

فصـــل

[في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾]

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَة ﴾ [الهمزة : ٤ ـ ٧] .

قال محمد بن كعب القرظي في قوله : ﴿ تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ قال : تأكله النار إلى فؤاده ، فإذا بلغت فؤاده أنشىء خلقه .

عن ثابت البناني أنه قرأ هذه الآية ثم قال: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء لقد بلغ منهم العذاب : ثم يبكي .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٧ ـ ٢٩] قال صالح بن حيان عن ابن بريدة في قوله ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ قال : تأكل العظم واللحم والمخ ولا تذره على ذلك .

وقال السدي : لا تبقي من جلودهم شيئاً ولا تذرهم من العذاب .

وقال أبو سنان : لا تذرهم إذا بدلوا خلقاً جديداً .

وقال أبو رزين في قوله : ﴿ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ قال : تلفح وجهه لفحة تدعه أشد سواداً من الليل .

قال قتادة ﴿ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ . حراقة للجلد ؛ خرجه كله ابن حاتم وغيره .

وقال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّها لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ [المعارج : ١٥ - ١٦] قال : تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده يصيح .

وعن ابن زيد قال : تقطع عظامهم ثم يجدد خلقهم وتبدل جلودهم .

وروى ابن مهاجر عن مجاهد في قوله : ﴿ نَزَّاعَةً لِلْشَّوَى ﴾ تنزع الجلد ، وعنه قال : تنزع اللحم ما دون العظم .

فصل

[ومن عذاب أهل النار : سحبهم على وجوههم]

ومن أنواع عذابهم سحبهم في النار على وجوههم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِم ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر : ٤٧ - ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَعلَمُونَ * إِذْ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبونَ * فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ[1] ﴾[غافر : ٧٠ - ٧٢] قال قتادة : يسحبون في النار مرة وفي الحميم مرة .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهم فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا الله وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ ﴾[الأحزاب : ٦٦] .

وقال قتادة : قال ابن عباس ﴿ صُعُوداً ﴾ : صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه .

وقال كعب : يقول الله عز وجل للإمام الجائر ﴿ خُذُوهُ فَغلُّوهُ * ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠ - ٣١] فيسحب على وجهه في النار ، فينتثر لحمه وعظامه ومخه .

---

(١) « يسجرون » : توقد أو تملأ بهم .

وقال ثابت أبو زيد القيسي عن عاصم الأحول عن أبي منصور مولى سليم أن ابن عباس، قال﴿يُسْحَبُونَ * فِي الحَمِيمِ﴾ [غافر: ٧١ - ٧٢].

قال أبو زيد : أراه قال : ينسلخ كل شيء عليه من جلد ولحم وعروق وأعصاب حتى يصير في عقبيه جسد من لحمه مثل طوله ، وطوله ستون ذراعاً ، ثم يكسى جلداً آخر ، ثم يسجر في الحميم . خرجه كله ابن أبي حاتم .

فصــل

[ومن أهل النار من يعذب بالصعود إلى أعلى النار ثم يهوي فيها]

ومنهم من يعذب بالصعود إلى اعلى النار ، ثم يهوي فيها كذلك أبداً ، ومنهم من يكلف صعود جبل في النار والتردي منه .

وقد سبق في الباب الرابع عشر ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾ [المدثر : ١٧] .

وفي « الصحيحين »[١٣٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُمٍّ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً ، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً » .

وروى شريك عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن ابن

---

١٣٣) البخاري رقم (٥٧٧٨) في الطب : : باب شرب السم والدواء به وما يخاف منه والخبيث : ومسلم رقم (١٠٩) في الإيمان : باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، والترمذي رقم (٢٠٤٤) و(٢٠٤٥) : في الطب : باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره ، والنسائي ٤/ ٦٦ - ٦٧ في الجنائز : باب ترك الصلاة على من قتل نفسه ، وأبو داود رقم (٣٨٧٢) في الطب : باب في الأدوية المكروهة ، والدارمي رقم (٢٣٦٧) وأحمد في « المسند» ٢/ ٢٥٤ و٤٧٨ و٤٨٨ .

مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « القَتْلُ فِي سَبيلِ اللهِ مُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ـ أو قال يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ ـ إلاَّ الأَمَانَةَ ، يُؤْتَىٰ بِصَاحِبِ الأَمانَةِ فَيُقَالُ لَهُ : أَدِّ ـ أَمَانَتَكَ ، فَيَقُولُ : أَنَّىٰ يَا رَبِّ ! وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا ، فَيُقَالُ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ الهَاوِيَةِ ، فَيَهْوِي فِيهَا حَتَّىٰ يَنْتَهِي إِلَىٰ قَعْرِها ، فَيَجِدُ الأَمَانَةَ هُنَاكَ كَهَيْئَتِهَا ، فَيَحْمِلُهَا وَيَضَعُهَا عَلَىٰ عُنُقِهِ فَيَصْعُدُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْهَا زَلَّتْ عَنْ مِنْكَبَيْهِ ، فَهَوَتْ فَهَوَىٰ في أَثَرِها أَبَدَ الآبِدِينَ » قال : « والأَمَانَةُ فِي الصَّلاَةِ ، والأَمَانَةُ فِي الصَّوْمِ ، وَالأَمَانَةُ فِي الحَدِيثِ ـ قَالَ ـ وَأَشَدُّ ذَلِكَ الوَدَائِعُ » قَالَ : فَلَقِيت البراء فقلت : ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله ؟ قال : صَدَقَ(١٣٣) ـ

قال شريك : وحدّثنا عياش العامري عن زاذان عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنحو منه، ولم يذكر الأمانة في الصوم والأمانةفي كل شيء، كذا رواه اسحاق الأزرق عن شريك مرفوعاً؛ ورواه منجاب بن الحارث عن شريك موقوفاً ، وكذا رواه أبو الأحوص عن الأعمش ، فوقفه على ابن مسعود، وزاد فيه في خصال الأمانة: الكيل والميزان والغسل من الجنابة.

وروى عاصم عن أبي صالح قال : إذا ألقي الرجل في النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها ، ثم تجيش به جهنم فترفعه إلى أعلى جهنم ، وما على عظامه مزعة لحم ، فتضربه الملائكة بالمقامع فيهوي بها إلى قعرها فلا يزال كذلك ـ أو كما قال . خرجه البيهقي ، وفي هذا المعنى يقول ابن المبارك رحمه الله في صفة النار :

تَهْـوِي بِسُكَّـانِهَا طَـوْراً وتـرفَعُـهُمْ إذا رَجُـوا مَخْرجـاً مِنْ غَمِّهـا قُمِعُـوا

---

١٣٣) رواه الطبراني في « الكبير » وأبو نعيم في «الحلية» ٤ / ٢٠١ وهو حديث ضعيف كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤١٣٤) .

فصـــل

[ومن أهل النار من يدور في النار ويجر أمعاءه معه]

ومنهم من يـدور في النار ويجـر أمعاءه معـه ، وقـد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن لحي يجر قصبه في النار .

وفي « الصحيـح »[134] عن أسامـة بن زيد عن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم قـال : « يُؤْتَىٰ بِـالرَّجُـلِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ ، فَتَنْـدَلِقُ أَقْتَابُـهُ(1) فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمارُ بِرِحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ : أَي فُـلَانُ مَا شَأْنَكَ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكِرِ ؟ قالَ : بَلَىٰ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكِرِ وَآتِيهِ » .

وقال أبو المثنى الأملوكي : إن في النـار أقوامـاً يربـطون بنواعيـر من نار تدور بهم النواعير وما لهم فيها راحة ولا فترة .

فصل

[ومن أهل النار من يلقى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة]

ومنهم من يلقى في مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة الضيقة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ [الفرقان : ١٣] .

---

(١) الاندلاق : خروج الشيء من مكانه .

والاقتاب : الأمعاء ، واحدها قتبة . ، وقيل هي الحوايا والأمعاء .

---

(١٣٤) البخاري رقم (٣٢٦٧) في بدء الخلق : باب صفة النار ، وفي الفتن : باب الفتنة التي تموج كموج البحر ، ومسلم رقم (٢٩٨٩) في الزهد : باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله .

قال كعب: إن في جهنم تنانير ضيقها كضيق زج رمح أحدكم ثم يطبق على أناس بأعمالهم ، وقد سبق ذكره .

قال آدم بن أبي إياس : أنبأنا المسعودي ، عن يونس بن خباب ، عن ابن مسعود ، قال : إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار ، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت من نار ، ثم قذفوا في نار الجحيم ، فيرون أنه لا يعذب في النار غيرهم ، ثم تلا ابن مسعود ﴿ لَهُمْ فِيها زَفيرٌ وَهُمْ فِيها لا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٠] وخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن مسعود وعنده : « فلا يرى أن أحداً يعذب في النار غيره » .

وروى المنهال بن عمرو عن نعيم ـ وقيل : إنه ابن الدجاجة ـ عن سُويد بن غفلة قال : إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل للرجل صندوقاً على قدره من النار ، ولا ينبض عرق إلا فيه مسمار من نار ، ثم تضرم فيه النار ، ثم يقفل بقفل من نار ، ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار ، ثم تضرم بينهما نار ثم يقفل ، ثم يطرح ـ أو يلقى ـ في النار ، فذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِم ظُلَلٌ ﴾ [الزمر : ١٦] وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيها لَا يسمعون ﴾ [الأنبياء : ١٠٠] قال : فما يرى أن في النار أحداً غيره ، خرجه البيهقي وخرجه أبو نعيم إلا أن عنده عن المنهال عن خيثمة عن سويد فذكره .

فصل
[في جهنم سبعون داء]

وربما يبتلى أهل النار بأنواع من الأمراض الحادثة عليهم ، وقد سبق عن شفي بن ماتع أن في جهنم لسبعين داء، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم .

وقال الأعمش عن مجاهد : يلقى الجرب على أهل النار فيحتكون حتى تبدو العظام ، فيقولون بما أصابنا هذا ؟ فيقال : بأذاكم المؤمنين ، ورواه شعبة عن منصور ، عن مجاهد ، عن يزيد بن شجرة ، فذكره بمعناه .

فصل

[ومن أهل النار من يتأذى أهل النار بعذابه من نتن ريحه]

ومن أهل النار من يتأذى أهل النار بعذابه إما من نتن ريحه أو غيره ، قال صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ رِيحَ فُرُوجِ أَهْلِ الزِّنا لَيُؤْذي أَهْلَ النَّارِ »[١٣٥] .

وقال أبو بكر بن عياش : حدّثنا رجل عن مكحول رفعه ، قال : « تَرُوحُ أَهْلُ النَّارِ بِرَائِحةٍ ؛ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا وَجَدْنَا رِيحاً مُنْذُ دَخَلْنَا النَّارَ أَنْتَنَ مِنْ هَذِهِ الرَّائِحَةِ ، فَيَقُولُ : هَذِهِ رَائِحَةُ فُروجِ الزُّنَاةِ » .

وروى اسماعيل بن عياش ، عن ثعلبة بن مسلم الخثعمي ، عن أيوب ابن بشير العجلي ، عن شفي بن ماتع ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَرْبَعَةٌ يَؤْذُونَ أَهْلِ النَّارِ عَلَىٰ مَا بِهِمْ مِنْ الأذى يَسْعَوْنَ مَا بَيْنَ الجَحِيمِ وَالحَمِيمِ ، يَدْعُونَ بِالوَيْلِ وَالثُبورِ ، فَيَقُولُ أَهْلُ النَارِ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ : مَا بَالُ هَؤُلَاءِ قَدْ آذُونَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذىٰ ؟! قَالَ : فَرَجُلٌ مُغْلَقٌ عَلَيْهِ تَابُوتٌ مِنْ جَمْرٍ ، وَرَجُلٌ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ ، وَرَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ قَيحاً وَدَماً ، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ لَحْمَهُ ، فَيُقَالُ لِصَاحِبَ التَّابُوتَ : مَا بَالُ الأَبْعَدُ قَدْ آذَانَا عَلَىٰ مَابِنَا مِنَ الأذىٰ ؟ فَيَقُولُ : إنَّ الأَبْعَد قَدْ مَاتَ وَفِي عُنُقِهِ أَمْوالُ النَّاسِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلَّذي يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ: مَا بَالُ الأَبْعَد قَدْ آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذى، فيقولُ: إنَّ الأَبْعَدَ كَانَ لَا يُبالِي أَيْنَ أَصَابَ البَوْلُ مِنْهُ لَا يَغْسِلْهُ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلَّذِي يَسِيلُ فُوهُ

---

١٣٥) صالح بن حيان القرشي ، قال عنه يحيى بن معين : ضعيف الحديث .

قَيْحاً وَدَماً ، مَا بَالُ الأبْعَدِ قَدْ آذانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذَىٰ ؟ فَيقُولُ : إنَّ الأَبْعَدَ كَانَ يَنْتَظِرِ إلىٰ كَلِمةٍ فَيَسْتَلِذُّها كَمَا يَسْتَلِذُّ الرَّفَثَ ، ثُمَّ يُقال لِلَّذي يَأْكُلَ لَحْمَهُ : مَا بَالُ الأَبْعَدِ قَدْ آذَانَا عَلَىٰ مَا بِنَا مِنَ الأذى ؟ قالَ : إنَّ الأَبْعَدَ كَانَ يَأْكُلُ لُحومَ النَّاسِ » خرجه الحافظ أبو نعيم[1] وقال : شفي بن ماتع مختلف فيه ، وقيل : إن له صحبة .

وخرجه أيضاً بإسناد آخر إلى اسماعيل بن عياش ، وفي لفظه قال : « في عُنُقِهِ أَمْوَالُ النَّاسِ مَاتَ وَلَمْ يَدَعْ لَهَا وَفَاءً وَلاَ قَضاءً - وَقَال - يَعْمَدُ إلىٰ كُلِّ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ قذعة فَيَسْتَلِذُّهَا - وقال - : كَانَ يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ[2] وَيَمْشي بِالنَّمِيمَةِ » .

وروى الامام أحمد بإسناده الى منصور بن زاذان ، قال : نبئت أن بعض من يلقى في النار يتأذى أهل النار بريحه ، فيقال له : ويلك ما كنت تعمل ؟ أما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك وبنتن رائحتك ؟ فيقول : كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي .

فصل

[في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَأْتِيهُ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾]

قال الله تعالى : ﴿ وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [ابراهيم : ١٧] .

وقال ابراهيم في قوله : ﴿ وَيَأْتِيهُ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ حتى من تحت كل شعرة في جسده . وقال الضحاك : حتى من ابهام رجليه .

---

(١) « الحلية » ٥/١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) كناية عن الغيبة ، قال الله تعالى : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ [الحجرات : ١٢]

والمعنى أنه يأتيه مثل شدة الموت وألمه من كلِّ جزء من أجزاء بدنه حتى شعره وظفره ، وهو مع هذا لا تخرج نفسه فيستريح .

قال ابن جريج : تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيستريح ، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه ، وتأول جماعة من المفسرين على ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يحْيىَ ﴾[الأعلى : ١٣] قال الأوزاعي عن بلال بن سعد : تنادي النار يوم القيامة : يا نار أحرقي ، يا نار اشتفِّي ، يا نار انضجي ، كلي ولا تقتلي .

فصل

[وعذاب الكفار في النار متواصل أبداً]

وعذاب الكفار في النار لا يفتر عنهم ولا ينقطع ولا يخفف بل هو متواصل أبداً ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إنَّ المُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ [1] ﴾ [الزخرف : ٧٤ ـ ٧٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِم فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر : ٣٦].

وقال تعالى : ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لَخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُم يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ العَذَاب * قَالُوا أَوَلَم تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فادْعوا وَمَا دُعاءُ الكَافِرينَ إلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر : ٤٩ ـ ٥٠].

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول ـ على

---

(١) ﴿مبلسون﴾ : أي ساكنون أو محزنون من شدة اليأس .

منبر دمشق ـ: لا يأتي على صاحب الجنة ساعة إلا وهو يزداد ضعفاً من النعيم لم يكن يعرفه ، ولا يأتي على صاحب النار ساعة إلا وهو مستنكر لنوع من العذاب لم يكن يعرفه ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُم إلاَّ عَذَاباً ﴾ [النبأ : ٣٠] .

قال جسر بن فرقد عن الحسن : سألت أبا برزة عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدُكم الا عَذَاباً ﴾ فقال : « أُهْلِكَ القَوْمُ بِمَعَاصِيهم لله تَعَالَىٰ » خرجه ابن أبي حاتم ، وجسر ضعيف .

وخرجه البيهقي ولم يرفعه ولفظه : سألت أبا برزة عن أشد آية على أهل النار قال : قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلاَّ عَذَاباً ﴾ .

وقال مجاهد : بلغني أن استراحة أهل النار أن يضع أحدهم يده على خاصرته ، ولأهل النار أنواع من العذاب لم يطلع الله عليها خلقه في الدنيا .

قال مبارك عن الحسن : ذكر الله السلاسل والأغلال والنار وما يكون في الدنيا ، ثم قرأ : ﴿ وآخَرُ منْ شَكْلِهِ أَزْواجٌ ﴾ [ص : ٥٨] قال آخر : لا ترى في الدنيا . خرجه ابن أبي حاتم .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدّثنا شريح ، حدّثنا ابراهيم بن سليمان ، عن الأعمش ، عن الحسن ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ زِدْناهُم عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ ﴾ قال : هي خمسة أنهار تحت العرش يعذبون ببعضها في الليل وببعضها[1] في النهار .

فصل

[أعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عزّ وجلّ]

وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عزّ وجلّ ، وإبعادهم عنه ،

---

(١) في الأصل بعضها والصواب ما أثبتناه .

وإعراضه عنهم ، وسخطه عليهم ، كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة ، وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة .

قال الله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكسبُونَ * كَلَّا إنَّهُمْ عَنْ رَبِهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إنَّهُم لَصَالُوا الجَحِيم * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾[المطففين : ١٤ ـ ١٧] فذكر الله تعالى لهم ثلاثة أنواع من العذاب : حجابهم عنه ، ثم صليهم الجحيم ، ثم توبيخهم بتكذيبهم به في الدنيا ، ووصفهم بالران على قلوبهم ، وهو صدأ الذنوب الذي سود قلوبهم ، فلم يصل إليها بعد ذلك في الدنيا شيء من معرفة الله ولا من إجلاله ومهابته وخشيته ومحبته ، فكما حجبت قلوبهم في الدنيا عن الله حجبوا في الآخرة عن رؤيته .

وهذا بخلاف حال أهل الجنة قال تعالى : ﴿ لِلَّذينَ أَحْسَنُوا الحُسْنىٰ وَزِيادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُم قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] والذين أحسنوا هم أهل الاحسان ، والإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه ، كما فسره النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله عنه جبريل عليه السلام(*) ، فجعل جزاء الاحسان الحسنى وهو الجنة ، والزيادة وهي النظر الى وجه الله عزّ وجلّ ، كما فسره بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث صهيب(**) وغيره .

(*) حديث في سؤال جبريل من رواية أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري رقم (٥٠) في الايمان : باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ ، ورقم (٤٧٧٧) في التفسير : باب تفسير سورة لقمان ، ومسلم رقم (٩) و (١٠) في الايمان : باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ، ورواه مسلم رقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(**)رواه مسلم رقم (١٨١) في الإيمان : باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم عز وجل ، والترمذي رقم (٢٥٥٥) في صفة الجنة : باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى .

قال جعفر بن سليمان : سمعت أبا عمران الجوني قال : إن الله لم ينظر إلى إنسان قط إلا رحمه ، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم ، ولكن قضى أن لا ينظر إليهم .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدّثنا أحمد بن موسى عن أبي مريم ، قال : يقول أهل النار : إلهنا ارض عنا وعذبنا بأي نوع شئت من عذابك ، فان غضبك أشد علينا من العذاب الذي نحن فيه .

قال أحمد ، فحدثت سليمان بن أبي سليمان ، فقال : ليس هذا كلام أهل النار ، هذا كلام المطيعين لله ، قال : فحدثت به أبا سليمان ، فقال : صدق سليمان بن أبي سليمان ـ وسليمان وهو ولد أبي سليمان الداراني وكان عارفاً كبير القدر رحمه الله ـ وما قاله حق ، فان أهل النار جهال لا يتفطنون لهذا وإن كان في نفسه حقاً ، وإنما يعرف هذا من عرف الله وأطاعه ، ولعل هذا يصدر من بعض من يدخل النار من عصاة الموحدين ، كما أن بعضهم يستغيث بالله لا يستغيث بغيره فيخرج منها ، وبعضهم يخرج منها برجائه لله وحده ، وبعض من يؤمر به إلى النار يتشفع الى الله بمعرفته فينجيه منها .

قال أبو العباس بن مسروق : سمعت سويد بن سعيد يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : يوقف رجل بين يدي الله عزّ وجلّ لا يكون معه حسنة ، فيقول الله عزّ وجلّ : اذهب هل تعرف أحداً من الصالحين أغفر لك بمعرفته ، فيذهب فيدور مقدار ثلاثين سنة فلا يرى أحداً يعرفه ، فيرجع الى الله عزّ وجلّ فيقول : يا رب ! لا أرى أحداً ، فيقول الله عزّ وجلّ : اذهبوا به الى النار ، فتتعلق به الزبانية يجرونه ، فيقول : يا رب ! إن كنت تغفر لي بمعرفة المخلوقين فإني بوحدانيتك أنت أحق أن تغفر لي ، فيقول الله للزبانية : ردوا عارفي لأنه كان يعرفني واخلعوا عليه خلع كرامتي ، ودعوه يتبحبح في رياض الجنة ، فإنه عارف بي وأنا له معروف .

فصل
فيما يتحف به أهل النار عند دخولهم إليها - أجارنا الله منها

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّون الْمُكَذِّبونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُم يَوْمَ الدِّين ﴾ [الواقعة : ٥١ - ٥٦] . والنزل هو ما يعد للضيف عند قدومه .

فدلت هذه الآيات على أن أهل النار يتحفون عند دخولها بالأكل من شجرة الزقوم والشرب من الحميم ، وهم إنما يساقون إلى جهنم عطاشاً كما قال تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرمينَ الى جَهَنَّمَ وِرْداً ﴾ [مريم : ٨٦] .

قال أبو عمران الجوني : بلغنا أن أهل النار يبعثون عطاشاً ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشاً ، ثم قرأ : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ الَى جَهَنَّم وِرْداً ﴾ قال مجاهد في تفسير هذه الآية : متقطعة أعناقهم عطشاً ، وقال مطر الوراق : عطاشاً : ظماءً .

وفي « الصحيحين »[145] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الشفاعة الطويل « إنَّهُ يُقالُ لِلْيَهُودِ والنَّصارى : مَاذَا تَبْغُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : عَطِشْنَا ربنا فَاسقِنَا ، فَيُشَارُ إليهِمْ ألا تَرِدُونَ ، فَيُحْشَرُونَ إلىٰ جَهَنَّمَ كَأَنَّها سَرَابٌ يُحَطِّم بَعْضُهَا بَعْضاً ، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ » .

وقال أيوب عن الحسن : ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشاً

---

١٤٥) رواه البخاري في تفسير سورة النساء : باب ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ ، ومسلم رقم (١٨٣) في الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . انظر روايات الحديث في « جامع الاصول » رقم (٧٩٧٥) .

واحترقت أجوافهم جوعاً ، ثم انصرف بهم الى النار فيسقون من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها .

وروى ابن المبارك باسناده عن كعب ، قال : إن الله ينظر الى عبده يوم القيامة وهو غضبان ، فيقول : خذوه ، فيأخذه مائة ألف ملك أو يزيدون ، فيجمعون بين ناصيته وقدميه غضباً لغضب الله ، فيسحبونه على وجهه الى النار ، قال : فالنار أشد عليه غضباً من غضبهم سبعين ضعفاً ، قال : فيستغيث بشربة ، فيسقى شربة يسقط منها لحمه وعصبه ، ثم يركس [1] أو يدكس في النار ، فويل له من النار .

قال ابن المبارك : حدّثت عن بعض أهل المدينة أنه يتفتت في أيديهم إذا أخذوه فيقول : ألا ترحموني فيقولون : كيف نرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين .

وروى الأعمش عن مالك بن الحارث ، قال : إذا طرح الرجل في النار هوى فيها ، فإذا انتهى الى بعض أبوابها قيل : مكانك حتى تتحف ، قال : فيسقى كأساً من سم الأساود والعقارب ، فيتميز الجلد على حدة ، والشعر على حدة ، والعصب على حدة ، والعروق على حدة ، خرجه ابن أبي حاتم .

وروى محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن أبي سنان ضرار بن مرة ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إنَّ جَهَنَّمَ لمَّا سِيقَ اليهَا أَهْلُهَا تَلَقَّتْهُمْ فَلَفَحَتْهُمْ لَفْحَةً ، فَلَمْ تَدَع لَحماً عَلىٰ عَظْمٍ إلاّ أَلْقَتْهُ عَلَىٰ العِرْقوبِ [2] » خرجه

---

(١) « يركس » : أي يرد ويرجع .

(٢) « العرقوب » : وهو الوتر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع ، وهو من الإنسان فويق العقب ، وجمع : عراقيب .

الطبراني ورفعه منكر ، فقد رواه ابن عيينة عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل أو غيره من قوله لم يرفعه ، ورواه محمد بن فضيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة من قوله في قوله تعالى : ﴿ لَوَاحَةٌ لِلبَشر ﴾ قال : تَلَقَّاهُمْ جَهَنَّمَ يَوْمَ القِيامَةِ فَتَلفَحُهُمْ لَفْحَة ، فَلاَ تَتْرُكُ لَحْماً عَلَىٰ عَظْمٍ إلَّا وَضَعَتْهُ عَلَىٰ العَرا قِيبِ .

* * *

الباب الثاني والعشرون

في ذكر بكائهم ، وزفيرهم وشهيقهم ، وصراخهم ودعائهم الذي لا يستجاب لهم

قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٠] وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيق ﴾ [هود : ١٠٦] .

قال الربيع بن أنس : الزفير في الحلق والشهيق في الصدر .

وقال معمر عن قتادة : صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق .

وقال تعالى : ﴿ وَهُم يَصْطَرِخُونَ[1] فِيهَا ﴾ [فاطر : ٣٧] .

وفي حديث حارثة « وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوُوْنَ فِيها » ، وقد سبق .

وروى معاوية بن صالح عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رَأَيْتُ رُؤْيا » فذكر حديثاً طويلاً وفيه قال : « ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ نَرَىٰ دُخَاناً وَنَسْمَعُ عِوَاءً ، قُلْتُ : مَا هَذا ؟ قَالَ : هَٰذِهِ

(١) ﴿ وهم يصطرخون ﴾ : أي يستغيثون ويصيحون بشدة .

جَهَنَّم » خرجه الطبراني وغيره[146]

وروى الأعمش عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « يلقى البُكَاءُ عَلَىٰ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَبْكُونَ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ حَتَّىٰ يَصِيرُ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الأُخْدُودِ ، وَلَوْ أُرْسِلَتْ فِيهِ السُّفُنُ لَجَرَتْ » خرجه ابن ماجه[147] ، وروي عن الأعمش عن عمرو بن مرة ويزيد الرقاشي عن أنس موقوفاً من قوله ، ورواه سعيد بن سلمة عن يزيد الرقاشي قال : بلغنا هذا الكلام ولم يسنده ولم يرفعه .

وروى سلام بن مسكين عن قتادة عن أبي بردة ابن أبي موسى عن أبيه ، قال : إنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ الدُّمُوعَ فِي النَّارِ حَتَّىٰ لَوْ أُجْرِيَتْ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ بِالدَّمِ بَعْدَ الدُّمُوعِ ، وَلِمِثْلِ مَا هُمْ فِيهِ فَلْيَبْكِ .

وقال صالح المري : بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فلا يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنف(1) .

وقال ابن اسحاق عن محمد بن كعب : زفروا في جهنم فزفرت النار ، وشهقوا فشهقت النار بما استحلوا من محارم الله ؛ قال : والزفير من النفس والشهيق من البكاء .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا

---

(1) الدَّنف : المرض اللازم المخامر ، وقيل : هو المرض ما كان . ورجل مدنف : براه المرضُ حتى أشفى على الموت .

---

146) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد» ١/٧٦ ـ ٧٧ : رواه الطبراني في « الكبير » ورجاله رجال الصحيح .

147) رقم (٤٣٢٤) في الزهد : باب صفة النار . قال البوصيري في « الزوائد » في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي ، وهو ضعيف .

زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود : ١٠٦] قال : صوت شديد وصوت ضعيف .

وروى مالك عن زيد بن أسلم في قوله عز وجل : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [ابراهيم : ٢١] قال زيد : صبروا مائة عام ثم بكوا مائة عام ثم قالوا : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ .

وروى الوليد بن مسلم عن أبي سلمة الدوسي ـ واسمه ثابت بن شريح ـ عن سالم بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو « اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ يَشْفِيَانِ القَلْب بِذُرُوفِ الدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَتِكَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الدَّمْعُ دَماً وَالأَضْرَاسُ جَمْراً » سالم بن عبد الله هو المحاربي وحديثه مرسل، وظن بعضهم أنه سالم بن عبد الله بن عمر ، وزاد بعضهم في الإسناد عن أبيه ولا يصح ذلك كله .

وروى الوليد بن مسلم أيضاً عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن اسماعيل بن عبيد الله ، قال : إنَّ دَاودَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ : رَبِّ ! ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ يَبْكِيَانِ بِذُرُوفِ الدُّمُوعِ وَيُشْفِيَانِي مِنْ خَشْيَتِكَ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ الدَّمْعُ دَماً وَالأَضْرَاسُ جَمْراً . قال : وكان داود عليه السلام يعاتب في كثرة البكاء ، فيقول : دعوني أبكِ قبل يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال اللحى ، وقبل أن يأمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وروى يونس بن ميسرة عن أبي ادريس الخولاني قال : إنَّ دَاود عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، قَالَ : أَبْكِي نَفْسِي قَبْلَ يَوْمِ البُكَاءِ ، أَبْكِي نَفْسِي قَبْلَ أَنْ لاَ يَنْفَعَ البُكَاءُ ، ثم دعا بجمر فوضع يده عليه حتى إذا حره رفعها ، وقال : أُوه لِعَذابِ اللهِ ، أُوه أُوه قَبْلَ أَنْ لاَ يَنْفَعَ أوه .

وروى ثابت البناني عن صفوان بن محرز قال : كان لداود عليه السلام

يوم يتأوه فيه يقول :أوه أوه من عذاب الله عز وجل قبل أن لا ينفع أوه ، فذكرها صفوان ذات يوم في مجلس فبكى حتى غلبه البكاء ، فقام .

وقال عبد الله بن رياح الانصاري : سمعت كعباً يقول : ﴿ إِنَّ ابْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنيبٌ ﴾ قال : كان إذا ذكر النار قال : أواه من النار أواه من النار ؛ وعن أبي الجوزاء وعبيد بن عمير نحو ذلك .

وروى ابن ابي الدنيا باسناد له عن رياح القيسي أنه مر بصبي يبكي فوقف عليه يسأله : ما يبكيك يا بني ، وجعل الصبي لا يحسن يجيبه ولا يرد عليه شيئاً ، فبكى رياح ثم قال : ليس لأهل النار راحة ولا معول إلا البكاء وجعل يبكي .

وباسناد له آخر أن رياحاً القيسي زار قوماً فبكى صبي لهم من الليل ، فبكى رياح لبكائه حتى أصبح، فسئل بعد ذلك عن بكائه، فقال : ذكرت ببكاء الصبي بكاء أهل النار في النار ليس لهم نصير ، ثم بكى .

فصـــل
[في طلب أهل النار الخروج منها]

قال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا[1] وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ ـ ١٠٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَاكِثُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

---

(١) ﴿ اخسؤوا ﴾ : أي انزجروا وابعدوا ، كالكلاب .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكم يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمَاً منَ العَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُم رُسُلُكُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ فَادْعُوا وَمَا دُعاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾ [غافر : ٤٩ ـ ٥٠] .

وقال تعالى : ﴿وَهم يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنا نَعْمَل صَالِحاً غَيْرَ الذي كُنَّا نَعْمَلُ أَو لَمْ نُعَمِّرْكُم مَا يَتَذَكَّر فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِير فَذُوقوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر : ٣٧] .

وفي حديث الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوْشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر أهل النار . قال : « فَيَقُولُونَ : ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ ، فَيَقُولُونَ : ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُم رُسُلُكُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾ [غافر : ٥٠] قَالَ : فَيَقُولُونَ : ادْعُوا مَالِكاً فَيَقُولُونَ : ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إنكم مَاكِثُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

قال الأَعْمَشُ : نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ وَبَيْنَ إجَابَةِ مَالِكٍ إِيَّاهُمْ[(١)] أَلْفَ عامٍ ، قال : فَيَقُولُونَ ادْعُوا رَبَّكُمْ فَإِنَّه لَيْسَ أَحَدُ خَيْراً مِنْ رَبِّكُمْ فيقُولُونَ : ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالينَ * رَبَّنَا أَخرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ ـ ١٠٧] قَالَ فَيُجِيبُهُمْ : ﴿ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] قَالَ : فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَئِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَعِنْدَ ذٰلِكَ يَأْخُذون في الحَسْرَةِ وَالزَّفِيرِ وَالوَيْلِ » ، خرجه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً على أبي الدرداء[١٤٨] .

(١) في الاصل : لهم ، والتصحيح من سنن الترمذي .

(١٤٨) رقم (٢٥٨٩) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة طعام أهل النار ، وإسناده ضعيف ، قال الترمذي : قال عبد الله بن عبد الرحمن ـ يعني الدارمي ـ : والناس لا يعرفون هذا الحديث ، قال : إنما روي هذا =

وروى أبو معشر عن محمد بن كعب الفرضي ، قال : لأهل النار خمس دعوات يكلمون في أربع منها ويسكت عنهم في الخامسة فلا يكلمون يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَل إلى خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ ﴾ [غافر : ١١] فيرد عليهم : ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ [غافر : ١٢] ثم يقولون ﴿ رَبَّنَا أَبْصرنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَل صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾] السجدة : ١٢] فيرد عليهم ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجدة : ١٣] إلى آخر الآيتين ، ثم يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنا إلىٰ أجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِع الرُّسُلَ ﴾ [ابراهيم : ٤٤] فيرد عليهم ﴿ أَوَلَمْ تكُونُوا أَقْسَمْتُم من قَبْلُ مَا لَكُمْ من زَوَالٍ ﴾ [ابراهيم : ٤٤] ثم يقولون ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلُ صَالِحَاً غَيرِ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر : ٣٧] فيرد عليهم ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرکُم مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ [فاطر : ٣٧] ثم يقولون ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوماً ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالُمونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٦ ـ ١٠٧] فيرد عليهم ﴿ اخْسَؤوا فيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ الى قوله ﴿ وَكُنْتُم مِنْهُم تَضْحكُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨ ـ ١١٠] قال : فلا يتكلمون بعد ذلك ؛ خرجه آدم بن أبي اياسٍ وابن ابي حاتم .

وخرج ابن أبي حاتم من رواية قتادة عن أبي أيوب العتكي ، عن عبد الله بن عمرو ، وقال : نادى أهل النار ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّك ﴾ قال : فخلى عنهم أربعين عاماً ثم أجابهم ﴿ إنكم مَاكِثُونَ ﴾ فقالوا ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنّا ظالِمون ﴾ قال : فخلى عنهم مثل الدنيا ثم

= الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله ، وليس بمرفوع ، أقول : وإسناده ضعيف مرفوعاً وموقوفاً وتقدم تخريجه برقم (٨٢) .

أجابهم ﴿ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ قال : فأطبقت عليهم فيئس القوم بعد تلك الكلمة ، وإن كان إلا الزفير والشهيق .

وعن عطاء بن السائب عن أبي الحسن عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ قال : فيتركهم ألف سنة ثم يقول : ﴿ إِنَّكُم مَاكِثُونَ ﴾ وخرجه البيهقي ، وعنده عن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس .

وقال سنيد في « تفسيره » : حدّثنا حجاج عن ابن جريج قال : نادى أهل النار خزنة جهنم أن ﴿ ادْعُوا رَبَّكُم يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ العَذَابِ ﴾ فلم يجيبوهم ما شاء الله ، ثم أجابوهم بعد حين وقالوا لهم : ﴿ ادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلاَ فِي ضَلاَلٍ ﴾ ثم نادوا ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ فيسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ثم أجابهم ﴿إِنَّكم مَاكِثُونَ ﴾ ثم نادى الأشقياء ربهم ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ الآيتين فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ثم أجابهم بعد ﴿ اخسؤا فيها ولا تكلمون ﴾ .

وروى صفوان بن عمرو قال : سمعت أيفع بن عبد الكلاعي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ قَالَ اللهُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ﴿ كَمْ لَبِثْتُم فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُو لَبِثْنَا يَوْمَاً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [المؤمنون : ١١٢ ـ ١١٣] قَالَ : نِعْمَ مَا اتَّجَرْتُمْ فِي يَوْمٍ أَوْ بَعْضَ يومٍ رَحْمَتِي وَرِضْوانِي وَجَنَّتِي امْكُثُوا فِيهَا خَالِدينَ مُخلَّدين، ثُمَّ يَقُولُ لِأَهل النَّار: ﴿كَمْ لَبِثتم في الأرض عَدَدَ سنين* قالوا لَبِثْنا يَومًا أَوْبَعْض يَوْمٍ ﴾ فَيَقُولُ : بِئْسَ مَا اتَّجَرْتُمْ فِي يَوْمٍ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ سَخَطِي وَمَعْصِيَتِي وَنَارِي امْكُثُوا فِيهَا خَالِدِينَ مُخَلَّدِينَ فَيَقُولُونَ : ﴿رَبَّنَا أَخرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ فَيَقُولُ : ﴿ اخْسَؤُا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ فَيَكُونَ ذَلِكَ آخِرَ عَهْدِهِ

بِكَلَامِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ » خرجه أبو نعيم[1] . وقال : كذا رواه أيفع مرسلاً .

وقال أبو الزعراء عن ابن مسعود : إذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير وجوههم وألوانهم ، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول : يا رب ! فيقال: من عرف أحداً فليخرجه ، قال : فيجيء الرجل من المؤمنين ، فينظر فلا يعرف أحداً ، فيناديه الرجل فيقول : يا فلان! أنا فلان ، فيقول : ما أعرفك قال : فعند ذلك يقولون في النار : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ فيقول عند ذلك ﴿ اخْسؤُا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمون﴾، فاذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم أحد .

وفي رواية قال ابن مسعود : ليس بعد هذه الآية خروج ﴿ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ ﴾ .

وذكر عبد الرزاق في « تفسيره » عن عبد الله بن عيسى عن زياد الخراساني أسنده إلى بعض أهل العلم قال : إذا قيل لهم : ﴿ اخْسَؤُا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ ﴾ سكتوا فلا يسمع لهم فيها حس إلا كطنين الطست .

فصــل

[أهل النار لا يزالون في رجاء حتى يذبح الموت]

ولا يزال أهل جهنم في رجاء الفرج الى أن يذبح الموت ، فحينئذ يقع منهم الإياس وتعظم عليهم الحسرة والحزن .

وفي « الصحيحين »[149] عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) « الحلية » ٥/١٣٢ ، وقال : وأسنده أيفـع عن معاوية بن أبي سفيان وغيره . ا هـ .

١٤٩) البخاري رقم (٤٧٣٠) في تفسير سورة مريم : باب قوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ ، ومسلم رقم (٢٨٤٩) في الجنة : باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، والترمذي رقم (٣١٢٥) ف التفسير : باب ومن سورة مريم .

وسلم قال: «يُجاءُ بالمَوْتِ يَوْمِ القِيامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فيُوقَفُ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ ، فيُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذا ، فَيَشْرَئِبُّون وَيَنْظُرُون ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، هَذا المَوْتُ ، وَيُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذا المَوْتُ ، قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ ، ثُمَّ قَرَأَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُم لاَ يُؤْمنونَ ﴾ [مريم : ٣٩] .

وخرجه الترمذي بمعناه وزاد«فَلْولا أَنَّ اللهَ قَضَى لِأَهْلِ الجَنَّة بالحَيَاة والبَقَاء لَمَاتُوا فَرَحاً ، وَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ قَضَىٰ لِأَهْلِ النَّارِ بِالحَيَاةِ وَالبَقَاءِ لَمَاتُوا تَرَحاً »(٢) .

وخرج الامام أحمد والترمذي١٥٠ وابن ماجه معناه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال فيه : « إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَطْلِعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمْ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَطْلِعُون مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمْ الَّذِي هُمْ فِيهِ » ، وفي رواية الترمذي « مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ » .

وخرجاه في « الصحيحين »١٥١ من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله

---

(١) « فيشرئبون » : أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي .
(٢) « الترح » ضد الفرح ، وهو الهلاك والانقطاع أيضاً ، والترحة المرة الواحدة .

---

(١٥٠) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٢٦١ ، وابن ماجه رقم (٤٣٢٧) في الزهد : باب صفة النار ، والترمذي رقم (٢٥٦٠) في صفة الجنة : باب ماجاء في خلود أهل الجنة وأهل النار . وهو حديث صحيح .
(١٥١) البخاري رقم (٦٥٤٨) في الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، وباب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ومسلم رقم (٢٨٥٠) في الجنة : باب النار يدخلها الجبارون .
ورواه الترمذي رقم (٢٥٦١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

عليه وآله وسلم بمعناه ، وفي حديثه « فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحاً إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إلى حُزْنِهِمْ » .

وخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مختصراً ، وفيه « فَلَوْ أَنَّ أَحداً مَاتَ فَرَحاً لَمَاتَ أَهْلُ الجَنَّةِ ، وَلَوْ أَنَّ أَحَداً مَاتَ حُزْناً لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ » .

وخرج ابن أبي حاتم باسناده عن ابن مسعود من قوله نحو هذا المعنى غير مرفوع وزاد « أَنَّهُ يَنَادِي أَهْلَ الجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ هُوَ الخُلُودُ أَبَدَ الآبِدِينَ » قال : فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتاً من فرحه لماتوا ، ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً من شهقه لماتوا ، فذلك قوله : ﴿ وَأَنْذِرْهُم يَوْمَ الآزِفَةِ[1] إِذْ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظمينَ ﴾ [غافر : ١٨] وقوله تعالى ﴿ وأنذرْهُم يَوْمَ الحَسْرَةِ[2] إِذْ قُضيَ الأَمْرُ ﴾ [مريم : ٣٩] .

وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن هشام بن حسان ، قال : مر عمر بن الخطاب بكثيب من رمل فبكى ، فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرت أهل النار فلو كانوا مخلدين في النار بعدد هذا الرمل كان لهم أمد يمدون إليه أعناقهم ولكنه الخلود أبداً ؛ وقد روي عن ابن مسعود هذا المعنى أيضاً مرفوعاً وموقوفاً ، وسنذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى .

فصل

[عصاة الموحدين ينفعهم الدعاء في النار]

وأما عصاة الموحدين ربما ينفعهم الدعاء في النار ، خرج الامام أحمد

---

(١) ﴿يوم الأزفة﴾ : يوم القيامة لقربها . ﴿الحناجر﴾ : أي التراقي والحلاقيم ، ﴿كاظمين﴾ : أي ممسكين على الفم الممتلئين منه .

(٢) ﴿يوم الحسرة﴾ : أي الندامة الشديدة على ما فات .

من حديث أبي ظلال عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إِنَّ عَبْداً فِي جَهَنَّمَ لَيُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ : يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : اذْهَبْ فَأْتِنِي بَعَبدِي هَذا ، فَيَذْهَبُ جِبْرِيلُ فَيَجِدُ أَهْلَ النَّارِ مُنْكَبِّينَ يَبْكُونَ ، فَيَرْجِعُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُخْبِرُهُ ، فَيَقُولُ : أَتِنِي بِهِ فَإِنَّهُ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا ، فَيَجِيءُ بِهِ ، وَيُوقِفُهُ عَلَىٰ رَبِّهِ فَيَقُولُ لَهُ : يَا عَبْدِي كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ شَرُّ مَكَانٍ وَشَرُّ مَقِيلٍ ، فَيَقُولُ : رُدُّوا عَبْدِي ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ! مَا كُنْتُ أَرْجُو إِذَا أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ تَـرُدَّنِي ، فَيَقُولُ : دَعُوا عَبْدِي »[١٥٢] أبو ظلال اسمه هلال ضعفوه .

خرج الترمذي[١٥٣] من طريق رشدين بن سعد ، حدّثني ابن أنعم ـ هو الأفريقي عن أبي عثمان أنه حدثه عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا ، فَقَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : أَخْرِجُوهُمَا ، فَلَمَّا أُخْرِجَا ، قَالَ لَهُمَا : لِأَيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا ، قَالَا : فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمنَا ، قال: رَحْمَتِي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا أَنْفُسَكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ ، قال : فَيَنْطَلِقَانِ فَيُلْقِي أَحَدُهُمَا نَفْسَهُ فَيَجْعَلُهَا عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلَاماً ، وَيَقُومُ الآخَرُ فَلاَ يُلْقِي نَفْسَهُ ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِيَ نَفْسَكَ كَمَا أَلْقَىٰ صَاحِبُكَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تُعِيدَنِي فِيهَا بَعْدَ مَا أَخْرَجْتَنِي ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ : لَكَ رَجَاؤُكَ ، فَيَدْخُلانِ جَمِيعاً الجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » قال الترمذي : اسناد هذا الحديث ضعيف .

وفي « صحيح مسلم »[١٥٤] عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١٥٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ٢٣٠ ، واسناده ضعيف كما قال المؤلف .رحمه الله تعالى .

١٥٣) رقم (٢٦٠٢) في صفة جهنم : باب رقم (١٠) ، وإسناده ضعيف . كما قال المؤلف رحمه الله تعالى .

١٥٤) رقم (١٩٢) في الايمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

قال : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ! إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلاَ تُعِدْنِي فِيهَا ، قَالَ : فَيُنْجِيهِ اللهُ مِنْهَا » وخرجه ابن حبان في « صحيحه » وعنده « فَيَلْتَفِتُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ! مَا كَانَ هَذَا رَجَائِي فِيكَ ، فَيَقُولُ : مَا كَانَ رَجَاؤُكَ ؟ ! قَالَ : كَانَ رَجَائِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ لاَ تُعِيدَنِي فِيهَا ، فَيَرْحَمُهُ اللهُ فَيُدْخِلَهُ الجَنَّةَ » .

وخرج الامام أحمد[١٥٥] من رواية علي بن زيد بن جدعان عن ابن المسيب عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ آخِرَ رَجُلَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لأَحَدِهِمَا : يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَعْدَدتَ لِهَذا اليَوْمِ ؟ هَلْ عَمِلْتَ خَيْراً قَطّ ؟ هَلْ رَجَوْتَنِي ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، أَيْ رَبِّ ، فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَىٰ النَّارِ ، فَهُوَ أَشَدُّ أَهْلِ النَّارِ حَسْرَةً ، وَيَقُولُ لِلآخَرِ : مَا أَعْدَدتَ لِهَذَا اليَوْمَ ؟ هَلْ عَمِلْتَ خَيْراً قَطُّ أَوْ رَجَوْتَنِي ؟ فَيَقُولُ : لاَ ، أَيْ رَبِّ إِلاَّ أَنِّي كُنْتُ أَرْجُوكَ ، قَالَ : فَيُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ » وذكر الحديث في دخوله الجنة وما يعطى فيها .

وخرج هناد بن السري من طريق أبي هارون العبدي وفيه ضعف شديد عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أَنَّ رِجالاً يُدْخِلُهُمُ الله النارَ ، فَيَحْرِقُهُمْ بِهَا ، حَتَّىٰ يكونوا فَحماً أَسْوَدَ ، وَهُمْ أَعْلَىٰ أَهْلِ النَّار . فَيَجْأَرونَ إِلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ يَدْعُونَهُ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَاجْعَلْنَا في أَصْل هَذا الجِدَارِ ، فَإذا جَعَلَهُمْ في أَصْلِ الجِدَارِ رَأُوا أَنَّهُ لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً ، قالُوا : رَبَّنَا اجْعَلْنَا مِنْ وَرَاءِ هَذَا السُّورِ ، لا نَسْأَلُكَ شَيْئاً بَعْدُهُ ، فَيُرْفَعُ لَهُمْ شَجَرَةً حَتَّىٰ تَذْهَبُ عَنْهُمْ سَخْنَةَ النَّارِ أَوْ شَحْنَةَ النَّارِ » وذكر الحديث .

* * *

١٥٥) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ٧٠ و ٧٤ واسناده ضعيف .

الباب الثالث والعشرون

في ذكر نداء أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار وكلام بعضهم بعضا

قال الله تعالى ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّار أَنْ قد وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنا حَقّاً فَهَل وَجَدْتُّم ما وَعَدَ رَبُّكُم حقّاً قالُوا نَعَم﴾ إلى قوله ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَن أَفيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاء أَوْ مما رَزَقَكُمُ الله قَالُوا إنَّ الله حَرَّمَهُما عَلَى الكَافرينَ﴾ [الأعراف : ٤٤ ـ ٥٠] .

قال سفيان بن عيينة عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية قال : ينادي الرجل أخاه إني قد احترقت فافض عليَّ من الماء ، فيقال : أجبه ، فيقول : إن الله حرمهما على الكافرين .

وقال سنيد في « تفسيره » : حدّثنا حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال : ينادون[1] أهل النار : يا أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله ثمَّ يقال : أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة ، فيقول أهل الجنة : يا أهل النار عليكم لعنة الله ، يا أهل النار عليكم غضب الله ، يا أهل النار لا لبيكم ولا سعديكم ماذا تقولون ؟ فيقولون : ألم نكن في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم ؟ فيقولون : بلى فيقولون : ﴿ أفيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاء أَوْ ممَا رَزَقَكُمُ الله قالُوا : إن الله حَرَّمَهُما عَلَى الكَافرينَ ﴾[الأعراف : ٥٠] .

---

(١) كذا في الأصل وصوابه ينادي .

قال الله عز وجلّ : ﴿ فَأَقْبَل بَعْضُهُم عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لي قرينٌ * يَقُولُ أَءِنَكَ لَمِنَ المُصَدِّقينَ ﴾ الآيات [الصافات : ٥٠ـ ٥٢] .

قال خليد العصري في قوله تعالى ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيم ﴾ [الصافات : ٥٥] . قال : في وسطها ، ورأى جماجم تغلي فقال فلان : والله لولا أن الله عزّ وجلّ عرفه إياه لما عرفه لقد تغير حبره وسبره [1] ، فعند ذلك يقول : ﴿ إن كدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ [الصافات : ٥٦] . وقال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إلَّا أَصْحَابَ اليَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ المُجْرِمين ما سَلَكَكُمْ في سَقَر ﴾ الآيات [المدثر : ٣٨ ـ ٤٢] .

روى أبو الزعراء عن ابن مسعود أنه لا يترك في النار غير هؤلاء الأربعة : قال وليس فيهم من خير .

وفي حديث مسكين أبي فاطمة عن اليمان بن يزيد ، عن محمد بن حمير ، عن محمد بن علي ، عن أبيه عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خروج أهل التوحيد من النار ، قال : « ثُمَّ يَقُولُ الله لأَهلِ الجَنَّةِ : اطْلِعُوا الىٰ مَنْ بَقِيَ في النَّارِ ، فَيَطْلعُونَ إِلَيْهِمْ فَيَقُولُونَ : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ا لمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر : ٤٢ ـ ٤٣] . أي إنا لم نكن منهم لو كنا لخرجنا معهم » خرجه الأسماعيلي وغيره ، وهو منكر كما سبق ذكره .

قال الامام أحمد : حدّثنا علي بن حفص ، حدّثنا الثوري ، عن أبي خالد ، عن الشعبي ، قال : يشرف قوم في الجنة على قوم في النار فيقولون : ما لكم في النار ، إنما كنا نعمل بما كنتم تُعَلِّمون ؟ فيقولون : إنا كنا نعلمكم ولا نعمل به .

---

(١) « الحِبر » : أثر الجمال والهيئة الحسنة ، و« السبر » : حسن الهيئة والجمال .

وقال سعيد بن بشير ، عن قتادة : إن في الجنة كوى [1] إلى النار فيطلع أهل الجنة من تلك الكوى الى النارِ ، فيقولون : ما بال الأشقياء ، وانما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم ، فقالوا : إنّا كنا نأمركم ولا نأتمر ، وننهاكم ولا ننتهي .

وقال معمر عن قتادة قال كعب : إن بين أهل النار وأهل الجنة كوى لا يشاء رجل من أهل الجنة أن ينظر الى عدوه من أهل النار الا فعل .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدّثنا عبد الله بن غياث عن الفزاري قال : لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب باب يدخل عليه زواره من الملائكة ، وباب يدخل عليه أزواجه من الحور العين ، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتح اذا شاء أن ينظر اليهم لتعظم النعمة عليه ، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل فيه على ربه إذا شاء .

وخرج ابن أبي حاتم باسناده عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ فالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرائِكِ ﴾ من الدر والياقوت ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ [المطففين : ٣٤ ـ ٣٥] . يعني على السرر ينظرون ، كان ابن عباس يقول : السرر بين الجنة والنار فيفتح أهل الجنة الأبواب فينظرون على السرر الى أهل النار كيف يعذبون ويضحكون منهم ، ويكون ذلك مما يقر الله به أعينهم أن ينظروا الى عدوهم كيف ينتقم الله منه .

وخرج البيهقي وغيره من حديث علي بن أبي سارة عن ثابت ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ يُشْرِفُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُنَادِيَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ : يَا فُلانُ هَلْ تَعْرفنِي ؟

---

(١) « الكوة » : الخرق في الحائط ، والثقب في البيت .

فَيقُولُ : لا واللهِ لاَ أعْرِفكَ مَنْ أَنْتَ ؟ فيَقُولُ : أنَا الّذِي مَرَرْتَ بِي في دَار الدُّنْيَا فاسْتَسْقَيْتَنِي شُرْبَةَ ماءٍ فأَسْقَيْتُكَ ، قالَ : قَدْ عَرِفْتُ ، فَاشْفَعْ لي بِهَا عِنْدَ رَبِّكَ ، قالَ : فَيَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ فَيَقُولُ : يا رَبِّ شَفِّعْنِي فِيهِ ، فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ » [١٥٦] .

***

١٥٦) وإسناده ضعيف .

الباب الرابع والعشرون

في ذكر خزنة جهنم وزبانيتها

قال الله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وما جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إلَّا فتْنَةً للَّذينَ كفَرُوا ﴾ الآيات[المدثر : ٣٠ ـ ٣١] .

قال آدم بن أبي اياس : حدّثنا حماد بن سلمة ، حدّثنا الأزرق بن قيس عن رجل من بني تميم ، قال : كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية ﴿ عَلَيها تَسْعَةَ عَشَرَ ﴾ فقال : ما تقولون : تسعة عشر ملكاً ، قلنا : بل تسعة عشر ألفاً ، فقال : ومن أين علمت ذلك ، قال : قلت لأن الله تعالى يقول ﴿ وَمَا جَعَلْنا عدَّتَهُم إلَّا فتْنَة للَّذينَ كَفَرُوا ﴾ قال أبو العوام : صدقت وبيد كل واحد منهم مرزبة [١] من حديد لها شعبتان ، فيضرب بها الضربة يهوي بها سبعين ألفاً ، بين منكبي كل ملك منهم مسيرة كذا وكذا . فعلى قول أبي العوام ومن وافقه ، الفتنة للكفار ، إنما جاءت من ذكر العدد الموهم للقلة حيث لم يذكر المميز له .

ويشبه هذا ما روى سعيد بن بشير عن قتادة في قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ ربِّكَ إلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] أي من كثرتهم .

---

(١) المِرْزَبَة، الإِرْزَّبة » : المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة .

وكذلك ما روى ابراهيم بن الحكم بن أبان وفيه ضعف عن أبيه ، عن عكرمة قال : إن أول من وصل من أهل النار الى النار وجدوا على الباب أربع مائة ألف من خزنة جهنم مسودة وجوههم كالحة أنيابهم ، قد نزع الله الرحمة من قلوبهم ، ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة ، لو طار الطائر من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ المنكب الآخر ، ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً ، ثم يهوون من باب الى باب خمسمائة سنة حتى يأتوا الباب ، ثم يجدون على كل باب منها من الخزنة مثل ما وجدوا على الباب الأول ، حتى ينتهوا الى آخرها . خرجه ابن أبي حاتم .

وهذا يدل على أن على كل باب من أبواب جهنم تسعة عشر خزاناً هم رؤساء الخزنة ، تحت يد كل واحد منهم أربعمائة ألف .

والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من حيث ذكر عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقلتهم ، وظنوا أنهم يمكنهم مدافعتهم وممانعتهم ، ولم يعلموا أن كل واحد من الملائكة لا يمكن البشرَ كلهم مقاومته ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الى قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر : ٣١] .

قال السدي : إن رجلاً من قريش يقال لهأبو الأشدين[1] قال : يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة ومبنكبي الأيسر التسعة الباقية ثم تمرون الى الجنة ـ يقوله مستهزئاً ـ فقال الله عزّ

---

(١) اسمه كلده بن أسيد بن خلف ، قال السهيلي : وهو الذي دعا رسول الله ﷺ الى مصارعته ، وقال : إن صرعتني آمنت بك ، فصرعه النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن .

وجلّ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنا عِدَّتُهم إلاَّ فِتْنَـةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

وقال قتادة : ذكر لنا أن أبـا جهل حين نـزلت هذه الآيـة قال : يـا معشر قـريش أما يستـطيع كـل عشرة منكم أن يـأخذوا واحـداً من خـزنـة النـار وأنتم الدهم[1] ، وصاحبكم هذا يزعم أنهم تسعة عشر .

وقال قتادة : في التوراة والانجيل إن خزنة النار تسعة عشر .

وروي حديث عن الشعبي عن البراء في قول الله عزّ وجلّ ﴿ عَلَيْها تسْعَةَ عَشَرَ ﴾ قال : إن رهطاً من يهود سألوا رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن خزنة جهنم فقال : الله ورَسُوله أعلم ، فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله عليه ساعتـئذٍ ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ فأخبر أصحابه، وقال: ادعهم، فجاؤ وا فسألوه عن خزنة جهنم، فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية ، خرجه ابن أبي حاتم ، وحريث هو ابن أبي مطر ضعيف .

وخرجه الترمذي[157] من طريق مجالد عن الشعبي، عن جابر قال: قال ناس من اليهود لناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم : هَلْ يَعْلَمُ نَبِيُّكُمْ عَدَدَ خَزَنَة جَهَنَّم ؟ قَالُوا : لاَ نَدْرِي حَتَّىٰ نَسْأَلَهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إلىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ! غُلِبَ أَصْحابُكَ اليَوْمَ ، قَالَ :

---

(١) « الدهم » : العدد الكثير .

---

١٥٧) رقم (٣٣٢٤) في التفسير : باب ومن سورة المدثر ، وقال : هذا حديث غريب انما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد ، نقول : ومجالد ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره ، لكن يشهد لبعضه ما أخرجه السيوطي في « الدر المنثور » ٦/٢٨٣ و ٢٨٤ من رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن البراء ، أن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم فقال : الله ورسوله أعلم ، فجاء فأخبر ﷺ فنزل عليه ساعتئذ ﴿عليها تسعة عشر﴾ .

بِمَا غُلِبُوا ، قَالَ : سَأَلْتَهُمْ يَهُودُ هَلْ يَعْلَمُ نَبِيُكُمْ عَدَدَ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ ، قَالَ : فَمَا الُوا ؟ قَالُوا : لَا نَدْري حَتَّىٰ نَسْأَلَ نَبِيَّنا صلى الله عليه وآله وسلم فقالَ : أَيُغْلَبُ قَوْمٌ سُئِلُوا عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ ؟ ، فَقَالُوا : لَا نَعْلَمُ حَتَّىٰ نَسْأَلَ نَبِيَّنَا ، كِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ ، فَقَالُوا : أَرِنَا الله جَهْرَةٍ ، عَلَيَّ بِأَعْداءِ الله ، [إِنِّي ائِلُهُمْ عَنْ تُرْبَةِ الجَنَّةِ وَهِي الدَّرْمَكُ] فَلَمَّا جَاؤُوا قَالُوا : يَا أَبَا القَاسِم كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ ؟ قالَ : « هَكَذَا وهَكَذا » في مَرَّةٍ عَشْرَةٌ وَفي مَرَّة تِسْعَةٌ ، قالُوا : نَعَمْ ، . . . » وهذا أصح من حديث حريث المتقدم ، قاله البيهقي وغيره .

وخرج الامام أحمد [١٥٨] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً كالمودع ، فقال : « أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ » ثلاثاً « وَلَا نَبِي بَعْدِي ، أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الكَلِمِ وَخواتِمَهُ وَجَوامِعَهُ ، وَعُلِّمْتُ كَمْ خَزَنَةَ النَّارِ وَحَمَلَةَ العَرْشِ . . . » وذكر بقية الحديث .

فصل

[في تفسير قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ ﴾]

وقد وصف الله الملائكة الذين على النار بالغلظ والشدة قال الله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظ شِدَادٌ لا يَعْصُون الله مَا أَمَرَهُمْ وَيفْعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ ﴾ .

وروى أبو نعيم باسناده عن كعب ، قال : إن الخازن من خزان جهنم مسيرة ما بين منكبيه سنة ، وإن مع كل واحد منهم لعمود له شعبتان من حديد ، يدفع به الدفعة فيكب به في النار سبعمائة ألف .

---

١٥٨) رواه أحمد في « المسند » ٢/١٧٢ و ٢١٢ ، قال الهيثمي في « المجمع » ١/١٦٩ : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف . ا هـ . قلت : رواية ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة . قال أبو حاتم بن حبان البستي : كان من أصحابنا يقولون : سماع من سمع من ابن لهيعة قبل احتراق كتبه مثل العبادة : ابن المبارك وابن وهب ، وعبد الله بن يزيد المقرىء وعبد الله بن مسلمة القعنبي ، فسماعهم صحيح ، ومن سمع بعد احتراق كتبه فسماعه ليس بشيء . ا هـ .

وروى عبد الله بن الامام أحمد باسناده عن أبي عمران الجوني قال بلغنا أن الملك من خزنة جهنم ما بين منكبيه مسيرة خريف ، فيضرب الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طحيناً من لدن قرنه الى قدمه ، وفي رواية أخرى له قال : بلغنا أن خزنة النار تسعة عشر ما بين منكبي أحدهم مسيرة خريف . وليس في قلوبهم رحمة إنما خلقوا للعذاب .

وروى الجوزجاني باسناده عن صالح أبي الخليل قال : ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث الله إليه نفراً من الرسل فتلقوه بالفرح والبشر ، وفي ناحية المسجد مصل يصلي لا يلتفت إليه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ قَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ البُشْرَ والفَرَحَ غَيْر صَاحِبِ هَذِهِ الزَّاوية » ، فقالوا : أما أنه قد فرح بك كما فرحنا ، ولكنه خازن من خزان جهنم .

وروى بكر بن خنيس عن عبد الملك الجسري عن الحسن أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لَوْ أَنَّ خَازِناً مِنْ خُزَّانِ جَهَنَّمَ أَشْرَفَ عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ لَمَاتَ أَهْلُ الأَرْضِ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ تَشْوِيهِ خَلْقِهِ » مرسل ضعيف .

فصل
[في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ]

قال الله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مالِكُ ﴾ [الزخرف : ٧٧] ومالك هو خازن جهنم ، وهو كبير الخزنة ورئيسهم ، وقد رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الاسراء . وبدأه مالك بالسلام ، خرجه مسلم[1] من حديث أنس ، ورآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه وهو كريه المرآة أي كريه المنظر

---

(١) رقم (١٦٣) في الإيمان : باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلاة . ورواه البخاري رقم (٣٤٩) في الصلاة : باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء .

كأكره ما أنت راءٍ من الرجال ، وقد سبق هذا من حديث سمرة بن جندب[1] .

فصل

[تفسير قوله تعالى ﴿ فليدع ناديه * سندع الزبانية ﴾]

قال الله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق : ١٧ - ١٨] قال أبو هريرة : الزبانية : الملائكة . وقال عطاء : هم الملائكة الغلاظ الشداد . وقال مقاتل : هم خزنة جهنم . وقال قتادة : الزبانية في كلام العرب : الشرط ، وقال عبد الله بن الحارث : الزبانية رؤوسهم في الأرض وأرجلهم في السماء ، خرجه ابن أبي حاتم .

وخرج أيضاً باسناده[2] عن المنهال بن عمرو قال :إذا قال الله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠] ابتدره سبعون ألف ملك ، وإن الملك منهم ليقول هكذا ـ يعني يفتح يديه ـ فيلقي سبعين ألفاً في النار .

(١) تقدم تخريجه ص (٩٩) .
(٢) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمر .
وأبو خالد هو أبو خالد الأحمر الكوفي سليمان بن حيان الأزدي قال في « التقريب » صدوق يخطىء .

الباب الخامس والعشرون

في ذكر مجيء النار يوم القيامة وخروج عنق منها يتكلم

قال الله عز وجل : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا[1] * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِـيء يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قدَّمْتُ لِحَياتي ﴾[الفجر : ٢١ ـ ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَت الطَّامَّةُ[2] الكُبْرَىٰ * يوم يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ * وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٤ ـ ٣٦] .

وقال الربيع بن أنس في قوله : ﴿ وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ ﴾ قال : كشف عنها غطاؤ ها .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٥ ـ ٧] .

وروى العلاء بن خالد الكاهلي عن أبي وائل ، عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يُؤْتَىٰ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ

---

(١) ﴿دكت﴾ : أي دقت وكسرت بالزلازل . ﴿دكاً دكاً﴾ : أي دكاً متتابعاً حتى صارت هباءً .

(٢) ﴿الطّامة الكبرى﴾ : أي الداهية العظمى أي يوم القيامة .

كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » خرجه مسلم من طريق حفص بن غياث عن العلاء به ، وخرجه الترمذي من طريق سفيان عن العلاء موقوفاً على ابن مسعود[١٥٩] ؛ ورجح وقفه العقيلي والدارقطني .

وخرج ابن أبي حاتم من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عطية عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بجهنَّم﴾ [الفجر : ٢٣] تغير لون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعرف ذلك في وجهه حتى اشتد ذلك على أصحابه، فسألوه فقال: «إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلَ فَأَقْرَأَنِي هَذِهِ الآيَةِ ، قَالَ : كَيْفَ يُجَاءُ بِهَا ؟ قَالَ : يَجِيءُ بِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَقُودُونَهَا بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ تَشْرُدُ مَرَّةً لَوْ تُرِكَتْ لأَحْرَقَتْ أَهْلَ الجَمْعِ وَمَنْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تُعْرضُ جَهَنَّمُ فَتَقُولُ : مَالِي وَمَالَكَ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ حَرَّمَ اللهُ لَحْمَكَ عَلَيَّ ، فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ إِلَّا قَالَ : نَفْسِي نَفْسِي وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ : أُمَّتِي أُمَّتِي » الوصافي شيخ صالح لا يحفظ فكثرت المناكير في حديثه .

وخرج أبو يعلى الموصلي من حديث أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِذَا جَمَعَ اللّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ أَقْبَلَتِ النَّارُ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، وَخَزَنَتُها يَكُفُّونَهَا وَهِيَ تَقُولُ : وَعِزَّةِ رَبِّي لَتُخَلُّنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ أَزْوَاجِي أَوْ لأَغْشِيَنَّ النَّاسَ عُنُقاً وَاحِداً ، فَيَقُولُونَ : مَنْ أَزْوَاجُكِ ، فَتَقُولُ : كُلُّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ »[١٦٠] .

وخرج الامام أحمد والترمذي[١٦١] من حديث الأعمش عن أبي صالح

---

١٥٩) رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) في صفة الجنة : باب في شدة حر نار جهنم ، والترمذي رقم (٢٥٧٦) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة النار .

١٦٠) قال الهيثمي في « المجمع » : ١٠/٢٩٢ : رواه أبو يعلى ، ورجاله وثقوا إلا أبا اسحاق مدلس .

١٦١) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٣٣٦ و الترمذي رقم (٢٥٧٧) في صفة جهنم : باب ما جاء في صفة النار ، قال الألباني : اسناده صحيح على شرط الشيخين . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٥١٢) .

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَخْرُجُ يَوْمَ القِيَامَةِ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، تَقُولُ : إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ : بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ ، وَبِالمُصَوِّرِينَ » وصححه الترمذي ، وقد قيل : إنه ليس بمحفوظ بهذا الإسناد ، وإنما يرويه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد .

فقد روى الأعمش وغير واحد عن عطية عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ : وُكِّلْتُ اليَوْمَ بِثَلَاثَةٍ : بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ ، فَتَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَتَقْذِفُهُمْ فِي غَمَرَاتِ جَهَنَّمَ » خرجه الامام أحمد[١٦٢] .

وخرجه البزار ولفظه « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ[(١)] ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرُ بِهِمَا ، وَلَهَا لِسَانٌ تَتَكَلَّمُ بِهِ ، فَتَقُولُ : إِنِّي أُمِرْتُ بِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِكُلِّ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ ، فَتَنْطَلِقُ بِهِمْ قَبْلَ سَائِرِ النَّاسِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ » وقد روي عن عطية عن أبي سعيد موقوفاً .

وروى ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران ، عن القاسم ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَتَنْطَوِي عَلَيْهِمْ وَتَتَغَيَّظُ عَلَيْهِمْ ، وَيَقُولُ ذَلِكَ العُنُقُ : وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ :، وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ ،

---

(١) « طلق ذلق » : أي فصيح بليغ ، على وزن صُرَد ، ويقال : طَلِقٌ ذَلِقٌ ، طلق ذلق ، وطَلِيقٌ ذَلِيقٌ ، ويراد بالجميع المضاء والنّفاذ ، وذَلْق كل شيء حدُّه .

---

(١٦٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/٤٠ . واسناده ضعيف .

وُكِّلْتُ بِثلاَثَةٍ ، وُكِّلْتُ بِمَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ ، وَوُكِّلْتُ بِمَنْ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسَابِ ، وَوُكِّلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، فَتَنْطوِي عَلَيْهِمْ ، فَتَطْرَحُهُمْ فِي غَمَراتِ جَهَنَّمَ » خرجه الامام أحمد[163] .

وروي عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَيَظِلُّ الخَلاَئِقَ كُلَّهُمْ ، فَيَقُولُ : أُمِرْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَزِيزٌ كَرِيمٌ ، وَمَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إلَهاً آخَرَ »[164]

ورواه أبو المنهال سيار بن سلامة عن شهر بن حوشب عن ابن عباس موقوفاً ، قال : إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ خَرجَ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ ، فَأَشْرَفَتْ عَلَىٰ الخَلاَئِقِ ، لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ ، وَلِسَانٌ فَصِيحٌ تَقُولُ : إنِّي وُكِّلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، فَتَلْقَطُهُمْ مِنَ الصُّفُوفِ فَتَحْبِسُهُمْ فِي نَارِ جَهنَّمَ ، ثُمَّ تَخْرُجُ ثَانِياً فَتَقولُ : إنِّي وُكِلْتُ بِمَنْ آذَىٰ اللهَ وَرَسُولَه ، فَتَلْقَطُهُمْ مِنَ الصُّفُوفِ فَتَحْبِسُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ تَخْرُجُ ثَالِثَةً ـ قال أبو المنهال : أحسب أنها قالتَ : إنِّي وُكِّلْتُ اليَوْمَ بِأَصْحَابِ التَّصَاوِيرِ ، فَتلْقَطُهُمْ مِنَ الصُّفُوفِ ، فَتَحْبِسُهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

وفي حديث الصور الطويل الذي خرجه اسحاق بن راهويه وأبو يعلى الموصلي وغيرهما باسناد فيه ضعف عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَىٰ جَهَنَّمَ فَيُخْرِجُ مِنْهَا عُنُقٌ سَاطِعَةٌ مُظْلِمَةٌ فَيَقُولُ : ﴿ وَامْتَازُوا اليَوْمَ أَيُّهَا المُجْرِمُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَفَلَمْ تكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس : ٥٩ ـ ٦٢] .

---

١٦٣) رواه أحمد في « المسند » ٦/١١٠ ، واسناده ضعيف .

١٦٤) وفيه شهر بن حوشب ، قال عنه الحافظ ابن حجر في « تقريب التهذيب » ١/٣٥٥ : صدوق ، كثير الإرسال والأوهام .

وخرج ابن أبي الدنيا من طريق الشعبي ، عن أبي هريرة قال : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زُمَامٍ آخذُ بِكُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، وَهِي تَمَايَلُ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ تُوقَفُ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ ، وَيُلْقِي اللهُ عَلَيْهَا الذِّلَ يَوْمَئِذٍ ، فَيُوحِي اللهُ إِلَيْهَا مَا هَذَا الذلُ ؟ فَتَقُولُ : يَا رَبِّ أَخَافُ أَنْ يَكُونَ لَكَ فِيَّ نَقْمَةٌ ، فيُوحِي اللهُ إِلَيْهَا : إِنَّمَا خَلَقْتُكِ نَقْمَةً وَلَيْسَ لِي فِيكَ نَقْمَةٌ ، وَيُوحِي اللهُ إِلَيْهَا فَتَزْفَرُ زَفْرَةً لَا تَبْقِي دَمْعَةٌ فِي عَيْنٍ إِلَّا جَرَتْ ، ثُمَّ تَزْفُرُ أُخْرَىٰ فَلَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا صُعِقَ إِلَّا نَبِيُّكُمْ ، نَبِيُّ الرَّحْمَةِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ : يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي » .

وروى عبد الله بن الامام أحمد باسناده عن أبي عبد الله الجدلي ، عن عبادة بن الصامت وكعب قالا : يخرج عنق من النار فيقول : أمرت بثلاثة : بمن جعل مع الله إلهاً آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبكل معتد ، ألا إني أعرف بالرجل من الوالد بولده والمولود بوالده .

* * *

الباب السادس والعشرون

في ضرب الصراط على متن جهنم ومرور الموحدين عليه

روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديثاً طويلاً قال : « ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةَ ، فَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الجِسْرُ ؟ قَالَ : « دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ ، يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ ، فَيَمُرُّهُ المُؤْمِنُ كَطَرَفِ العَيْنِ وَكَالبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ والرِّكَابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ وَمَكَردسٌ[1] عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي النَّارِ » خرجاه في « الصحيحين » وفي رواية للبخاري « حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً » وفي رواية لمسلم قال أبو سعيد

---

(١) « الدحض » : أي الزّلق . « الخطاطيف » : جمع خُطاف وهو حديدة معقوفة الرأس يعلق فيها اللحم وغيره . « حسكة » : هي شوكة صلبة معروفة .

« السَّعدان » : هو نبت ذو شوك ، وهو من أطيب مراعي الإبل وهي تسمن عليه . « أجاويد » هي أجاويد الخيل . « الركاب » : جمعها : الرُّكب وهي الرواجل من الإبل وقيل : جمع ركوب ، وهو ما يركب من كل دابة .

« المكردس » : الذي جمعت يداه ورجلاه وألقي إلى موضع ، كما قال في « النهاية » .

الخدري : بَلَغَنِي أَنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدُّ من السَّيْفِ(*) .

وروى آدم بن أبي اياس في « تفسيره » حدّثنا أبو عمرو الصنعاني ، عن زيد بن أسلم ، فذكر الحديث ولفظه : « يَمُرُّ المُؤْمِنُونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ بِنُورِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرَفِ العَيْنِ » وذكر الحديث .

وخرجا في «الصحيحين »(١٦٥) أيضاً من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الحديث وفيه قال : « وَيُضْرَبُ الجِسْرُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وأُمَّتِي أَوَّلُ مَنْ يُجِيزُهُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ إلَّا الرُّسُلُ وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَفي جَهَنَّمَ كَلَالِيبَ مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ ؟ » قالوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: « فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمُ المُوبَقُ(١) بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ المُجَازَىٰ حَتَّىٰ يُنَجَّىٰ . . . » وذكر الحديث وفي آخره قال : وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً .

وخرج مسلم(١٦٦) من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربعي عن حذيفة . كلاهما عن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) « الموبق » : أي المهلك ، يقال : وَبَقَ يَبِق ، ووَبِق يَوْبَقُ ، فهو وَبِقٌ : إذ هلك ، وأوبقه غيرُه ، فهو مُوبَقْ .

(*) تقدم تخرجه ص (١٩٨) وسيرد لفظ الحديث ص ٢٣٦ و٢٥٦ .

١٦٥) رواه البخاري رقم (٦٥٧٣) في الرقاق : باب الصراط جسر جهنم ، ومسلم (١٨٢) في الإيمان ، وأحمد ٢/٢٧٥ و ٢٧٦ .

١٦٦) رقم (١٩٥) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

سلم ، فذكر حديث الشفاعة ، وفيه قال : « فَيَأْتُونَ مُحمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم فَيَقُومُ وَيُؤْذَنُ لَهُ ، وَتُرْسَلُ مَعَهُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ ، فَيَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً ، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالبَرْقِ » قَالَ : قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ البَرْقِ ، قَالَ : « أَلَمْ تَرَوا إِلَىٰ البَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ ، وأشد الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وآله وسلم قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ العِبَادِ ، وَحَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَايستطيع السَّيْرَ إِلَّا زَحْفاً » قال : « وَفِي حَافَتَيَ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِأَخْذِهِ ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ » وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفاً .

وفي حديث الصور الطويل الذي سبقت الإشارة إليه عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ كَقَدْرِ الشَّعْرَةِ أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ ، لَهُ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ ، وَحَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ دُونَهُ جِسرٌ دَحْضٌ مَزْلَقَةٌ » وهو يشعر بالتفريق بين الجسر والصراط . والأحاديث الصحيحة السابقة تدل على أنهما واحد .

وروى أبو خالد الدالاني عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فذكر حديثاً طويلاً وفيه قال : « وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ مَزَّلَةٌ قَالَ : فَيَقُولُونَ : انْجُوا عَلَىٰ قَدْرِ نُورِكُمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الكَوْكَبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمرُّ كالرِّيحِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَأَشَدِّ الرِّجَالِ وَيَرْمِلُ رَمْلاً ، فَيَمُرُّونَ عَلَىٰ قَدرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى ابْهَامِ قَدَمَيْهِ تَخِرُّ يَدٌ وَتَتَعَلَّقُ يَدٌ ، وَتَخِرُّ رِجْلٌ وَتَعْلَقُ رِجْلٌ فَتُصِيبُ جَوَانِبِهِ النَّارُ » خرجه الحاكم وصححه هو وغيره

من الحفاظ(١٦٧) .

وفي « سنن أبي داود »[١٦٨] عن الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَالَكِ يَا عَائِشَةُ ؟ » قالت : ذَكَرْتُ النَّارَ فبَكَيْتُ ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« أَمَّا فِي ثَلاَثَةِ مَوَاطِنٍ فَلاَ يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً : عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُل ، وَعِنْدَ الكِتَابِ حِينَ يُقَالُ : ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهْ﴾ [الحاقة : ١٩] ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ ، وَعِنْدَ الصِّرَاط إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ وفي حافيته (١) كَلاَلِيبَ كَثِيرةٌ ، وَحَسَكٌ كَثِيْرَةٌ ، يَحْبُسُ اللهُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَنْجُو أَمْ لاَ » .

وروى ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه إلا أنه ذكر الميزان وتطاير الكتب ، وخروج عنق من النار ، وقال : « وَلِجَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ ، وَعَلَيْهِ كَلاَلِيبَ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَآءَ اللهُ ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرقِ وَكالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، وَالمَلاَئِكَةُ يَقُولُونَ : رَبِّ ! سَلِّمْ سَلِّمْ ، فَنَاجٍ مُسْلَمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُسْلَّمٌ ، وَمَكَرْدَسٌ في النَّارِ عَلَىٰ وَجْهِهِ » خرجه الإمام أحمد[١٦٩] .

---

(١) في الأصل « حافتاه » والتصويب مما قبله .

---

١٦٧) رواه الحاكم في « المستدرك » ٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧ وصححه ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣ ، وقال : رواه الطبراني من طرق ، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة .

١٦٨) رقم (٤٧٥٥) في السنة : باب ذكر الميزان ، إلى قوله « بين ظهراني جهنم » وهو حديث حسن . انظر حديث مسلم الذي تقدم ص « ٢٢٩ ـ ٢٣٠ » .

١٦٩) رواه أحمد في « المسند » ٦/ ١١٠ وإسناده ضعيف .

وروى أبو سلام الدمشقي ، حدثني عبد الرحمن ، حدثني رجل من كندة ، قال : أتيت عائشة ، فقلت : حدثك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يأتي عليه ساعة لا يملك لأحد فيها شفاعة ؟ قالت : لقد سألته عن هذا ، قال : « نَعَمْ حِينَ يُوضَعُ الصِّرَاطُ لاَ أَمْلِكُ لِأَحَدٍ فِيهِ شَفَاعَةً حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَيْنَ يُسْلَكُ بِيَ ، وَيَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ حتى أَنْظُرَ مَاذَا يُفْعَلُ بِيَ » أو قال : « يُوحَى إِلَيَّ وَعِنْدَ الجِسْرِ حِينَ يَسْتَحِدُّ وَيَسْتَحِرُّ » قلت : وما يستحد وما يستحر ؟ قالت : يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف ، ويستحر حتى يكون مثل الجمرة ، فأما المؤمن فيجيزه لا يضره ، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ وسطه خر من قدميه ، فهوى بيده إلى قدميه ، قالت : فهل رأيت من يسعى حافياً فتأخذه شوكة حتى كادت تنفذ قدميه ، فانها كذلك يهوي بيده ورأسه إلى قدميه ، فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدميه فتقذفه في جهنم ، فيهوي فيها مقدار خمسين عاماً » قلت : وما ثقل الرجل قال : ثقل عشر خلفات سمان فيومئذ ﴿ يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُم فَيُؤْخَذُ بالنَواصي وَالأَقْدَام ﴾ [الرحمن : ٤١] خرجه بقي بن مخلد في « مسنده » وابن أبي حاتم في « تفسيره » وفي إسناده جهالة وفي بعض ألفاظه نكارة .

والأحاديث الصحيحة تدل على أن الصراط إنما يوضع بعد الإذن في الشفاعة كما سبق ، وخرج الإمام أحمد[170] من حديث أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَتَتَقَاذَعُ بِهِمْ جَنبتَا الصِّرَاطِ تَقَاذُعَ الفَرَاشِ فِي النَّارِ، فَيُنَجِّي الله بِرَحْمَتِهِ مَنْ شَآءَ» .

وخرج الحاكم من حديث سلمان الفارسي ، عن النبي صلى الله عليه

---

١٧٠) رواه أحمد في « المسند» ٤٣/٥ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد» ١٠/ ٣٥٩ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في « الصغير » و« الكبير» بنحوه ، ورواه البزار أيضاً ، ورجاله رجال الصحيح .

وآله وسلم ، قال : « يُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلُ حَدِّ المُوسَى ، فَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ : مَنْ يَنْجُو عَلَىٰ هٰذَا ، فَيَقُولُ : مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي ، فَيَقُولُونَ : سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ »[170] وقال : صحيح . قلت : المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله .

وخرج الحاكم[171] أيضاً من حديث أبي رزين العقيلي ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « وَتَسْلِكُونَ جِسْراً مِنَ النَّارِ يَطَأُ أَحَدُكُم الجَمْرَةَ ، فَيَقُولُ : حِسّ حِسّ(١) ، فَيَقُولُ رَبُّكَ : أَدْنِهِ » .

وخرج البيهقي من حديث زياد النميري ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « الصِرَاطُ كَحَدِّ الشَّفْرَةِ أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ يُنْجُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ، وَإِنَّ جِبْرِيلَ لأَخِذٌ بِحَجْزَتِي(٢) ، وَإِنِّي لأَقُول : يَا رَبِّ ! سَلِّمْ سَلِّمْ ، فَالزَّالُونَ وَالزَّالاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ » .

وخرج أيضاً من حديث سعيد بن زربي عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « عَلَىٰ جَهَنَّم جِسْرٌ مَجْسُورٌ أَدَقّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ أَعْلاَهُ نَحْوَ الجَنَّةِ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، بِجَنْبَتَيْهِ كَلاَلِيبَ وَحَسَكَ مِنَ النَّارِ ، يَحْبِسُ اللهُ بِهَا مِنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ، الزَّالُونَ والزَّالاَتِ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَالمَلاَئِكَةُ بِجَانِبَيهِ قِيَامٌ يُنَادُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، فَمَنْ جَاَءَ بِحَق يَوْمَئِذٍ جَازَ ، وَيُعْطُونَ النُّورَ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ قَدَرِ إِيْمَانِهِمْ وأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْضِي

---

(١) « حَسّ » : بكسر السين والتشديد : كلمة يقولها الإنسان عند التألم من شيء محس .
(٢) اي وسطي .

---

١٧٠) « المستدرك » ٤/٥٨٦ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وأوله : « يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت . . . » الحديث .

١٧١) هو جزء من حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه ص (٨٠) .

عَلَيْهِ كَلَمحِ البَرْقِ ، وَمِنْهُم مَنْ يَمْضِي عَلَيْهِ كَمَرِّ الرِّيحِ ، وَمِنْهُم مَنْ يَمْضِي عَلَيْهِ كَمَرِّ الفَرَسِ السَّابِقِ ، وَمِنْهُم مَنْ يَشْتَدَّ عَلَيْهِ شَدّاً ، وَمِنْهُم مَنْ يُهَرْوِلُ ، وَمِنْهُم مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ إِلَىٰ مَوْضِعِ قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُم مَنْ يَحْبُو حَبْواً(١) ، وَتَأْخُذُ النَّارُ مِنْهُم بِذُنُوبٍ أَصَابُوها ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ المُؤْمِنُ : ﴿ بِسْمِ اللهِ ﴾ حِسْ حِسْ ، وَيَلْتَوِي ، وَهِيَ تَحْرِقُ مَنْ شَاءَ اللهُ مِنْهُمْ عَلَىٰ قَدَرِ ذُنُوبِهِمْ » ثم قال البيهقي في زياد النميري ويزيد الرقاشي وسعيد بن زربي : ليسوا بأقوياء .

خرج أيضاً من حديث عبيد بن عمير ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « الصِّرَاطُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ مِثْلَ حَرْفِ السَّيْفِ بِجَنَبَتَيْهِ الكَلَالِيبُ وَالحَسَكُ ، فَيَرْكَبُهُ النَّاسُ ، فَيَخْتَطِفُونَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُؤْخَذُ بِالكُلُوبِ الوَاحِدِ أَكْثَرَ مِنْ رَبِيعَةَ وَمَضَرَ » وهذا مرسل ، وخرجه من وجه آخر موقوفاً على عبيد بن عمير مختصراً .

وخرج أيضاً باسناده ابن مسعود ، قال : « الصِّرَاطُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ مِثْلَ حَدِّ السَّيْفِ »(٢) .

وخرج الترمذي باسناد فيه ضعف عن المغيرة بن شعبة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « شِعَارُ المُؤْمِنِينَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » ويروى نحوه من حديث أنس مرفوعاً باسناد لا يصح[173] .

وروى منصور بن عمار عن ابن لهيعة ، عن أبي قبيل ، عن عبد الله بن

---

(١) « الحبو » : أن يمشي على يديه وركبتيه ، أو استه ، وحبا البعير إذا برك ثم زحف من الاعياء ، وحبا الصبي : إذا زحف على استه .

(٢) سيأتي قول المصنف رحمه الله تعالى تخريجه ص (٢٤٨) .

---

١٧٣) رقم (٢٤٣٤) في صفة القيامة : باب ما جاء في شأن الصراط والحاكم ٢ / ٣٧٥ ، وهو حديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٣٣٩٨) .

عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « شِعَارُ أُمَّتِي إِذَا حُمِلُوا عَلَىٰ الصِّرَاطِ : لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ » وهذا فيه نكارة ، والله أعلم .

وفي « صحيح مسلم »[١٧٤] عن مسروق ، عن عائشة أنها سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين يكون الناس ﴿ يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ ؟ قال : « عَلَىٰ الصِّرَاطِ » .

وفيه[١٧٥] أيضاً عن ثوبان أن حَبراً من اليهود سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ قال : « هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ » قَالَ : فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً ؟ قَالَ : « فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ » وذكر الحديث .

ويمكن الجمع بين الحديثين بأن الظلمة دون الجسر حكمها حكم الجسر، وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر ، فقد يقع تبديل الأرض والسموات وطي السماء من حين وقوع الناس في الظلمة ، ويمتد ذلك الى حال المرور على الصراط ، والله أعلم .

واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ، ومشرك يعبد مع الله غيره ، فأما المشركون فانهم لا يمرون على الصراط ، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط ، ويدل على ذلك ما في « الصحيحين »(*) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال :

---

(١٧٤) رقم (٢٧٩١) في صفات المنافقين وأحكامهما : باب في البعث والنشور ، والترمذي رقم (٣١٢٠) في التفسير : باب ومن سورة ابراهيم عليه السلام .

(١٧٥) قطعة من حديث طويل رواه مسلم رقم (٣١٥) في الحيض : باب بيان صفة مني الرجل والمرأة ، وأن الولد مخلوق من مائهما .

(*) قطعة من حديث الشفاعة ، وتقدم تخريجه رقم (١٣) ص (٢٣) .

« يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتَّبِعُ الشَّمْسَ مَنْ يَعْبُدُهَا ، وَيَتَّبِعُ القَمَرَ مَنْ يَعْبُدُ القَمَرَ ، وَيَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ مَنْ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الأُمَّةُ فيهَا مُنَافِقُوهَا » فذكر الحديث الى أن قال : « وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهُ » .

وفيهما(**) أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِتَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، فَلاَ يَبْقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنامِ وَالأَنْصَابِ إلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّىٰ إذا لَمْ يَبْقَ إلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنَ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبِرَّ أَهْلِ الكِتَابِ ، فَيُدْعَىٰ اليَهُودُ ، فَيُقَالَ [لهُمْ] : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ ، فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ قَالُوا : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا ، فَيُشارُ إليْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إلىٰ النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ (١) يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّار ، ثُمَّ يُدْعىٰ النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا : كُنا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابنَ الله ، فَيُقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ قَالُوا : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فاسْقِنَا ، فَيُشَارُ إلَيْهِمْ أَلاَ تَرِدُونَ ؟ فَيُحْشَرُونَ إلى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ (١) يَحْطِمُ بَعْضَهَا بَعْضاً فَيَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ ، حَتَّى إذَا لَمْ يَبْقَ إلاّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعالى مِنْ بَرٍّ وَفاجِرٍ ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِيْنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِيْ أَدْنَىٰ صُوْرَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيْهَا . قَالَ : فَمَا تَنْتَظِرُوْنَ ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ . قَالُوا : يَا رَبَّنا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ . فَيَقُوْلُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُوْلُوْنَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ . لاَ نُشْرِكُ

(١) « السراب » : الذي يكون نصف النهار ، لاطئاً بالأرض ، لاصقاً بها ، كأنه ماء جار .

(**) تقدم تخريجه برقم (١٤٥) ص (١٩٨) .

بِالله شَيْئاً (مَرَّتين أَوْ ثلاثاً). حَتَّىٰ إنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لله مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إلَّا أَذِنَ الله بِالسُّجُودِ ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقاءً وَرِياءً إلَّا جَعَلَ الله ظَهْرَهُ طَبقةً واحدة ، كُلَّمَا أراد أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وقَدْ تَحَوَّلَ في صُورتِهِ الَّتي رَأَوْهُ فِيها أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فيَقُولُ : أنَا رَبُّكُمْ ، فيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنا ، ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّم . . » وذكر الحديث وعند البخاري في رواية « ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّها السَّرابُ ، فَيُقالُ لِلْيَهُودِ · ماكُنْتُم تَعْبُدُونَ ؟ . . » وذكر الباقي بمعناه .

فَهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعزير من أهل الكتاب فانه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط ، إلا أن عباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا ، فترد النار مع معبودها أولاً ، وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ ﴾ [هود : ٩٨] وأما من عبد المسيح والعزيز من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين الى الأنبياء ثم يردون في النار بعد ذلك .

وقد ورد في حديث آخر أن من كان يعبد المسيح يمثل له شيطان المسيح فيتبعونه ، وكذلك من كان يعبد العزير ، وفي حديث الصور أنه يمثل لهم ملك على صورة المسيح وملك على صورة العزير ، ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر سواء كان صادقاً أو منافقاً من هذه الأمة وغيرها ، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود ، وكذلك

يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين .

وقد اختلف السلف هل يقسم للمنافق نور مع المؤمنين ثم يطفأ أو لا يقسم له نور بالكلية على قولين . فقال :

أحدهما ـ إنه لا يقسم له نور بالكلية .

قال صفوان بن عمرو : حدّثني سليم بن عامر سمع أبا أمامة يقول : يغشى الناس ظلمة شديدة ـ يعني يوم القيامة ـ ثم يقسم النور ، فيعطي المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً ، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه قال تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ في بَحْرٍ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْج من فَوْقِهِ مَوْجٌ من فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْض إذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾ [النور: ٤٠] فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير و﴿ يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ لِلَّذِين آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُم قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُم فالتَمِسُوا نُوراً ﴾ [الحديد : ١٣] قال : وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين ، قال عزّ جلاله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُم ﴾ [النساء : ١٤٢] فيرجعون الى الموضع الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً ، فينصرفون اليهم ﴿ فضُربَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ باطِنُهُ فيهَ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذَابُ ﴾ الى قوله ﴿ وَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ [الحديد : ١٣ ـ ١٥] .

قال سليم : فلا يزال المنافق مغتراً حتى يقسم النور ، ويميز الله بين سبيل المؤمن والمنافق ، خرجه ابن أبي حاتم .

وخرج أيضاً من رواية مقاتل بن حيان والضحاك عن ابن عباس ما يدل على مثل هذا القول أيضاً ، ولكنه منقطع .

والقول الثاني : أنه يقسم للمنافقين النور مع المؤمنين كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا .

ثم يطفأ نور المنافق إذا بلغ السور ، قاله مجاهد ، وروى عتبة بن يقظان عن عكرمة عن ابن عباس قال : ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نوراً يوم القيامة ، فأما المنافق فيطفأ نوره ، فالمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق فهم ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم : ٨] وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه ، وكذا روى جويبر عن الضحاك ، وسنذكر في الباب الآتي إن شاء الله من حديث جابر ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مايدل على صحة هذا القول .

وقال آدم بن أبي اياس : أنبأنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يُدْفَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ إلىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ نُورٌ ، وَإلىٰ كُلِّ مُنَافِقٍ نُورٌ فَيَمْشُونَ مَعَهُ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ إذْ غَشِيَتْنَا(١) ظُلْمَةٌ فَيُطْفَأُ نُورُ المُنافِقِ وَيَضِيءُ نُورُ المُؤْمِنِ فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿ قالُوا رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَّا ﴾[التحريم : ٨] حَينَ يُطْفَى نُورُ المُنَافِقِينَ » ١٧٦ .

وقد سبق صفة مشي المنافق على الصراط في حديث عائشة ، وإن كان في اسناده ضعف .

وروى بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام ، قال : يوضع الجسر على جهنم ، ثم ينادي مناد : أين محمد وأمته ؟ فيقوم فتتبعه أمته برها وفاجرها ، قال : فيأخذون الجسر ، فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون فيها من شمال ويمين ، وينجو النبي والصالحون معه ، ثم ينادي مناد : أين عيسى وأمته فيقوم ، فتتبعه أمته برها وفاجرها ، فيأخذون بالجسر ، فيطمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون فيها من شمال ويمين ، وينجو النبي والصالحون معه ، ثم يتبعهم الأنبياء والأمم حتى يكون آخرهم نوح ، رحم الله نوحاً .خرجه ابن خزيمة وغيره .

---

(١) في الأصل « غشينا » وصوبناه من حديث جابر ص ٢٥٠ .

١٧٦) قال الحافظ في « التقريب » ٢ / ٢٢٧ : مبارك بن فضالة صدوق يدلس ويسوي . والحسن يرسل ويدلس وقد أرسله .

وقد تبين بما ذكرنا في هذا الباب من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما أن اقتسام المؤمنين الأنوار على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة ، وكذلك مشيهم على الصراط في السرعة والبطء ، وهذا أيضاً مذكور في حديث حذيفة وأبي هريرة وغيرهما .

وروى أبو الزعراء عن ابن مسعود قال : يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم ، فيمر الناس على قدر أعمالهم زمراً زمراً ، أوائلهم كلمح البرق ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطيَر ، ثم كمر البهائم حتى يمر الرجل سعياً ، وحتى يمر الرجل مشياً ، حتى يجيء آخرهم يتلبط على بطنه ، فيقول: يا رب لم بطأت بي؟فيقول: إني لم أبطىء بك،إنما أبطأ بك عملك.

وذلك أن الإيمان والعمل الصالح في الدنيا هو الصراط المستقيم في الدنيا الذي أمر الله العباد بسلوكه والاستقامة عليه ، وأمرهم بسؤال الهداية إليه ، فمن استقام سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ظاهراً وباطناً استقام مشيه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم ، ومن لم يستقم سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ، بل انحرف عنه إما إلى فتنة الشبهات أو إلى فتنة الشهوات ، كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له عن هذا الصراط المستقيم ، كما في حديث أبي هريرة « إنها تخطف الناس بأعمالهم »(*) .

وروى الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ ﴾ [الفجر : ١٤] قال : من وراء الصراط ثلاثة جسور ، جسر عليه الأمانة ، وجسر عليه الرحم ، وجسر عليه الرب تبارك وتعالى .

وقال أيفع بن عبد الكلاعي : لجهنم سبع قناطر والصراط عليها ، وذكر

(*) هو في مسلم رقم (١٨٢) . وتقدم تخريجه ص (٢٢٩) برقم (١٦٥) .

أنه يحبس الخلق عند القنطرة الأولى فيسألون عن الصلاة ، فيهلك من يهلك وينجو من ينجو ، ويحبسون عند القنطرة الثانية فيسألون عن الأمانة هل أدوها أم أضاعوها . فيهلك من يهلك ، وينجو من ينجو ، ثم يحبسون عند الثالثة ، فيسألون عن الرحم .

وقد ذكرنا فيما تقدم غير حديث في حبس الولاة على جسر جهنم وتزلزل الجسر بهم(*) .

وخرج أبو داود [177] من حديث معاذ بن أنس الجهني ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « مَنْ رَمَىٰ مُسْلِماً بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ [(1)] حَبَسَهُ اللهُ عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ » وقد روي بلفظ آخر وهو « مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لاَ يَعْلَمُ حَبَسَهُ اللهُ عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ » .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن أبي سليمان الداراني قال : وصفت لأختي عبدة قنطرة من قناطر جهنم ، فأقامت يوماً وليلة في صيحة واحدة ما أمسكت ، ثم انقطع عنها بعد ، فكلما ذكرت لها صاحت قيل له : من أي شيء كان صياحها ، قال : مثلت نفسها على القنطرة وهي تكفأ بها(2) ، وكان أبو سليمان يقول : اذا سمعت الرجل يقول لآخر : بيني وبينك الصراط ، فاعلم أنه لا يعرف الصراط ولا يدري ما هو ، لو عرف الصراط أحب أن لا يتعلق بأحد ولا يتعلق به أحد .

وكان أبو مسلم الخولاني يقول لامرأته : يا أم مسلم شدي رحلك فليس على جسر جهنم معبر .

---

(1) « **شينه** » : أي عيبه ، الشين : العيب .

(2) « تكفأ بها » : أي تنقلب بها ، أو تميل بها .

(*) تقدم الحديث في الصفحة ص ١٢١ فانظره .

١٧٧) رقم (٤٨٨٣) في الأدب : باب من رد عن مسلم غيبة ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٤٤١ ، وإسناده ضعيف .

وروى ابن أبي الدنيا من طريق معاوية بن أبي صالح ، عن أبي اليمان أن رجلاً كان شاباً أسود الرأس واللحية ، فنام ليلة ، فرأى في نومه كأن الناس حشروا وإذا بنهر من لهب النار ، وإذا جسر يجوز الناس عليه يدعون بأسمائهم ، فإذا دعي الرجل أجاب فناجٍ وهالك ، قال : فدعاني باسمي فدخلت في الجسر ، فإذا حده كحد السيف يمور بي يميناً وشمالاً . قال : فأصبح الرجل أبيض اللحية والرأس مما رأى .

وسمع أسود بن سالم رجلاً ينشد هذين البيتين :

أَمَامِي مَوْقِفٌ قُدَّام رَبِّي ... يُسَائِلُني وَيَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ
وَحَسْبِي أَنْ أَمُرَّ عَلى صِرَاطٍ ... كَحدِّ السَّيْفِ أَسْفَلُهُ لَظَاءُ

فغشي عليه .

وروي عن بشر بن الحارث قال : قال لي فضيل بن عياض : يا بشر ! مسيرة الصراط خمسة عشر ألف فرسخ ، فانظر كيف تكون على الصراط .

وقال محمد بن السماك : سمعت رجالاً من زهاد أهل البصرة يقولون : الصراط ثلاثة آلاف سنة ، ألف سنة يصعدون فيه ، وألف سنة يستوي بهم ، وألف سنة يهبطون منه .

وروى فيض بن اسحاق عن الفضيل قال : الصراط أربعون ألف فرسخ .

وروى ابن أبي الدنيا في « كتاب الأولياء » من حديث جعفر بن سليمان ، قال : سمعت مالك بن دينار يسأل علي بن زيد ـ وهو يبكي ـ فقال : يا أبا الحسن كم بلغك أن ولي الله يحبس على الصراط ، قال : كقدر رجل في صلاة مكتوبة أتم ركوعها وسجودها ، قال : فهل بلغك أن الصراط يتسع لأولياء الله ؟ قال : نعم .

ومن حديث رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، قال : بلغنا أن الصراط يكون على بعض الناس أدق من الشعر ، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع .

وقال سهل التستري : من دق عليه الصراط في الدنيا عرض له في الآخرة ، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق عليه في الآخرة . ومعنى هذا أن من ضيق على نفسه في الدنيا بإتباع الأمر واجتناب النهي وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم في الدنيا كان جزاؤه أن يتسع له الصراط في الآخرة ، ومن وسع على نفسه في الدنيا باتباع الشهوات المحرمة والشبهات المضلة حتى خرج عن الصراط المستقيم ضاق عليه الصراط في الآخرة ، بحسب ذلك ، والله أعلم .

رأى بعض السلف رجلاً يضحك ، فقال له : ما أضحكك ؟ ليس تقر عينك أبداً أو تخلف جهنم وراءك .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدّثنا يونس الحذاء ، عن أبي حمزة البيساني ، عن معاذ بن جبل يرفعه ، قال : « إِنَّ المُؤْمِنَ لاَ تَسْكُنُ رَوْعَتُهُ ، وَلاَ يَأْمَنُ اضْطِرابُهُ حَتَّىٰ يَخْلُفَ جِسْرَ جَهَنَّمَ خَلْفَ ظَهْرِهِ » خرجه ابن أبي حاتم ، وقال : أبو حمزة مجهول ويونس الحذاء ، قال : وأبو حمزة عن معاذ مرسل ، والله أعلم .

***

الباب السابع والعشرون

في ذكر ورود النار

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ منكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقُوا وَنَذَرُ الظَّالِمينَ فيهَا جِثِيًّا [1] ﴾ [مريم : ٧١ ـ ٧٢] .

روى اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال : بكى عبد الله بن رواحة فبكت امرأته ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : رأيتك تبكي فبكيت ، قال : إني ذكرت هذه الآية ﴿ وَإِنْ مِنْكُم إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ وقد علمت أني داخلها ، فلا أدري أناج منها أنا أم لا .

وروى ابن المبارك عن عباد المقبري ، عن بكر المزني قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ ذهب ابن رواحة الى بيته فبكى ، وجاءت المرأة فبكت وجاءت الخادم فبكت ، ثم جاء أهل البيت فجعلوا يبكون كلهم ، فلما انقطعت عبرته قال : يا أهلاه ما يبكيكم ؟ قالوا : لا ندري ، ولكنا رأيناك تبكي فبكينا ، قال : آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينبئني فيها ربي أني وارد النار ولم ينبئني أني صادر عنها .

وقال موسى بن عقبة في « مغازيه » : زعموا أن ابن رواحة بكى حين

---

(١) ﴿ جثيّاً ﴾ : أي باركين على ركبهم لشدة الهول .

أراد الخروج الى مؤتة ، فبكى أهله حين رأوه يبكي ، فقال : والله ما بكيت جزعاً من الموت ولا صبابة لكم ، ولكني بكيت جزعاً من قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها ﴾ فأيقنت أني واردها ، فلا أدري أنجو منها أم لا .

وقال حفص بن حميد عن شمر بن عطية كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا قرأ هذه الآية يبكي ، ويقول : رب أنا ممن تنجي أم ممن تذر فيها جثياً .

وروى أبو اسحاق عن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه ، قال : يا ليت أمي لن تلدني ، فقالت له امرأته : يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك هداك للإسلام ، قال : أجل إن الله قد بَيَّنَ لنا أنّا واردو النار ولم يبين أنّا صادرون منها .

وروينا من طريق سفيان بن حسين عن الحسن ، قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا التقوا يقول الرجل منهم لصاحبه : هل أتاك أنك وارد النار ، فيقول : نعم ، فيقول : هل أتاك أنك خارج منها ، فيقول : لا ، فيقول : ففيم الضحك إذاً ؟

وقال ابن عيينة عن رجل عن الحسن ، قال رجل لأخيه : يا أخي هل أتاك أنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : هل أتاك أنك خارج منها ؟ قال ، لا ، قال : ففيم الضحك إذاً ؟ قال : فما رؤ ي ضاحكاً حتى مات .

وقال الامام أحمد : حدّثنا هاشم بن القاسم ، حدّثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها ﴾ قال : قال رجل لأخيه : فقد جاءك عن الله أنك وارد جهنم ؟ قال : نعم ، قال : فأيقنت بالورود ؟ قال : نعم ، قال : فأيقنت وصدقت بذلك ؟ قال : نعم ، وكيف لا أصدق وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها كَانَ عَلَىٰ ربِّكَ حَتْمَاً مَقْضياً ﴾ قال : فأيقنت أنك صادر عنها ، قال : والله ما أدري أأصدر عنها أم

لا ، قال : ففيم التثاقل وفيم الضحك وفيم اللعب ؟ .

قال أحمد : وحدثنا خلف بن الوليد ، حدّثنا المبارك ، قال : سمعت الحسن يقول : لا والله إن* أصبح فيها مؤمن إلا حزيناً وكيف لا يحزن المؤمن ، وقد جاءه عن الله أنه وارد جهنم ولم يأته أنه صادر عنها .

قال أحمد : وأنبأنا حسين بن محمد ، حدّثنا ابن عياش ، عن عبد الله بن دينار أن لقمان ، قال لابنه : يا بني كيف يأمن النار من هو واردها .

وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في تفسير الورود ، فقالت طائفة : الورود هو المرور على الصراط ، وهذا قول ابن مسعود وجابر والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والكلبي وغيرهم .

وروى اسرائيل عن السدي قال : سألت مُرَّة الهَمْدَاني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُها﴾ فحدثني عن ابن مسعود أنه حَدَّثهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمالِهِمْ ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ البَرْقِ ، ثُمَّ كَالرِّيحِ ، ثُمَّ كَحُضْرِ (١) الفَرَسِ ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجْلِ ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ » . خرجه الترمذي [178] ، وقال : حديث حسن . وخرج الإمام أحمد أوله ، وخرجه الحاكم وقال : صحيح ، ورواه شعبة عن السدي عن مرة عن عبد الله موقوفاً ولم يرفعه شعبة مع أنه أقر بأن السدي حدثه به مرفوعاً . قال الدارقطني : يحتمل أن يكون مرفوعاً .

(*) « إن » للنفي بمعنى ما .

(١) « كحضر الفرس » الحُضْر : بالضم العَدْوُ ، وأَحْضَر يُحْضِرُ فهو مُحْضِرٌ إذا عدا .

---

١٧٨) رقم (٣١٥٨) في التفسير : باب ومن سورة مريم ، وأحمد في «المسند» ١/٤٣٣ و٤٣٥ ، والدارمي رقم (٢٨١٢) وصححه الحاكم ٢/٣٧٥ ، وقال: حديث على شرط مسلم ووافقه الذهبي . انظر «جامع الاصول» رقم (٧١٨) . و«الأحاديث الصحيحة» رقم (٣١١) .

قلت : ورواه أسباط عن السدي عن مرة الهمداني عن عبد الله موقوفاً أيضاً ، فقال : « يَرِدُ النَّاسُ الصِّراطَ جَمِيعاً وَوُرُودِهِمْ قِيامُهُمْ حَوْلَ النَّارِ ، ثُمَّ يُصَدُّرونَ عَنِ الصِرَاطِ بِأَعْمالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالبَرْق » فذكر الحديث بطوله وفي آخره « حَتَّىٰ إنَّ آخِرُهُمْ مَرَّاً رَجُلٌ نُورُهُ عَلىٰ إبْهامي قَدَمَيْهِ ، يَتَكَفَّأُ بِهِ الصِّراطُ دَحْض مَزَلَّةٌ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ القَتَادِ ، حَافَتَاهُ مَلاَئِكَةٌ مَعَهُمْ كَلاَلِيبَ مِنْ نَارٍ يَخْتَطِفُونَ بِهَا النَّاسَ » وذكر بقية الحديث ، خرجه ابن أبي حاتم *

ورواه الحكم بن ظهير عن السدي عن مرة عن عبد الله فرفع آخر الحديث ولفظ حديثه قال عبد الله : الورود ليس بالدخول فيها ولكنه حضورها والوقوف عليها مثل الدابة ترد الماء ولا تدخله ، ثم قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يَضَعُ الله الصِّرَاطَ عَلَىٰ جَهَنَّم فَيَجُوزُ العِبَادُ عَلَيْهِ» ، وذكر الحديث بطوله وفي آخره «وَلَوْ قِيلَ لأهل النَّارِ: إنَّكُمْ مَاكِثُونَ فِي النَّارِ عَدَدَ كُلِّ حَصَاةٍ فِي الدُّنْيَا سَنَةً لَرَجُوا ، وَقَالُوا : إنَّا لاَ بُدَّ مُخْرَجُونَ ، وَلَوْ قِيلَ لِأَهْلِ الجَنَّةِ : إنَّكُمْ مَاكِثونَ فِي الجَّنَة عَدَدَ كُلِّ حَصَاةٍ في الدُّنْيَا سَنَةً حَزِنُوا، وَقَالُوا : إنَّا لاَ بُدَّ مُخْرَجُونَ ، وَلَكِنَّ الله جَعَلَ لَهُمَا الأبَدَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمَا الأمَدَ » والحكم بن ظهير ضعيف .

ولعل هذا الكلام في آخر الحديث موقوف على ابن مسعود ، فانه روي عنه موقوفاً من وجه آخر باسناد جيد .

قال أبو الحسن بن البراء العبدي في كتاب « الروضة » له : حدّثنا أحمد بن خالد هو الخلال ، حدّثنا عثمان بن عمر ، حدّثنا اسرائيل ، عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله قال : لَوْ أَنَّ أَهْلَ جَهَنَّمَ وُعِدُوا يَوْماً

(*) انظر الآثار الواردة في تفسير هذه الآية في تفسير ابن كثير .

مِنْ أَبَدٍ أَوْ عَدَدَ الدُّنيا لَفَرِحُوا بِذَلك اليَوْمِ ، لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ .

وقد روي أول الحديث من طريق أبي اسحاق موقوفاً أيضاً لكن بمخالفة في الاسناد ، فروى عمرو بن طلحة القتاد عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطائفة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود الإبل والبهائم ، ثم يمرون والملائكة يقولون : رب سلِّم سلِّم ، خرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين(١) ، وكذا خرجه آدم بن أبي إياس في « تفسيره » عن اسرائيل به .

وخرج مسلم في « صحيحه » [179] من حديث روح بن عبادة ، أنبأنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود ، فقال : نَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ كَذَا وَكَذَا ، انْظُرْ أَي ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ . قالَ : فَتُدْعىٰ الأُمَمُ بِأَوْثانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ ، ثُمَّ يَأْتِينا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : مَنْ تَنْتَظِرون؟ فَنَقُولُ : نَنْتَظِرُ رَبَّنَا ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَيْكَ ، فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ يَضْحَكُ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ فَيَتَّبِعُونَهُ ، وَيُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ نُوراً ، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ وَحَسكٌ ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ الله ، ثُمَّ يَطْفَأُ نُورُ المُنَافِقِينَ ، ثُمَّ يَنْجُو المُؤْمِنُونَ ، فَيَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ » وذكر بقية الحديث كذا خرجه مسلم عن عبد الله بن سعيد ـ وهو الأشج ـ واسحاق بن منصور ، وكلاهما عن روح به .

وخرجه الامام أحمد عن روح به وزاد فيه بعد قوله : « فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ يَضْحَكُ » قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ فَيَتَّبِعُونَهُ » وساق الحديث فجعله من هذا الموضع مرفوعاً وما قبله موقوفاً .

---

(١) « المستدرك » ٢ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

١٧٩) رقم (١٩١) (٣١٦) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٢٨٣ .

وقد روى محمد بن شرحبيل الصنعاني عن ابن جريج هذا الحديث فرفع أوله أيضاً ، وهو ذكر التجلي والضحك .

ورواه عبد الرزاق عن رباح بن زيد عن ابن جريح ، عن زياد بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر التجلي ، وروي عنه الحديث كله أيضاً بهذا الاسناد .

وهذا يدل على أن أول الحديث لم يكن عند ابن جريج عن أبي الزبير مرفوعاً ، وإن كان عنده كله مرفوعاً عن زياد بن سعد عن أبي الزبير ، وكذلك رواه أبو قرة عن مالك عن زياد بن سعد، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جُمِعَتْ الأُمَمُ » فذكره كله مرفوعاً .

وكذلك رواه ابن لهيعة عن أبي الزبير ، قال : سمعت جابراً يسأل عن الورود ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « نَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلىٰ كَوْمٍ » وذكر الحديث كله مرفوعاً ، وفي حديثه زيادة بعد قوله : « وَيُعْطىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٌ أَوْ مُؤْمِنٌ نُوراً أَوْ يَغْشَاهُ ظُلْمَةٌ » وقوله في هذه الرواية : « وَنَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ كُومٍ » هذه الرواية الصحيحة .

وأما ما ورد في رواية روح عن ابن جريج عن كذا وكذا ، فان أصله تصحيف من الراوي للفظة كوم فكتب عليه كذا وكذا لإشكال فهمه عليه ، ثم كتب انظر ، أي ذلك يأمر الناظر فيه بالتروي والفكر في صحة لفظه ، فأدخل ذلك كله في الرواية قديماً ، ولم يقع ذلك في نسخ « صحيح مسلم » كما يظنه بعضهم ، فإن الحديث في « مسند الامام أحمد » و« كتاب السنة » لابنه عبد الله كذلك ، وخرجه الطبراني في « كتاب السنة » من طريق أبي عاصم عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال : « نَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ كُومٍ فَوْقَ النَّاسِ ، فَتُدْعىٰ الأُمَمُ بِأَوْثَانِها » وذكر

الحديث الى قوله : « فَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ يَضْحَكُ » قال : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « حَتَّىٰ يَبْدُوا كَذَا وَكَذا ، فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ فَيَتْبَعُونَهُ » وذكر الحديث بتمامه ، وفي سياقه أيضاً « وَتَغْشَىٰ المُنَافِقِينَ ظُلْمَةٌ » فظهر بهذه الرواية أن الشك والتصحيف إنما جاء من جهة روح بن عبادة ، ولعله وقع في كتابه كذلك فحدث به كما في كتابه ، والله أعلم ، لكن قد رواه محمد بن يحيى المازني عن ابن جريج ، كما رواه عنه روح . خرجه من طريقه الخلال .

ومما يستدل به على أن الورود ليس هو الدخول ما خرجه مسلم [١٨٠] من حديث أبي الزبير عن جابر ، قال : أخبرتني أم بشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند حفصة : « لَا يَدْخُلِ النَّارَ إِنْ شَاءَ الله مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ مِنَ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا » قالت : بَلَىٰ يَا رَسُولَ الله فَانْتَهَرَهَا ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ : ﴿ وَإِن مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ قَالَ الله عزَّ وَجَلَّ : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِين اتَّقُوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] .

ورواه الأعمش عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن أم بشر بنحوه ، وفي بعض روايات الأعمش فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يَرِدُونَهَا ثُمَّ يَصْدِرُونَ عَنْهَا بِالأَعْمَالِ » .

وقالت طائفة : الورود هو الدخول ، وهذا هو المعروف عن ابن عباس ، وروي عنه من غير وجه ، وكان يستدل لذلك بقول الله تعالى في فرعون : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُم النَّارَ ﴾ [هود : ٩٨] وبقوله :

---

١٨٠) رقم (٢٤٩٦) في فضائل الصحابة : باب فضائل أصحاب الشجرة ، والترمذي رقم (٣٨٥٩) في المناقب : باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة ، وأبو داود رقم (٤٦٥٣) في السنة : باب في الخلفاء .

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرمينَ الى جَهَنَّم وِرْداً ﴾ [مريم : ٨٦] وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء : ٩٩] وقد سبق عن عبد الله بن رواحة نحو هذا إلا أن الرواية عنه منقطعة .

وروى مسلم الأعور عن مجاهد ﴿ وَإن مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُهَا ﴾ قال : داخلها .

وسئل كعب عن الورود المذكور في الآية ، فقال : تمسك النار عن الناس كأنها متن إهالة حتى تسوى عليها أقدام الخلق كلهم برهم وفاجرهم ، ثم يقول لها الرب عزّ وجلّ : خذي أصحابك ودعي أصحابي ، فتخسف بكل ولي لها ، وينجي الله المؤمنين ندية ثيابهم .

قال كعب : ألم ترإلى القدر الكثيرة الودك[1] إذا بردت استوت بيضاء كالشحم ، فاذا أوقدت النار تحتها انخسف الودك في القدر من هاهنا وها هنا ، وفي رواية عنه قال : فهي أعرف بهم من الوالد بولده .

وقال ثور بن يزيد عن خالد بن معدان : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قالوا : ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار؟ قال : بلى ، ولكن مررتم عليها وهي خامدة ، وفي رواية عنه قال : إذا جاز المؤمنون الصراط نادى بعضهم بعضاً : ألم يعدنا ربنا أنا نمر على جسر جهنم ؟ قال : فيقولون : بلى ولكن مررتم عليها وهي خامدة .

وقال مسكين : سمعت أشعث الحداني يقول : بلغني أن أهل الايمان إذا مروا بصراط جهنم ، قال : تقول لهم جهنم : جوزوا عني قد بردّتم وهجي ، ذروني وأهلي ، ولكن هذا والذي قبله قد يدلان على أن الورود هو المرور على الصراط كالقول الأول .

---

(١) « ودك » : هو دَسَم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه .

وروى كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية ، قال : اختلفنا في الورود فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن ، وقال بعضهم : يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا ، فلقيت جابر بن عبد الله ، فقلت : إنا اختلفنا فى الورود فقال: يردونها جميعاً،وقال سليم بن مرة: يدخلونها،وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لَا يَبْقَى بِرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إلَّا دَخَلَها فَتَكُونُ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ بَرْداً وَسَلاماً كَمَا كَانَتْ عَلَىٰ ابراهِيمَ ، حَتَّىٰ إنَّ لِلْنَّارِ ضَجِيجاً مِنْ بَرْدِهِمْ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقُوا وَنَذَرُ الظَّالِمينَ فيها جِثيّاً ﴾ [مريم : ٧٢] خرجه الامام أحمد [١٨١] ، وأبو سمية لا ندري من هو .

وفي « الصحيحين » [١٨٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « لا يَمُوتُ لِأَحدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثلاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ فَتَمَّسهُ النَّارُ إلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ » وقد فسر عبد الرزاق وغيره تحلة القسم بالورود لقوله : ﴿ وإنْ منكُمْ إلَّا وَارِدُها ﴾ وظاهر هذا يقتضي أن الورود هو مس النار ، وفي رواية « فَيَلِجُ النَّارَ إلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ » فجعله مستثنى من ولوجها .

وروى عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن بشير الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ لَمْ يَرِدِ النَّار إلَّا عَابِرَ سَبِيلٍ » [١٨٣] .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ورشدين بن سعد كلاهما عن زاذان بن نائل ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله

---

١٨١) رواه أحمد في « المسند » ٣/٣٢٨ - ٣٢٩ - وفي إسناده جهالة كما قال المؤلف رحمه الله تعالى .

١٨٢) البخاري رقم (١٢٥١) في الجنائز : باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، وفي الأيمان : باب قول الله تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ ومسلم رقم (٢٦٣٢) و (٢٦٣٤) و (٢٦٣٥) في البر والصلة : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، والموطأ ١/ ٢٣٥ في الجنائز : باب الحسبة في المصيبة ، والترمذي رقم (١٠٦٠) في الجنائز : باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً . والنسائي ٤ / ٢٥ في الجنائز : باب من يتوفى له ثلاثة .

١٨٣) عبد الملك بن عمير ، قال الحافظ في « التقريب » ١/ ٥٢١ : ثقة فقيه ، تغير حفظه ، وربما دلس .

عليه وآله وسلم ، قال : « مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ المُسْلِمِين فِي سَبِيلِ الله مُتَطَوِّعاً لا يَأْخُذُهُ سُلْطانٌ لمْ يَرِد النَّارَ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ ، فإنَّ الله يَقُولُ : ﴿ وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها ﴾ » إسناده ضعيف .

وخرج الطبراني من حديث الواقدي ، حدّثنا شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، حدّثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي بكر الصديق ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّمَا حَرُّ جَهَنَّمَ عَلَىٰ أُمَّتِي كَحَرِّ الحَمَّام » الواقدي متروك .

وروى منصور بن عمار ، عن بشير بن طلحة ، عن خالد بن دريك ، عن يعلى بن منبه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « تَقُول جَهَنَّمُ لِلْمُؤْمِنِ : جُزْ يا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي » غريب وفيه نكارة .

وقد فسر بعضهم الورود بالحُمى في الدنيا ، روى مجاهد وعثمان بن الأسود وفيه حديث مرفوع « الحُمى حَظُّ المُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ » وإسناده ضعيف .

وقالت طائفة : الورود : ليس عاماً وإنما هو خاص بالمحضرين حول جهنم المذكورين في قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشَّياطين ثم لَنُحْضِرنَّهم حَوْل جَهَنَّمَ جِثِيّاً ﴾ إلى قوله : ﴿ وإن منكُم إلاَّ وَارِدُها ﴾ [مريم : ٦٨ ـ ٧١] كأنه يقال لهؤلاء الموصوفين : وإن منكم إلا واردها ، روي هذا التأويل عن زيد بن أسلم وهو بعيد جداً .

وعن عكرمة إنه كان يقرأ ﴿ وإن منكُم إلاَّ وَارِدُها ﴾ يقول : الضمير يعود إلى الظلمة ، كذلك كنا نقرؤها ، وروي هذا القول عن ابن عباس من وجه منقطع ، والصحيح عنه ما سبق .

فصل

[إذا وقف العبد بين يدي الله تستقبله النار]

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أن العبد إذا وقف بين يد

ربه للحساب فإنه تستقبله النار تلقاء وجهه ، وأخبر أن الصدقة تقي صاحبها من النار .

ففي « الصحيحين »(*) عن عدي بن حاتم ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلا يَرَىٰ إلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَىٰ إلَّا النَّارَ تِلْقاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

وفي « صحيح مسلم » عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ » .

وفي « صحيح البخاري » عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْ الله عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ : أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً ، فَلَيَقُولَنَّ : بَلَىٰ ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ : أَلَمْ أُرْسِلَ إلَيْكَ رَسُولاً ، فَلَيَقُولَنَّ : بَلَىٰ ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَىٰ إلَّا النَّارَ ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَلَىٰ شِمَالِهِ فَلَا يَرَىٰ إلَّا النَّارَ ، فَلْيَتَقِيَنَ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشَقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمةٍ طَيِّبَةٍ » .

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه خرج يوماً فقال : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ عَجَباً » فذكر حديثاً طويلاً ، وفيه « رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتي يَتَّقِي وَهْجَ النَّارِ وَشَرَرِهَا بِيَدَيْهِ مِنْ وَجْهِهِ ، فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْراً عَلَىٰ رَأْسِهِ وَظِلًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ »(**) .

* * *

(*) تقدم تخريجه ص (١٥) رقم (٢) .

(**) تقدم تخريجه ص (٥٧) رقم (٢٥) .

الباب الثامن والعشرون

في ذكر حال الموحّدين في النّار وخروجهم منها برحمة أرحم الرّاحمين وشفاعة الشافعين

قد تقدم في الأحاديث الصحيحة أن الموحدين يمرون على الصراط فينجو منهم من ينجو ، ويقع منهم من يقع في النار ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة فقدوا من وقع من إخوانهم الموحدين في النار ، فيسألون الله عز وجل إخراجهم منها .

روى زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل سبق منه ذكر المرور على الصراط، ثم قال: «حتَّى إذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ـ فَوَالَّذي نَفْسي بِيَده مَا مِنْكُم مِنْ أَحدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ في اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنين للهِ يَوْمَ القِيَامة لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ : رَبَّنَا إِنَّهُمْ كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَىٰ النَّارِ ، فَيُخْرَجُونَ خَلْقاً كَثِيراً قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ وَإِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرَجُونَ خَلْقاً كَثِيراً ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَداً فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ نِصْفَ مِثْقَالِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرَجُونَ خَلْقاً كَثِيراً ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِإِخْرَاجِهِ أَحَداً فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرَجُونَ خَلْقاً كَثِيراً ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً » . وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَقُولُ : إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحَدِيثِ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ إِنَّ

اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [النساء : ٤٠] « فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : شَفِعَتِ المَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ بِهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَماً فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الحَيَاةِ ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ . . . » وذكر بقية الحديث خرجاه في « الصحيحين » ولفظه لمسلم * .

والمراد بقوله : « لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطّ » من أعمال الجوارح ، وإن كان أصل التوحيد معهم ، ولهذا جاء في حديث الذي أمر أهله أن يحرقوه بعد موته بالنار إنه لم يعمل خيراً قط غير التوحيد ، خرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة مرفوعاً[184] ، ومن حديثابن مسعود موقوفاً .

ويشهد لهذا ما في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الشفاعة قال : « فأقُول: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَيَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » خرجاه في « الصحيحين »[185] ؛ وعند مسلم « فَيَقُولُ لَيسَ ذَلِكَ أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ » وهذا يدل على أن الذين يخرجهم الله برحمته من غير شفاعة مخلوق هم أهل كلمة التوحيد الذين لم يعملوا معها خيراً قط بجوارحهم ، والله أعلم .

(*) تقدم تخريجه ص (١٩٨) برقم (١٤٥) .

١٨٤) البخاري رقم (٣٤٨١) في الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، ورقم (٧٥٠٦) في التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٥٦) في التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، والنسائي ٤/١١٣ في الجنائز : باب أرواح المؤمنين ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٦٩ ، وابن ماجه رقم (٤٢٥٥) في الزهد : باب ذكر التوبة .

١٨٥) رواه البخاري ١٣/ ٣٩٥ - ٣٩٧ في التوحيد : باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، وفي عدة أبواب أخر ، ومسلم رقم (١٩٣) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

وروى أبو الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٍ وَمَجْرُوحٌ بِهِ نَاجٍ ، وَمُحْتَبِسٍ مَنْكُوسٍ فيهَا ، فَإِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ وَتَفَقَّدَ المُؤْمِنُونَ رِجالاً فِي الدُّنْيَا كَانُوا يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِمْ ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ ، وَيَصُومُونَ صَوْمَهُمْ ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَي رَبَّنَا ! عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا يُصَلُّونَ بِصَلاَتِنَا ، وَيزَكُّون زَكَاتَنا ، وَيَصُومُون صَوْمَنَا ، وَيَحُجُّوَنَ حَجَّنَا ، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا ولا نراهم ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : اذْهَبُوا إِلَىٰ النَّارِ فَمَنْ وَجَدْتُمُوهُ فِيهَا فَأَخْرِجُوهُ ، قَال : فَيُخْرِجُونَهُمْ ، وَقَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَىٰ قَدرِ أَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ أُزْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهِ إِلَىٰ ثَدْيَيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَىٰ عُنُقِه ، وَلَمْ تَغْشَ الوُجُوهَ قَالَ : فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ ثُمَّ يُطْرَحُونَ فِي مَاءِ الحَيَاةِ » قِيلَ : يَا نَبِيَ اللهِ ! وَمَا مَاءُ الحَيَاةِ ؟ قَالَ : « غِسْلُ أَهْلِ الجَنَّةِ قَالَ : فَيَنْبِتُونَ فِيهَا كَمَا تُنْبَتُ الزَرْعَةُ في غثاء السَّيْلِ ، ثُمَّ تَشْفَعُ الأَنْبِياء فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهد أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُخْلصاً فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْها ، ثُمَّ يَتَحَنَّنُ الله بِرحْمَتِهِ على مَنْ فِيهَا ، فَمَا يَتْرُكُ فيهَا عَبْداً في قَلْبِه مِثالَ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمان إلَّا أَخْرَجَهُ مِنْها » خرجه الحاكم(١) ، وقال : صحيح الإسناد .

وخرجاه في « الصحيحين »١٨٦ من حديث مالك عن عمرو بن يحيى المازني ، عن أبيه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ

---

١٨٦) البخاري رقم (٢٢) في الإيمان : باب تفاضل أهل الايمان ، وفي الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (١٨٤) في الإيمان : باب اثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار .

وَجَلَّ : أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ـ أَوْ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَل ـ مِنْ إِيْمَانٍ ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ أَوِ الحَيَا » شك مالك « فَيَنْبَتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً » ولفظه للبخاري ، وعند مسلم « فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حِمَماً قَدْ امْتَحَشُوا » .

وفي « الصحيحين »[١٨٦] أيضاً عن الزهري ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ » فذكر الحديث بطوله ؛ وفيه ذكر جواز الناس على الصراط ، ثم قال : « حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مَنِ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ مِنَ النَّارِ ، أَمَرَ المَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً ، مِمَّنْ دَخَلَ النَّارِ يُعْرَفُونَ بِأَثَرِ السُّجُودِ ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ » وذكر بقية الحديث .

وخرج مسلم[١٨٧] من حديث يزيد الفقير عن جابر ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ قَوْماً يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ حَتَّىٰ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ » .

وخرج[١٨٨] أيضاً من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، عن النبي

---

١٨٦) البخاري رقم (٨٠٦) في الأذان: باب فضل السجود، ورقم (٦٥٧٣) في الرقاق: باب الصراط جسر جهنم، ورقم (٧٤٣٧) في التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾، ومسلم رقم (١٨٢) في الإيمان: باب معرفة طريق الرؤية، والترمذي رقم (٢٥٦٠) في صفة الجنة: باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار، وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٧٥ و٢٧٦ و٢٩٣ و٥٣٤. انظر روايات الحديث في «جامع الأصول» رقم (٧٩٧٤).

١٨٧) رقم (١٩١) (٣١٩) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

١٨٨) رقم (١٨٥) في الإيمان : باب إثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار .

صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلٰكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمُ اللهُ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا فَحْماً أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ[1]، فَبُثُّوا عَلَىٰ أَنْهَارِ الجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ لِأَهْلِ الجَنَّةِ : أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ ، فَيَنْبِتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ » وظاهر الحديث يدل على أن هؤلاء يموتون حقيقة وتفارق أرواحهم أجسادهم .

ويدل على ذلك ما خرجه البزار من حديث عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد ابن مسلمة ، أخبرني موسى بن جبير ، عن أبي أمامة بن سهل ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ حَظّاً - أَوْ نَصِيباً - قَوْمٌ يُخْرِجُهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ ، فَيَرْتَاحُ لَهُمُ الرَّبُّ تَعَالَىٰ ، إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئاً ، فَيُنْبَذُونَ بِالعَرَاءِ فَيُنْبَتُونَ كَمَا تَنْبُتُ البَقْلَةُ ، حَتَّىٰ إِذَا دَخَلَتِ الأَرْوَاحُ أَجْسَادَهَا ، قَالُوا : رَبَّنَا كَمَا أَخْرَجْتَنَا مِنَ النَّارِ وَأَرْجَعْتَ الأَرْوَاحَ إِلَىٰ أَجْسَادِهَا فَاصْرِفْ وُجُوهَنَا عَنِ النَّارِ ، فَتُصْرَفُ وُجُوهُهُمْ عَنِ النَّارِ » .

وروى مسكين أبو فاطمة حدثني اليمان بن يزيد ، عن محمد بن حمير ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، « إِنَّ أَصْحَابَ الكَبَائِرِ مِنْ مُوَحِدِي الأُمَمِ كُلِّهَا إِذَا مَاتُوا عَلَىٰ كَبَائِرِهِمْ غَيْرَ نَادِمِينَ وَلَا تَائِبِينَ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْهُمْ فِي البَابِ الأَوَّلِ مِنْ جَهَنَّمَ ، لَا تُزْرَقُ أَعْيُنُهُم ، وَلَا تَسْوَدُّ وُجُوهُهُم ، وَلَا يُقْرَنُونَ بِالشَّيَاطِينِ ، وَلَا يَغْلُونَ بِالسَّلَاسِلِ ، وَلَا يَجْرَعُونَ الحَمِيمَ ، وَلَا يَلْبسُونَ القطرَانَ فِي النَّارِ حَرَّمَ اللهُ أَجْسَادَهُمْ عَلَىٰ الخُلُودِ مِنْ أَجْلِ التَّوْحِيدِ ، وَحَرَّمَ صُورَهُمْ عَلَىٰ النَّارِ مِنْ أَجْلِ السُّجُودِ ، مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَىٰ

---

(١) « ضبائر ضبائر » : هم الجماعات في تفرقة ، واحدتها ضبارة ، مثل عمارة وعمائر ، وكل مجتمع : ضبارة . وفي رواية «ضبارات ضبارات ، هو جمع صحة للضبارة ، والأول جمع تكسير .

حِجْزَته، وَمِنْهُم مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إلى عُنُقه، على قدر ذنوبهم وأَعْمالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْكُثُ فِيهَا شَهْراً ثُمَّ يَخْرُجُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْكُثُ فِيهَا سَنَةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَأَطْوَلُهُمْ فِيها مَكْثاً بِقَدْرِ الدُّنْيَا مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَتْ إلىٰ أَنْ تَفْنَىٰ ، فَإِذَا أَرادَ اللهُ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا ، قَالَتِ اليَهُوْدَ والنَّصارَى وَمَنْ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الأَدْيَانِ وَالأَوْثَانِ لِمَنْ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ : آمَنْتُمْ بِاللهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ فَنَحْنُ وَأَنْتُمُ اليَوْمَ فِي النَّـار سَـوَاء ، فَيَغْضَبُ اللهُ لَهُمْ غَضَبـاً لَمْ يَـغْضَبْـهُ لِشَـيْءٍ مِمَّـا مَضَىٰ ، فَيُخْرِجُهُمْ إلَىٰ عَيْنٍ فِي الجَنَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ رُبَما يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمينَ ﴾ [الحجر : ٢] . خرجه ابن أبي حاتم وغيره ؛ وخرجه الإسماعيلي مطولاً ، وقال الدارقطني في « كتاب المختلق » : هو حديث منكر ، واليمان مجهول ، ومسكين ضعيف ومحمد بن حمير لا أعرفه إلا في هذا الحديث . انتهى .

وقد سبق حديث أنس في الذي ينادي ألف سنة : يا حنان يا منان ثم يخرج منها .

وروينا من طريق محمد بن معاوية ، حدثنا حازم عن الحسن ، قال : أهل التوحيد في النار لا يقيدون ، فتقول الخزنة بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء يقيدون وهؤلاء لا يقيدون ، فناداهم مناد : إن هؤلاء كانوا يمشون في ظُلَمِ الليل إلى المساجد .

وقال مروان بن معاوية عن مالك بن أبي الحسن ، عن الحسن ، قال : يخرج رجل من النار بعد ألف عام ، قال الحسن : ليتني ذلك الرجل .

فصـــل

[حسن الظن بالله تعالى]

قال أحمد بن أبي الحواري : دخلت على أبي سليمان وهو يبكي ،

فقلت : ما يبكيك ؟ قال : لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه ، ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده ، ولئن أدخلني النار لأخبرن أهل النار أني كنت أحبه .

وروى ابن أبي الدنيا في « كتاب حسن الظن بالله تعالى » بإسناده عن علي بن بكار أنه سئل عن حسن الظن بالله ، قال : أن لا يجمعك والفجار في دار واحدة .

عن سلمان بن الحكم بن عوانة أن رجلاً دعا بعرفات فقال : لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت توحيدك قلوبنا ، قال : ثم بكى ، وقال : ما أخالك تفعل بعفوك ، ثم بكى ، وقال : ولئن فعلت فبذنوبنا لا تجمعن بيننا وبين قوم ظالمين عاديناهم فيك .

وعن حكيم بن جابر ، قال : قال إبراهيم عليه السلام : اللهم لا تشرك من كان يشرك وبمن كان لا يشرك بك .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثني أبو حفص الصيرفي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا تلا ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِم لَا يَبْعثُ اللهُ مَنْ يَمُوت ﴾ [النحل : ٣٨] قال : ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت ؛ أتراك تجمع بين القسمين في دار واحدة ، ثم بكى أبو حفص بكاء شديداً .

وروى أبو نعيم بإسناده عن عون بن عبد الله قال : ماكان الله لينقذنا من شر ثم يعيدنا فيه ﴿وَكُنْتُم عَلَى شَفَا حُفْرةٍ[1] منَ النَّارِ فَأَنَقَذكُم منها﴾ [آل عمران: ١٠٣]وما كان الله ليجمع بين أهل القسمين في النار﴿وَأَقْسمُوا بِالله جَهْدَ أَيْمانِهِم لَا يَبْعثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ [النحل : ٣٨] ، ونحن نقسم

(١) ﴿شفا حفرة ﴾ : طرف حفرة ، والمعنى ضرب مثلاً في القرب من الهلاك .

بالله جهد إيماننا ليبعثن الله من يموت .

وقال محمد بن إسحاق السراج : حدثنا حماد بن المؤمل الكلبي ، حدثني بعض أصحابنا عن ابن السماك ، قال : لما طلبني هارون الرشيد قال: تكلم وادع ـ فدعوت بدعاء أعجبه ـ وقلت في دعائي : اللهم إنك قلت : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِم لَا يَبْعثُ اللهُ مَن يَمُوتُ ﴾ اللهم إنا نقسم بالله جهد إيماننا لتبعثن من يموت ، أفتراك يا رب تجمع بين أهل القسمين في مكان واحد ، وهارون يبكي .

* * *

الباب التاسع والعشرون
في ذكر أكثر أهل النار

أهل النار الذين هم أهلها على الحقيقة هم الذين يخلدون فيها ولهم أعدت ، كما قال تعالى : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤] .

وقد ذكرنا فيما تقدم حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَلاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ » وهؤلاء أهلها الخالدون فيها هم أكثر ممن يدخلها من عصاة الموحدين الذين يخرجون منها بعد أن يهذبوا وينقوا .

ويدل على ذلك ما روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ : يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعَدَيْكَ ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ بَعْثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَتِكَ ، قَالَ : يَا رَبِّ وَما بَعْثُ النَّارِ ، قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ وَيَشِيبُ الوَلِيدُ ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارىٰ وَمَا هُم بِسُكَارى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ٢] فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ النَّاسِ حَتَّىٰ تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « مِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ تسع مئة وتسعة وتسعون ومِنْكُمْ وَاحِد » ثُمَّ قَال : « أَنْتُمْ في النَّاسِ ، كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَض ـ أَوْ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْودِ ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرْنا » ثُمَّ قَالَ : « ثُلُث أَهْلِ الجَنَّةِ »

فَكَبَّرنا فقال : « شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا » خرجاه في « الصحيحين »[189] ولفظه للبخاري .

روى هلال بن خباب عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى ، وفي حديثه « إِنَّمَا أَنْتُمْ جِزْءٌ مِنْ أَلْفِ جِزْءٍ » خرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه[190]

وخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث الحسن عن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى أيضاً ، وفي حديثه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قارِبوا وَسَدِّدُوا، فإنَّها لَمْ تَكُنْ نَبوَةٌ قَطُّ إلَّا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهَا جاهِلِيَّةٌ ، فَيُؤْخَذُ العَدَدُ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنْ تَمَّتْ وَإِلَّا كَمُلَتْ مِنَ المُنَافِقِينَ ، وَمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الأُمَمِ إِلَّا كَمَثَلِ الرَّقْمَةِ (١) فِي ذِرَاعِ الدَّابَةِ أَوْ كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ البَعِيرِ » .

وفي رواية قال : « اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا ، فَوالَّذي نَفْسُ مُحَمدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثْرَتَاهُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ »[191] .

وخرج ابن أبي حاتم من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه في حديثه « وَمَنْ هَلَكَ مِنْ كَفَرَةِ الجِنِّ والإِنْسِ » .

---

(١) « الرقمة » : هنا معناها : الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل ، وهما رقمتان في ذراعيها .

---

١٨٩) البخاري رقم (٣٣٤٨) في الأنبياء : باب قصة يأجوج ومأجوج ، ورقم (٤٧٤١) في تفسير سورة الحج : باب قوله : ﴿ وترى الناس سكارى ﴾ ، ورقم (٦٥٣٠) في الرقاق: باب قول الله عز وجل: ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ ورقم (٧٤٨٣) في التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ ، ومسلم رقم (٢٢٢) في الإيمان : باب قوله : يقول الله لآدم : أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، وأحمد في « المسند » ٣٢/٣ ـ ٣٣ .

١٩٠) أحمد في « المسند » ٣٨٨/١ وصححه الحاكم ٥٦٨/٤ ووافقه الذهبي .

١٩١) أحمد في « المسند » ٤٣٢/٤ و ٤٣٥ ، والترمذي رقم (٣١٦٨) في التفسير : باب ومن سورة الحج ، وصححه الحاكم ٥٦٧/٤ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار ، وتدل أيضاً على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم ، وغير أتباع الرسل كلهم في النار إلا من لم تبلغه الدعوة أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيهم من الاختلاف ، والمنتسبون إلى اتباع الرسل كثير منهم من تمسك بدين منسوخ ، وكتاب مبدل ، وهم أيضاً من أهل النار كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [هود : ١٧] ، وأما المنتسبون إلى الكتاب المحكم والشريعة المؤيدة والدين الحق فكثير منهم من أهل النار أيضاً ، وهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار ، وأما المنتسبون إليه ظاهراً وباطناً فكثير منهم فتنَ بالشبهات وهم أهل البدعِ والضلال .

وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة ، وكثير منهم أيضاً فتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار - وإن لم يقتض ذلك الخلود فيها - فلم ينج من الوعيد بالنار ، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة إلا فرقة واحدة وهو ما كان على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ظاهراً وباطناً وسلم من فتنة الشهوات والشبهات ، وهؤلاء قليل جداً لا سيما في الأزمان المتأخرة ، والقرآن يدل على أن أكثر الناس هم أهل النار ، وهم الذين اتبعوا الشيطان كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ : ٢٠] وقال تعالى : ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْك وممَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٥] .

فأما عصاة الموحدين فأكثر من يدخل النار منهم النساء كما في « الصحيحين » [١٩٢] عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه

---

١٩٢) البخاري رقم (٢٩) في الإيمان : باب كفران العشير ، وكفر دون كفر ، ورقم (٤٣١ و٧٤٨ و١٠٥٢ و٣٢٠٢ و٥١٩٧ ، ومسلم رقم (٩٠٧) في صلاة الكسوف : باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، وأبو داود رقم (١١٨١ و١١٨٣) والترمذي رقم (٥٦٠) ، والنسائي ٣/ ١٢٩ . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٤٢٧٢) .

قال في خطبة الكسوف : « رَأَيْتُ النَّارَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ بِكُفْرِهِنَّ » ، قِيلَ : أَيَكْفُرُونَ بِالله ؟ قَالَ : « يَكْفُرْنَ العَشِيرِ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ » .

وفي « صحيح مسلم »[١٩٣] عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِها النِّسَاءُ » .

وخرج البخاري [١٩٤] من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله .

وخرجا في « الصحيحين » [١٩٥] من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاء تَصَدَّقْنَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » فَقُلْنَ : وَلِمَ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قال : « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ ، أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْداكُنَّ » .

وخرج مسلم من حديث جابر وابن عمر وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه [١٩٦] .

---

١٩٣) رقم (٢٧٣٧) في الذكر والدعاء والتوبة : باب أكثر أهل الجنة الفقراء . من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وحده .

١٩٤) البخاري رقم (٣٢٤١) في بدء الخلق : باب ما جاء في صفة الجنة ، ورقم (٥١٩٨) في النكاح : باب كفران العشير ، ورقم (٦٤٤٩) في الرقاق: باب فضل الفقر ، ورقم (٦٥٤٦) باب صفة الجنة والنار ، والترمذي رقم (٢٦٠٥ و٢٦٠٦) في صفة جهنم : باب ما جاء أن أكثر أهل النار النساء .

١٩٥) البخاري رقم (٣٠٤) في الحيض : باب ترك الحائض الصوم ، ورقم (٩٥٦) في العيدين : باب الخروج الى المصلى بغير منبر ، ورقم (١٤٦٢ و١٩٥٢ و٢٦٥٨ ، ومسلم بمعناه رقم (٨٨٩) في العيدين في فاتحته ، والنسائي ١٨٧/٣ فيه : باب استقبال الامام الناس بوجهه في الخطبة . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٤٢٤٢) .

١٩٦) رواه مسلم رقم (٨٨٥) في صلاة العيدين في فاتحته من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ورقم (٧٩) في الإيمان : باب بيان نقصان الايمان ينقص **الطاعات** . . . الخ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ورقم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما .

وخرجا في « الصحيحين »[197] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « قُمْتُ عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ ، فَكَانَ عَامَّةُ مِنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ ، غَيْرَ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ ، وَقُمْتُ عَلَىٰ بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ » .

وخرج الآمام أحمد[198] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءُ ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّار فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ » .

وفي «صحيح مسلم»[199] عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إنَّ أقلَّ ساكِنِي الجَنَّة النِّساءُ » وقد أشكل على بعض الناس الجمع بين هذا الحديث وبين حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في أهل الجنة : « لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ »[200] ، وفي « صحيح مسلم »[201] عن أيوب عن ابن سيرين ، قال : إما تفاخروا وإما تذاكروا الرجال في الجنة أكثر أم النساء ، فقال أبو هريرة : ألم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم : « إنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورِهِ القَمَرِ لَيْلَةَ

---

١٩٧) البخاري رقم (٥١٩٦) في النكاح : باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه ، ورقم (٦٥٤٧) في الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (٢٧٣٦) في الرقاق: باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء ، وبيان الفتنة بالنساء .

١٩٨) رواه أحمد في « المسند» ١٧٣/٢ ، قال الهيثمي في « المجمع » ٢٦١/١٠ : رواه أحمد وإسناده جيد .

١٩٩) رقم (٢٧٣٨) في الذكر والدعاء : باب أكثر أهل الجنة الفقراء وبيان الفتنة بالنساء . وأحمد في « المسند » ٤٢٧/٤ و٤٣٦ و٤٤٣ .

٢٠٠) قوله « زوجتان » قال الإمام النووي في « صحيح مسلم » ١٧١/١٧ : هكذا في الروايات بالتاء ، وهي لغة متكررة في الأحاديث وكلام العرب ، والأشهر حذفها وبه جاء القرآن وأكثر الأحاديث .

٢٠١) البخاري رقم (٣٢٤٥) في بدء الخلق : باب ما جاء في صفة الجنة ، وفي الأنبياء : باب خلق آدم وذريته ، ومسلم رقم (٢٨٣٤) في الجنة : باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والترمذي رقم (٢٥٤٠) في صفة الجنة : باب ما جاء في صفة أهل الجنة .

البَدْرِ وَالتَّي تَلِيهَا عَلَىٰ أَضْوءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِما مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وَمَا فِي الجَّنَةِ أَعْزَبُ » .

فرام بعضهم الجمع بين الحديثين بأن قلة النساء في الجنة إنما هو قبل خروج عصاة الموحدين من النار ، فإذا خرجوا منها كان النساء حينئذ في الجنة أكثر ، والصحيح أن أبا هريرة إنما أراد أن جنس النساء في الجنة أكثر من جنس الرجال ، لأن كل رجل منهم له زوجتان ، ولم يرد أن النساء من ولد آدم أكثر من الرجال .

ويدل على هذا أنه ورد في بعض روايات حديث أبي هريرة هذا الصحيحة « لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الحُورِ العِينِ » كذلك رواه يونس عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرجه من طريقه الإمام أحمد ، وكذا رواه هشام عن محمد بن سيرين عن محمد ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج حديثه البيهقي ، وخرج هذه اللفظة البخاري في « صحيحه » من حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ويشهد لذلك أن في بعض ألفاظ روايات حديث أبي هريرة هذه المخرجة في الصحيح أيضاً « وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينِ » بدل قوله : « لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ » فهاتان الزوجتان من الحور العين لا بد لكل رجل دخل الجنة منهما ، وأما الزيادة على ذلك ، فتكون بحسب الدرجات والأعمال ، ولم يثبت في حصر الزيادة على الزوجتين شيء .

ويدل أيضاً على ما ذكرنا ما خرجه مسلم في « صحيحه »[٢٠٢] من حديث

---

٢٠٢) رقم (١٨٨) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ الله وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الجَّنَةِ » فذكر الحديث ، وفي آخره قال : « ثم يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الحُورِ العِينِ . . . » وذكر الحديث ، وكذلك ورد في الشهيد إذا استشهد أنه يبتدره زوجتان من الحور العين[202] ، فدل هذا على أن لكل رجل من أهل الجنة زوجتين من الحور العين ، ولو كان أدنى أهل الجنة منزلة ، والله أعلم .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد بإسناده عن أبي صالح ، قال : بلغنا أن أكثر ذنوب أهل النار في النساء كأنه يشير إلى الزنا ومتعلقاته .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناد منقطع عن ابن مسعود ، قال : ذنبان لا يغفران ، فذكر أحدهما رجل زين له سوء عمله فرآه حسناً ، فإن هذه التي يهلك بها من هذه الأمة يشير الى الشبهات المضلة ، والله أعلم .

* * *

٢٠٢ الحديث رواه أحمد في « المسند» ٢/٢٩٧ و٤٢٧ ، وابن ماجه رقم (٢٧٩٨) في الجهاد : باب فضل الشهادة في سبيل الله ، واسناده ضعيف . ولفظه : عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ذُكِرَ الشهداء عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجتاه ، كأنهما ظِئْران أظلتا أو أضلَّتا فصيليهما في براج من الأرض ، وفي يد كل واحدة منهما حلَّة ، خير من الدنيا وما فيها » .

الباب الثلاثون

في ذكر صفات أهل النار وأصنافهم وأقسامهم

قد سبق قول ابن مسعود أنه لا يترك في النار سوى الأربعة ، وليس فيهم خير ، وأخذه من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ [المدثر : ٤٣ ـ ٤٥] .

وفي « الصحيحين »[٢٠٣] عن حارثة بن وهب ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ : كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ الله لأَبَرَّهُ ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جِوَاظٍ مُسْتَكْبِرٍ » .

و« العتل » قال مجاهد وعكرمة : هو القوي ، وقال أبو رزين : هو الصحيح .

وقال عطاء بن يسار عن وهب الذماري قال : تبكي السماء والأرض من رجل أتم الله خلقه وأرحب جوفه وأعطاه معظماً من الدنيا ، ثم يكون ظلوماً

---

٢٠٣) البخاري رقم (٤٩١٨) في تفسير سورة (القلم) : باب قوله تعالى : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ وفي الأدب : باب الكبر ، وفي الأيمان : باب قوله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ ، ومسلم رقم (٢٨٥٣) في صفة الجنة : باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، والترمذي رقم (٢٦٠٨) في صفة جهنم : باب رقم (١٣) وأحمد في « المسند » ٣٠٦/٤ .

غشوماً للناس ، فذلك العتل الزنيم .

وقال ابراهيم النخعي : العتل : الفاجر ، والزنيم : اللئيم في أخلاق الناس .

وروى شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ جَوَاظٌ وَلَا جَعْظَرِيٌّ وَلَا العِتِلُّ الزَّنِيمُ » فقال رجل من المسلمين : ما الجواظ الجعظري والعتل الزنيم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الجَوَاظُ : الَّذِي جَمَعَ وَمَنَعَ ، وَأَمَّا الجَعْظَرِيُّ : فَالفظُّ الغَلِيظُ ، قال الله تعالى : ﴿ فَبِما رَحْمةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] وَأَمَّا العِتِلُّ الزَّنِيمُ فَشَدِيدُ الخَلْقِ ، رَحِيبُ الجَوْفِ ، مُصَحَحٌ أَكُولٌ شَرُوبٌ ، وَاجِدٌ لِلْطَعَامِ ، ظَلُومٌ لِلآنَامِ [٢٠٤] .

وروى معاوية بن صالح عن كثير بن الحارث عن القاسم مولى معاوية ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن العتل الزنيم قال : « هُوَ الفَاحِشُ اللَّئِيمُ » . وقال معاوية : وحدثني عياض بن عبد الله الفهري عن موسى بن عقبة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك . خرجه كله ابن أبي حاتم .

وأما المستكبر فهو الذي يتعاطى الكبر على الناس والتعاظم عليهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] وقد ذكرنا فيما سبق حديث* « يُحْشَرُ المُتَكَبِرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَرِّ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي النَّارِ يُقَالُ لَهُ : بُولُسُ ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ ، يَغْشَاهُمُ الذِّلُّ مِنْ

(*) تقدم تخريجه ص (   ) رقم (   )

---

٢٠٤) قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/ ٣٩٣ : رواه أحمد وإسناده حسن إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم .

كُلِّ مَكَانٍ » . فإن عقوبة التكبر الهوان والذل ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ [الأحقاف : ٢٠].

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحكيه عن ربه عزّ وجلّ قال : « الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ بِنَارِي » [٢٠٥] يعني ألقيته في جهنم.

وفي « الصحيحين »[٢٠٦] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ : [فَمَا لِي] لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ [وَغِرَّتُهُمْ] ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاء مِنْ عِبادِي ، وَقَالَ لِلْنَارِ : أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدةٍ مِنْكُمَا مِلْؤهَا ، وَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِىءُ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهَا رِجْلَهُ فَتَقُولُ : قَطْ قَطْ (١) فَهُنَالِكَ تَمْتَلِي وَيَنْزَوِيَ(٢) بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَداً وَأَمَّا الجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِيءُ لَهَا خَلْقاً » وفي رواية خرجها ابن

---

(١) قوله : « قط قط » معنى قط حسبي ، اي يكفيني هذا ، وفيه ثلاث لغات : قط ، وقطِ ، وقطٍ .
(٢) قوله : « يزوي » يضم بعضها الى بعض ، فتجتمع وتلتقي على من فيها .

---

٢٠٥) رواه مسلم رقم (٢٦٢٠) في البر والصلة : باب تحريم الكبر ، وأبو داود رقم (٤٠٩٠) في اللباس : باب ما جاء في الكبر ، وابن ماجة رقم (٤١٧٤) في الزهد : باب البراءة من الكبر والتواضع ، وأحمد في «المسند» ٢ / ٣٧٦ و ٤١٤ و ٤٢٧ و ٤٤٢ .

٢٠٦) البخاري (٤٨٥٠) في تفسير سورة (القلم): باب قوله تعالى : ﴿ وتقول هل من مزيد ﴾ ، وفي التوحيد : باب ما جاء في قوله الله تعالى : ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ ، ومسلم رقم (٢٨٤٦) في الجنة : باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء والترمذي رقم (٢٥٦٤) في صفة الجنة : باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار .

أبي حاتم « فَقَالتِ النَّارُ : مَالي لاَ يَدْخُلَنِي إلاَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبرونَ والأَشْرافُ وَأَصْحابَ الأموالِ » .

وخرج الإمام أحمد [207] من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « افْتَخَرَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : يا رَبِّ ! يَدْخُلُنِي الجَبَابِرَةُ وَالمُتَكَبِرُونَ وَالمُلُوكُ وَالأَشْرَافُ ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ : أَي رَبِّ ! يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالفُقَرَاءُ والمَسَاكِينُ » ذكر الحديث بمعنى ما تقدم .

وسبب هذا أن الله عز وجل حف الجنة بالمكاره وحف النار بالشهوات ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الجَحيمَ هِيَ المَأْوى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَفْس عَن الهَوى * فإِنَّ الجَنَّة هِي المأْوى ﴾ [النازعات : ٣٧ ـ ٤١] .

وفي « صحيح البخاري »[208] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « حُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ ، وَحُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ» وخرجه مسلم ولفظه « حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »وخرجه أيضاً من حديث أنس،عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة. عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَىٰ الجَنَّةِ فَقَالَ : انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا ، قَالَ : فَجَاءَهَا فَنَظَرَ

---

٢٠٧) رواه أحمد في « المسند» ٣/ ١٣ و٧٨ . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧/ ١١٢ : في الصحيح بعضه محالاً على أبي هريرة ، رواه أحمد ، ورجاله ثقات ، لأن حماد بن سلمة روى عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط .

٢٠٨) البخاري رقم (٦٤٨٧) في الرقاق : باب حجبت النار بالشهوات، ومسلم رقم (٢٨٢٣) في صفة الجنة في فاتحته . وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٦٠ و ٣٨٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وورواه مسلم رقم (٢٨٢٢) في صفة الجنة في فاتحته ، والترمذي رقم « ٢٥٦٢) في صفة الجنة : باب حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، وأحمد في « المسند» ٣/ ١٥٣ و٢٥٤ و٢٨٤ من حديث أنس رضي الله عنه .

إِلَيْهَا وَإِلَىٰ مَا أَعَدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا ، فَانْظُرْ إِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا ، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ، قَالَ : فَاذْهَبْ إِلَىٰ النَّارِ فَانْظُرْ إِلَىٰ مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا ، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا »[209] .

فتبين بهذا أن صحة الجسد وقوته وكثرة المال والتنعم بشهوات الدنيا والتكبر والتعاظم على الخلق ، وهي صفات أهل النار التي ذكرت في حديث حارثة بن وهب ، هي جماع الطغيان والبغي كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ [العلق : ٦ - ٧] والطغيان وإيثار الحياة الدنيا وشهواتها من موجبات النار ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ * وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٧ - ٣٩] .

وأما الضعيف في البدن والاستضعاف في الدنيا من قلة المال والسلطان مع الإيمان فهو جماع كل خير ، ولهذا يقال : من العصمة أن لا تجد ، فهذه صفة أهل الجنة التي ذكرت في حديث حارثة .

وقد روي نحو حديث حارثة من وجوه متعددة وفي بعضها زيادات ،

---

٢٠٩) أبو داود رقم (٤٧٤٤) في السنة : باب في خلق الجنة والنار ، والترمذي رقم (٢٥٦٣) في صفة الجنة : باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، وأحمد في « المسند » ٢/٣٣٢ - ٣٣٣ و ٣٥٤ ، والنسائي ٣/٧ في الأيمان والنذور : باب الحلف بعزة الله تعالى ورواه أيضاً ابن حبان والحاكم ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

خرج له الإمام أحمد[٢١٠] من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : « الضُّعَفَاءُ المَظْلُومُونَ* ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ » ؟ قَالُوا : بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : « كُلُّ شَدِيدٍ جَعْظَرِي هُمُ الَّذِينَ لَا يَأْلَمُونَ رُؤُسَهُمْ » .

ومن حديث سراقة بن مالك بن جعشم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « يَا سُرَاقَةَ ! أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ » قَالَ : بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ، قال : « أَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَكُلُّ جَعْظَرِيٍّ جُواظٌ[١] مُسْتَكْبِرٌ ، وَأَمَّا أَهْلُ الجَنَّةِ فَالضُّعَفَاءُ المَغْلُوبُونَ »[٢١١] .

ومن حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « إن أَهْلَ النَّارِ كُلُّ جَوَاظٌ مُسْتَكْبِرٌ جَمَّاعٌ مَنَّاعٌ ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ الضُّعَفَاءُ المَغْلُوبُونَ »[٢١٢] .

ومن حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ، أَمَّا أَهْلُ الجَنَّةِ ، فَكُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ، أَشْعَثَ ذُو طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ ، وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَكُلُّ جَعْظَرِي جَوَاظٍ جَمَّاعٍ مَنَّاعٍ ذِي تَبَعٍ »[٢١٣] وقد سبق تفسير الجعظري بالفظ الغليظ الجافي .

(*) في الاصل المغلوبون، والتصحيح من مسند الإمام احمد

---

٢١٠) رواه أحمد في « المسند » ٢/٥٠٨ واسناده ضعيف .

٢١١) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ١٧٥ قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/ ٣٩٣ رواه احمد ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن فيه راوٍ لم يسمَّ . ووقال أيضاً ١٠/٢٦٥ : رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » وإسناده حسن .

وصححه الحاكم ١/٦٩ : وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

١٢) رواه أحمد في « المسند » ٢/٢١٤ قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٣٩٣ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٢١٣) رواه أحمد في « المسند » ٣/١٤٥ قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٢٦٤ : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة ، وحديثه يعتضد .

وخرج الطبراني من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِصِفَةِ أَهْلِ الجَنَّةِ » ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ ذُو طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ ، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ قُلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « كُلُّ جَظٍّ جَعْظَرٍ مُسْتَكْبِرٍ » قال : فسألته ما الجظ قال : « الضَخْمُ » وما الجعظر قال : « العَظِيمُ فِي نَفْسِهِ »[٢١٤] .

وروى عثمان بن أبي العاتكة عن أبي جعفر الحنفي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قال : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَهْـلِ النَّارِ » ؟ قالوا : بلى ، قال : « كُلُّ سَمِينٍ لَيْسَ طَيِّبِ الرِّيحِ »[٢١٥] .

وروى سليم بن عامر عن فرات البهراني عن أبي عامر الأشعري أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل النار ؟ فقال : « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ كُلُّ شَدِيدٍ قَعْبَرِيٍّ » فقال : وما القعبري يا رسول الله ؟ قال : « الشَّدِيدُ عَلَىٰ العَشِيرَةِ ، الشَّدِيدُ عَلَىٰ الأَهْلِ ، الشَّدِيدُ عَلَىٰ الصَّاحِبِ » ، قال : فمن أهل الجنة يا رسول الله ؟ فقال : « سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ كُلُّ ضَعِيفٍ مُزَهَّدٍ »[٢١٦] .

وفي المعنى أحاديث أخر ، وفي « صحيح مسلم »[٢١٧] عن عياض بن حمار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبته : « وَأَهْلُ الجَنَّةِ

---

٢١٤) قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٢٦٥ : رواه الطبراني في « الأوسط» عن شيخه عبد الله بن محمد بن أبي مريم وهو ضعيف .

٢١٥) في اسناده أبو جعفر الحنفي ، وهو مجهول كما في « الميزان » .

٢١٦) لم أجده .

٢١٧) رقم (٢٨٦٥) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها : باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

ثَلاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٍ مُتَصَدِّق ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ ، وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ[1] ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعاً لَا يَبْغُـونَ أَهْلاً وَلَا مَالاً ، وَالخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَىٰ لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُو يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ » وذكر البخل والكذب والشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ .

ففي هذا الحديث جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل الجنة ثلاثة أصناف :

أحدهما ـ ذو السلطان المقسط المتصدق ، وهو من كان له سلطان على الناس فسار في سلطانه بالعدل ، ثم ارتقى درجة الفضل .

والثاني ـ الرحيم الرقيق القلب الذي لا يخص برحمته قرابته ، بل يرحم المسلمين عموماً ، فتبين أن القسمين أهل الفضل والإحسان .

والثالث ـ العفيف المتعفف ذو العيال ، وهو من يحتاج إلى ما عند الناس فيتعفف عنهم ، وهذا أحد نوعي الجود أعني العفة عما في أيدي الناس لا سيما مع الحاجة .

وقد وصف الله في كتابه أهل الجنة ببذل الندى وكف الأذى ولو كان الأذى بحق فقال : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ في السَّرَاءِ والضَّرَّاءِ والكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٤] فهذا حال معاملتهم للخلق ثم وصف قيامهم بحق الحق فقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَروا اللهَ فَاسْتَغْفَروا لِذُنُوبِهِم وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

---

(١) قال في « النهاية » : أي لا عقل له يزبُرُه وينهاه على الاقدام على ما لا ينبغي . اهـ . وسيفسرها المؤلف رحمه الله بمعانٍ اخر في الصفحة التالية :

إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُم يَعْلَمُون * أُولَئِكَ جَزاؤُهُم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعمَ أَجْرُ العَامِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥ ـ ١٣٦] فوصفهم الله عند الذنوب بالاستغفار ، وعدم الإصرار وهو حقيقة التوبة النصوح .

وقريب من هذه الآية قوله تعالى : ﴿ فلاَ اقْتَحَمَ العَقَبَةَ * وَمَا أَدْراكَ مَا العَقَبةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعامٌ في يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَواصَوا بِالصبْرِ وَتَواصَوا بِالمَرْحمةِ * أُولَئِكَ أَصْحابُ المَيْمَنَةِ ﴾ [البلد : ١١ ـ ١٨] والعقبة قد فسرها ابن عباس بالنار ، وفسرها ابن عمر بعقبة فى النار كما تقدم ، فأخبر سبحانه أن اقتحامها ، وهو قطعها ومجاوزتها يحصل بالإحسان الى الخلق ، إما بعتق الرقبة وإما بالإطعام في المجاعة ، والمُطعَم إما يتيم من ذوي القربى او مسكين قد لصق بالتراب فلم يبق له شيء ، ولا بد مع هذا الإحسان أن يكون من أهل الإيمان ، والآمر لغيره بالعدل والإحسان ، وهو التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة ، وأخبر سبحانه أن هذه الأوصاف : أوصاف أصحاب الميمنة .

وأما أهل النار فقد قسمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث خمسة أصناف :

الصنف الأول ـ الضعيف الذي لا زبر له ، ويعني بالزبر القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل الصالح . وخرج العقيلي من حديث أبي هريرة مرفوعاً « إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ المُؤْمِنَ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ »[٢١٨] قال بعض رواة الحديث : يعني الشدة في الحق . ولما حدث مطرف ابن عبد الله بحديث عياض بن حمار هذا وبلغ قوله: «الضَّعِيفُ الَّذِي لا زَبَرَ لَهُ » فقيل له : أو يكون هذا ؟ قال : نعم ، والله لقد أدركتهم في الجاهلية ،

٢١٨) وهو حديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٦٩١) .

وإن الرجل ليرعى على الحي ماله إلا وليدتهم يطؤها .

وقال ابن شوذب يقال : إن عامة أهل النار كل ضعيف لا زبر له ، الذين هم فيكم اليوم تبع لا يبغون أهلاً ولا مالاً ؛ خرجه عبد الله بن الإمام أحمد في « الزهد » ، وهذا القسم شر أقسام الناس ونفوسهم ساقطة لأنهم ليس لهم همم في طلب الدنيا ولا الآخرة ؛ وإنما همة شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له ، وهو تبع للناس خادم لهم أو طواف عليهم سائل لهم .

والصنف الثاني ـ الخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، أي يعني لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بادر إليها واغتنمها، ويدخل في ذلك التطفيف في المكيال والميزان ، وكذلك الخيانة في الامانات القليلة كالودائع وأموال اليتامى وغيرذلك، وهو خصلة من خصال النفاق ، وربما يدخل الخيانة من خان الله ورسوله في ارتكاب المحارم سراً مع إظهار اجتنابها .

قال بعض السلف : كنا نتحدث أن صاحب النار من لا تمنعه خشية الله من شيء خفي له .

الصنف الثالث ـ المخادع الذي دأبه صباحاً ومساءً مخادعة الناس على أهليهم وأموالهم ، والخداع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك ، والخداع معناه إظهار الخير واضمار الشر لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك ، وهو من جملة المكر والحيل المحرمة ، وفي حديث ابن مسعود [218] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع في النار » .

الصنف الرابع ـ الكذب والبخل ولم يحفظ الراوي ما قال النبي صلى

---

(٢١٨) وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الإرواء » رقم (١٣١٩) . وقد رواه ابن حبان رقم (١١٠٧) والطبراني في « الصغير » و« الكبير » وأبو نعيم في « الحلية » ١٨٨/٤ .

الله عليه وآله وسلم في هذا حفظاً جيداً ، والكذب والبخل خصلتان . وفي « مسند الامام احمد » في هذا الحديث الكذب أو البخل بالشك ، وقد قيل : إنه عدهما واحداً ، كذا قاله مطر الوراق وهو أحد رواة هذا الحديث .

والكذب والبخل كلاهما ينشأ عن الشح كما جاء ذلك في الأحاديث ، والشح هو شدة حرص الإنسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة ، وينشأ عنه البخل ، وهو إمساك الإنسان ما في يده والامتناع من إخراجه في وجوهه التي أمر بها ، فالمخادع الذي سبق ذكره هو الشحيح ، وهذا الصنف هو البخيل ، فالشحيح أخَذَ المال بغير حقه ، والبخيل منعه من حقه ، كذلك روى تفسير الشح والبخل عن ابن مسعود وطاووس وغيرهما من السلف .

وفي الأثر « إن الشيطان قال : مهما غلبني ابن آدم فلن يغلبني بثلاث : يأخذ المال من غير حله ، أو ينفقه في غير وجهه ، أو يمنعه من حقه » .

وينشأ عن الشح أيضاً الكذب والمخادعة والتحيل على ما لا يستحقه الإنسان بالطرق الباطلة المحرمة . وفي « الصحيح » عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الفُجُورِ ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ »[٢١٩] .

وفي « المسند »[٢٢٠] عن عبد الله بن عمرو ، قال : سئل النبي صلى الله

---

٢١٩) قطعة من حديث طويل رواه البخاري رقم (٦٠٩٤) في الأدب : باب قوله تعالى : ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ، وما ينهى من الكذب ، ومسلم رقم (٢٦٠٦) و(٢٦٠٧) في البر : باب تحريم النميمة ، وباب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ، و« الموطأ » ٢/٩٨٩ في الكلام : باب ما جاء في الصدق والكذب ، وأبو داود رقم (٤٩٨٩) في الأدب : باب التشديد في الكذب ، والترمذي رقم (١٩٧٢) في البر : باب ما جاء في الصدق والكذب والدارمي رقم (٢٧١٨) وأحمد ١/٣٨٤ و ٤٣٢ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

٢٢٠) رواه أحمد في « المسند » ٢/١٧٦ ، واسناده ضعيف ، ولفظه : أن رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! ما عمل الجنة ؟ قال : « الصدق ، واذا صدق العبد برَّ ، واذا برَّ آمن ، واذا آمن دخل الجنة » وذكر بقية الحديث .

عليه وآله وسلم ما عمل أهل النار ؟ قال : « الكَذِبُ ، إذَا كَذَبَ العَبْدُ فَجَرَ ، وَإذَا فَجَرَ كَفَرَ ، وَإذَا كَفَرَ دَخَلَ النَّارَ » .

الصنف الخامس ـ الشنظير وقد فسر بالسيء الخلق ؛ والفحاش هو الفاحش المتفحش .

وفي « الصحيحين »[٢٢١] عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ » .

وفي الترمذي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إنَّ اللهَ يَبْغَضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ »[٢٢٢] والبذيء الذي يجري لسانه بالسفه ونحوه من لغو الكلام .

وفي « المسند » عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « بِحَسَبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَكُونَ فَاحِشاً بَذِيئاً بَخِيلاً جَبَاناً »[٢٢٣] فالفاحش هو الذي يفحش في منطقه ويستقبل الرجال بقبيح الكلام من السب ونحوه ، ويأتي في كلامه بالسخف وما يفحش ذكره .

---

٢٢١) البخاري رقم (٦٠٣٤) في الأدب : باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وباب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب ، ومسلم رقم (٢٥٩١) في البر والصلة : باب مداراة من يتقي فحشه ، و« الموطأ » ٢ / ٩٠٣ و ٩٠٤ في حسن الخلق : باب ما جاء في حسن الخلق ، وأبو داود رقم (٤٧٩١) و (٤٧٩٢) و (٤٧٩٣) في الأدب : باب في حسن العشرة ، والترمذي رقم (١٩٩٧) في البر : باب ما جاء في المداراة .

٢٢٢) رواه الترمذي رقم (١٩٧٨) في البر : باب ماجاء في اللعنة ، وأحمد في « المسند » . ١/ ٤٠٤ـ ٤٠٥ ، وابن حبان رقم (٤٨) « موارد » والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (٣١٢) ، والحاكم ١٢/١ و١٣ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . ولفظه : « ليس المؤمن بطعان ولا لعَّان ولا فاحش ولا بذيء » .

٢٢٣) رواه أحمد في « المسند » ٤ / ١٤٥ و ١٥٨ واسناده ضعيف ، ولفظه : « إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد ، وإنما أنتم ولد آدم طف الصاع لم تملوه ، ليس لاحد فضل إلا بالدين ، أو عمل صالح ، حسب الرجل أن يكون فاحشاً بذيئاً بخيلاً جباناً » .

فصـــل
[في ذكر أول من يدخل النار من عصاة الموحدين]

خرج الإمام أحمد[٢٢٤] من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّل ثَلاَثَة يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَأَوَّل ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ : فَالشَهِيدُ ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لاَ يُشْغِلَهُ رِقُّ الدُّنيَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ ، وَفَقِيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ ، وَأَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمِيرٌ مُتَسَلِّطٌ وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ يَمْنَعُ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ » وخرج الترمذي أوله وقال : حديث حسن .

فهؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النار ، وضد الأصناف الثلاثة من أهل الجنة المذكورين في حديث عياض بن حمار ، فإن السلطان المتسلط(١) ضد العادل المحسن ، والغني الذي يمنع حق الله ضد الرحيم الرقيق القلب بذي القربي وكل مسلم ، والفقير الفخور ضد المتعفف الصابر على شدة الفقر وضره . وأوصاف هؤلاء الثلاثة هي الظلم والبخل والكبر ، والثلاثة ترجع إلى الظلم ، لأن الملك يظلم الناس بيده ، والبخيل يظلم الفقراء بمنع حقوقهم الواجبة ، والفقير الفخور يظلم الناس بفخره عليهم بقوله ، وأذاه لهم بلسانه .

وفي « صحيح مسلم »[٢٢٥] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) في الأصل « المسلط » والصواب ما أثبتناه .

---

٢٢٤) رواه احمد في « المسند » ٢/ ٤٢٥ و ٤٧٩ ، والترمذي رقم (١٦٤٢) في فضائل الجهاد : باب ما جاء في ثواب الشهداء ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال .

٢٢٥) رقم (١٩٠٥) في الامارة : باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، والترمذي رقم (٢٣٨٣) في الزهد : باب ما جاء في الرياء والسمعة ، والنسائي ٦/ ٢٣ و ٢٤ في الجهاد : باب من قاتل ليقال : فلان جريء . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٢٦٤٥) .

وسلم في حديث طويل ذكر فيه المقاتل والقارىء والمتصدق الذين يراؤون بأعمالهم ، وقال : « أُوْلَئِكَ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » .

وقد يجمع بين هذا الحديث والذي قبله بأن هؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار ، وأولئك الثلاثة أول من يدخل النار ، وتسعير النار أخص من دخولها ، فإن تسعيرها يقتضي تلهبها وايقادها ، وهذا قدر زائد على مجرد الدخول ، وإنما زاد عذاب أهل الرياء على سائر العصاة ، لأن الرياء هو الشرك الأصغر ، والذنوب المتعلقة بالشرك أعظم من المتعلقة بغيره .

وقد ورد أن فسقة القراء يبدأ بهم قبل المشركين ، فروى عبد الملك بن ابراهيم الجدي ، حدثنا عبد الله بن عبد العزيز العمري ، عن أبي طوالة ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الزَّبَانِيَةُ أَسْرَعُ إِلَىٰ فَسَقَةِ القُرَّاءِ مِنْهُمْ إِلَىٰ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ ، فَيَقُولُونَ : يُبْدَأُ بِنَا قَبْلَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ : لَيْسَ مَنْ عَلِمَ كَمَنْ لاَ يَعْلَمُ » خرجه الطبراني وأبو نعيم وقال : غريب من حديث أبي طوالة تفرد به عند العمري ، انتهى والعمري هذا هو عبد الرحمن الزاهد رحمه الله .

وقد ذكرنا في الباب الخامس والعشرين أحاديث متعددة في خروج عنق من النار يوم القيامة تتكلم ، وأنها تلتقط من صفوف الخلق المشركين والمتكبرين وأصحاب التصاوير ، وفي رواية « ومن قتل نفساً بغير نفس فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام » وروي عن ابن عباس وغيره من السلف ان ذلك يكون قبل نشر الدواوين ونصب الموازين . وجاء في حديث مرفوع ان ذلك يكون قبل حساب سائر الناس ، والله أعلم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

* * *

الفهـــرس